بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الانتفاضة في الأدب الشعبي الفلسطيني في شمال فلسطين

إعداد
سيرين سعدي مصطفى جبر

إشراف
الدكتور إحسان الديك

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكليـــة الدراســـات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين.

2006م

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا
نابلس - فلسطين

الانتفاضة في الأدب الشعبي في شمال فلسطين

إعداد :
سيرين سعدي مصطفى جبر

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2006/2/22 وأجيزت

أعضاء اللجنة : **التوقيع**

1- د. إحسان الديك/ رئيساً . _____

2- د. نادر قاسم/ ممتحناً خارجياً . _____

3- أ.د. يحيى جبر/ ممتحناً داخلياً . _____

الإهداء

إلى الشمعة التي انطفأت بعد أنّ أنارت لي دربي،
إلى من كافح وعمل مكابداً ليوفر لي الراحة والسعادة،
إلى أغلى الناس أبي..... الغالي
إلى التي عندما تتكلم الأفعال لتعبر عن صدق العطاء والتضحية تقف الكلمات عاجزة عن التعبير ولو أحاطت بكل مصطلحات اللغة، إلى من وقفت بجانبي ساهرة، إلى أحب الناس إلى قلبي..... أمي العزيزة
إلى من تحمّل الكثير..... إلى الذي صبر وصبر.....إلى الحبيب ورفيق دربي.... زوجي الغالي حامد
إلى من غرس فيَّ حب العلم والمثابرة..... الى توأم روحي..... أختي بيان
إلى النور الذي أضاء حياتي فكان السند وموطن الحماية
إلى إخوتي الأحباء..... بشار وبلال وعمار وعامر وممدوح
الى أهل زوجي... أبو حامد وأم حامد. وإخوتي الأعزاء..... رولا ورونـد ورحاب ونائلة، ومحمد.

الباحثة
سيرين

الشكر والتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير الى الدكتور إحسان الديك الذي أشرف على هذه الرسالة حيث كان لي خير معين وموجه ومشرف، كما وأتقدم بالشكر لأسرة جمعية انعاش الأسرة وأخـــصّ الاســـتاذ،عبد العزيز أبو هدبة.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الاهداء	ت
الشكر والتقدير	ث
فهرس المحتويات	ج
الملخص	خ
المقدمة	1
التمهيد: الأدب الشعبي ما قبل الانتفاضتين	6
المرحلة الأولى: 1900-1929.	8
المرحلة الثانية: 1929-1948.	12
المرحلة الثالثة: 1948-1967.	19
المرحلة الرابعة: 1967-1987.	25
الفصل الأول: مواكبة الأدب الشعبي لأحداث الانتفاضة	33
المرحلة الأولى: الانتفاضة الفلسطينية 1987.	34
المرحلة الثانية: انتفاضة الأقصى 2000.	59
الفصل الثاني: الانتفاضة ومضمون الأدب الشعبي	83
الانتفاضة والحياة الفلسطينية العامة	85
المبحث الأول: الحكاية الشعبية والانتفاضة	89
المبحث الثاني: الأغنية الشعبية و الانتفاضة	97
المبحث الثالث: الشعارات أو الكتابة الجدارية	115
المبحث الرابع: الهتافات	123
المبحث الخامس:الأمثال الشعبية والانتفاضة	128
المبحث السادس: أ- نداءات الباعة و الانتفاضة	132
ب- الطرفة الشعبية والانتفاضة	133
الفصل الثالث: الانتفاضة وشكل الأدب الشعبي	136
المبحث الأول:اللغة و الانتفاضة	137
المبحث الثاني: الصورة في الأدب الشعبي في ظل الانتفاضة	153
أولاً: الحركة	155
ثانياً: اللون	151

الموضوع	الصفحة
ثالثاً: ال صوت	171
المبحث الثالث:الموسيقى	180
الخاتمة	185
المراجع والمصادر	187
الملخص باللغة الإنجليزية	b

الانتفاضة في الأدب الشعبي الفلسطيني في شمال فلسطين

إعداد

سيرين سعدي مصطفى جبر

إشراف

الدكتور إحسان الديك

الملخص

يعتبر الأدب الشعبي التعبير الفطري الصادق عن اللاشعور الجمعي للشعب، وعن اهتماماته الروحية وخلجاته النفسية، ولقد كان الشعب الفلسطيني من أكثر شعوب الأمة العربية ادراكاً لأهمية هذا الأدب ودوره، واستغلالاً له في ادارة الصراع مع الأعداء.

فراح هذا الشعب يستمد من قصص البطولة والحكايات والأغاني والأمثال العزيمة الصادقة والدوافع القوية لمقارعة الإحتلال ومقاومة المستعمر، وأدرك أن التشبث بهذا الأدب والتمسك به فيه حفاظ على الهوية الوطنية و الشخصية الفلسطينية في مواجهة الأعداء الذين ينهبون ثقافته.

وجاءت الانتفاضة الفلسطينية لتمثل الأمل المنشود لهذا الشعب ولتحقق غاياته وتعبر عن أهدافه وآماله.

هنا تكمن أهمية هذا البحث في معرفة مدى خدمة الأدب الشعبي لهذه الانتفاضة وتوظيف ألوانه وطاقاته لتأجيج نارها وإلهاب أوراها، كما تكمن أهميته في معرفة أثر هذه الانتفاضة في الوان الأدب الشعبي بازدهار بعض فنونه وخفوت فنون أخرى. والسؤال الكبير الذي يطرحه البحث هو، ما علاقة الانتفاضة بالأدب الشعبي الفلسطيني ويتفرع عن هذا السؤال الكبير أسئلة عديدة حاولت في بحثي الاجابة عنها مثل:

- ما مدى حضور الانتفاضة في الأدب الشعبي الفلسطيني سلبا وايجابياً؟
- ما أثر الانتفاضة على موضوعات الأدب الشعبي الفلسطيني وألوانه؟
- ما أثر الأدب الشعبي على الانتفاضة؟

- كيف بدت الانتفاضة في عيون الشعراء الشعبيين؟
- هل تفاوت حضور الانتفاضة في ألوان هذا الأدب، الأغنية والحكاية والمثل؟
- هل استطاع هذا الأدب أن يواكب شعارات الانتفاضة وأهدافها ويعبر عنها؟

ولقد واجهت مجموعة من الصعاب أهمها جمع النصوص في ظل هذه الظروف الصعبة، وكذلك ضبطها. واقتضت طبيعة البحث أن أقسمه الى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة. وتناولت في التمهيد الهبات التي حدثت قبل الانتفاضتين ومقاومة الاحتلال في فلسطين وقسمت الهبات الى أربع مراحل هي:

- المرحلة الأولى: من عام 1900- وحتى 1916، وتضمنت تلك المرحلة خضوع الشعب الفلسطيني للحكم التركي والعقوبات التي سنتها الحكومة العثمانية وفرضتها على الشعب الفلسطيني.
- المرحلة الثانية: من عام 1917- وحتى 1947، وهي مرحلة مهمة في حياة الشعب الفلسطيني وفيها حدثت ثورات وهبات قام بها الشعب ضد الاستعمار البريطاني مث ثورة عام 1936 وثورة البراق.
- المرحلة الثالثة: من عام 1948- وحتى 1967، وأهم ما يميز هذه المرحلة نكبة عام 48 وتهجير الفلسطينين عن أراضيهم وأماكن اقامتهم الى البلاد العربية الأخرى.
- المرحلة الرابعة وهي مرحلة خيبت آمال الشعب الفلسطيني المشتت في الداخل والخارج من العودة الأبدية، والتي ضمت الدولة المحتلة ما تبقى من فلسطين الى أراضيها والتي كانت بدايتها منذ اندلاع حرب عام 1967 واستمرت الى عام 1987، أي قبل الانتفاضة بشهور.

وجاء الأدب الشعبي ليعكس تصورات شعبه وآمالهم في الحرية، فقد تفاعل مع أحداث المراحل السابقة وصورها بعفوية واضحة، فكان وما زال يمثل هموم الشعب بأكمله أكثر من تمثيله لهموم الفرد.

وتناولت في الفصل الأول المرحلة المهمة في حياة الشعب الفلسطيني وهي الانتفاضتين وما تخللهما من أحداث وهبات وثورات، ومنذ عام 1987 الى يومنا هذا، ولقد قسمت هذا الفصل الى مبحثين:

- المبحث الأول: الانتفاضة الأولى من عام 1987- حتى 1994، وما تخللهما من أحداث وثورات وهبات.

- المبحث الثاني: الانتفاضة الثانية من عام 2000- الى يومنا هذا، ولقد تبين من دراسة هذا الفصل أن الأدب الشعبي واكب الأحداث الجسام التي مر بها الشعب الفلسطيني، ورافق مراحل نضاله، وكان الأديب الشعبي يتأثر بهذه الأحداث فيعبر عنها بخلجات قلبه.

وتناولت في الفصل الثاني أثر الانتفاضتين في مضمون الأدب الشعبي فقسمت هذا الفصل الى ستة مباحث:

- المبحث الأول: أثر الانتفاضتين على مضمون الأغنية الشعبية.
- المبحث الثاني: أثر الانتفاضتين على مضمون الحكاية الشعبية.
- المبحث الثالث: أثر الانتفاضتين على الشعارات.
- المبحث الرابع: أثر الانتفاضتين على الهتافات.
- المبحث الخامس: أثر الانتفاضتين على المثل الشعبي.
- المبحث السادس: أثر الانتفاضتين على الطرفة الشعبية ونداءات الباعة.

ولقد تبين أثر الانتفاضتين على ألوان الأدب الشعبي بشكل واضح وبارز، فلقد أثرت الانتفاضة الأولى والثانية وأحداثهما في ألوان الأدب.

لقد عملت الانتفاضة على تغيير مضمون الحكاية الشعبية فبدلا من الحديث عن الحبيب والغربة أخذت تصف عمليات الاغتيال والقصف والاستشهاد، فتخلت الحكاية الشعبية الوطنية

عن مضامينها ومواضيعها المعروفة، واتجهت نحو التعبير عن واقع الشعب الفلسطيني اليومي، وهذا التغيير نجده ماثلا أيضا في الأغنية الشعبية، حيث أثرت في مواضيعها، فكان الاهتمام منصبا حول الوطن وكيفية الدفاع عنه ممجدةً أبطاله. وأخذت الانتفاضة بتحوير قوالب الأغنية الشعبية بما يتلائم مع الأحداث الفلسطينية الدائرة. وبينت الدراسة ألوانا جديدة استحدثتها الانتفاضة وأصبح لها دور واضح مثل الشعارات والهتافات، حيث كان ظهورهما على الساحة الفلسطينية بارزاً، أما المثل الشعبي فظهوره كان خافتاً غير واضح.

وردست في الفصل الثالث والأخير أثر الانتفاضتين على الأدب الشعبي من حيث الشكل وما يتعلق باللغة والصورة والموسيقى، فقسمت هذا الفصل الى ثلاثة مباحث هي:

- المبحث الأول: أثر الانتفاضة على اللغة، فدرست الأساليب الانشائية واللغوية التي وظفها الأدب الشعبي في فنونه وتحدثت عن المفردات التي استخدمها الفلسطيني في كلامة وبرزت في الأدب الشعبي، كما درست بعض الأخطاء اللغوية والنحوية والصرفية والصوتية التي وقع فيها الأدب الفلسطيني في ظل الانتفاضتين، فكانت اللغة عامية صرفة في الأغنية الشعبية والحكاية ونداءات الباعة، لأنها تمثل وجدان الشعب وتجربته، أما لغة الهتافات والشعارات فمالت الى اللغة الفصيحة، وبينت الدراسة أيضاً أن اللغة بشكل عام كانت ذات جرس قوي، فهي تتحدث عن الوطن وتمجد المقاومة وتفتخر بشهدائها وتتغنى بالوطن وترابه.

- المبحث الثاني: تناولت في هذا المبحث أثر الانتفاضتين على الصورة الفنية فقسمت هذا المبحث الى أربعة أقسام، درست فيه الحركة واللون والصوت وأنواع الصورة. حيث وجدت للصورة حضوراً في هذا الأدب لا يقل عن حضورها في الأدب الرسمي، اذ وظف الشعراء الشعبيون صوراً عديدة عبرت عن انفعالاتهم وأحاسيسهم واشتملت هذه الصور على الحركة واللون والصوت، وجاء بعضها على غرار الصور التقليدية.

- المبحث الثالث: وفي هذا المبحث درست الموسيقى حيث بينت فيه أثر الانتفاضة على موسيقى الأغنية الشعبية وودت أن الموسيقى الفلسطينية في ظل الانتفاضة تميل الى النوع

العاطفي، ولكنها في الوقت نفسه تمتاز بحيوية، فالموسيقى الشعبية الأصلية بقيت محافظة على نفسها في ظل الانتفاضتين.

ونظراً لأهمية الأدب الشعبي في حياة الأمة وقدرته على التعبير عن همومها وتطلعاتها فلا بد من وقفة جادة مع هذا الأدب بألوانه المتنوعة، والعمل على جمعه من أفواه العامة وتدوينه بعد تنقيحه، ولابد من وضع أرشيف خاص بالانتفاضة ليبقى هذا الفن محفوظا على مدى الأيام.

وبعد فلا يسعني الا أن أتقدم بالشكر والعرفان الى الدكتور إحسان الديك الذي أشرف على هذه الرسالة حيث كان لي خير معين وموجه ومشرف، كما أتقدم بالشكر للأساتذة الأفاضل د. يحيى جبر و د. نادر قاسم لسعة صدرهم والتكلف المشاق في القراءة والحضور والتوجيه.

المقدمة

يعد الأدب الشعبي الفلسطيني عند سامعيه ومتذوقيه بلسماً شافياً لجروح ظاهرة تركها المستعمر في جسد هذا التراث، الذي أبى إلا أن يظل أصيلاً لا تشوبه الشوائب، وقد ظل بيرقا خفّاقاً على هضاب مجدنا، ونجماً ساطعاً في سماء عزتنا العريقة، واستحق الأدب الشعبي عامة والأغنية الشعبية خاصة لقب لسان التراث الناطق، فاستحق منا الوقوف عنده، والتمعن فيه، وتتبع أهمية دراسة الأدب الشعبي من الرغبة الجدية في الحفاظ على هوية الشعب العربي الفلسطيني، تلك الهوية التي تعرضت لعمليات طمس وسلب ونهب على أيدي أعداء الأمة العربية، ولم يكتف الاحتلال الصهيوني باحتلال الأرض العربية وتفريغها، بل عمل على تشويه الهوية العربية للشعب الفلسطيني، وإذا كانت الثقافة بشتى جوانبها الشفهية أو الكتابية تشكل عماداً تكون شخصية الشعب والأمة، فإنَّ الاحتلال عمد إلى محاولة سلب الشعب ثقافته وهويته الوطنية والقومية.

يختلف شعبنا الفلسطيني عن بقية الشعوب الأخرى، حيث إنَّه لم يتمكن رغم طول فترة كفاحه عبر قرن من الزمن من نيل حريته واستقلاله، فتشرد بعد أن سلبت حقوقه في العيش بحرية وأمان، أسوة بشعوب المعمورة، وما من شك أنَّ الأحداث المتعاقبة التي تعرضت لها فلسطين والمنطقة قد عمقت في نفس الإنسان الفلسطيني حب الانتماء للوطن، و جذرت حبه للأرض، وأججت في نفسه توقاً مفعماً بالأمل لاستعادة هذا الوطن المغتصب. و للأدب الشعبي دورٌ مهمٌ في حياتنا، فهو لغز تمسكنا الفطري المتجذر بأرضنا، وسر صمودنا الأسطوري في وجه كل المحاولات التي تستهدف تاريخ الأمة وحضارتها. وطمس كل صلة لها بماضيها وتراثها، و نحن – الفلسطينيين – أحوج ما نكون في هذه الأيام الى التمسك بجذورنا التاريخية، وأدبنا الشعبي في إطار معركتنا الشاملة لحماية هويتنا الوطنية والقومية والمحافظة على تراثنا الشعبي، وشخصيتنا لا تكتمل إلا بتمسكنا بتراثنا الضاربة جذوره في أعماق التاريخ، لقد عمد الاحتلال إلى تشويه الحقائق فلم يتوان عن تشويه التاريخ والآثار، وليس أدل على تشويه تراثنا من قيام الاحتلال بجمع عدد من الحكايات الفلسطينية ونسبها لتاريخه، هذه وتلك من الآثار

والتشويهات و محاولات سلب الهوية القومية والوطنية، دفعت الإنسان العربي إلـــى المحافظـــة على تراثه والعناية به ليزيل الغبار عن الأدب الشعبي، ويبين دوره في أحداث الانتفاضتين.

ولأن فلسطين عاشت وما زالت حدثاً سياسياً فرض عليها، فإنه من الطبيعي أنْ يـــؤثر هذا الحدث في حياة الشعب الاجتماعية و الأدبية، ولما كان الأدب الشعبي وسيلة إعـــلام الأمـــة يعكس واقعها على حقيقته، فقد وجد في فلسطين شعراء أخذوا على عاتقهم التعبير عـــن آمـــالهم وآلامهم من خلال أزجال صدرت عن نفس صادقة وعاطفة جياشة.

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

التمهيـــد: تناولت فيه المراحل التي مرت بها فلسطين من عام 1900 م وحتى عام 1967م وقد قسمت هذه المراحل الى أربع مراحل:

– المرحلة الأولى: من عام 1900 وحتى عام 1916م، وتضمنت تلك المرحلة خضوع الشـــعب الفلسطيني للحكم التركي، وعن العقوبات التي سنتها الحكومة العثمانية وفرضتها علـــى الشـــعب الفلسطيني.

– المرحلة الثانية: وكانت منذ عام 1917 وحتى عام 1947م، وهي مرحلة هامـــة فـــي حيـــاة الشعب الفلسطيني وفيها حدثت ثورات وهبات قام بها الشعب ضد الاستعمار البريطـــاني مثـــل ثورة 1936 م وثورة البراق.

– المرحلة الثالثة: وهي تمتد من عام 1948م وحتى عام 1967م، وأهم ما يميز هذه المرحلـــة نكبة 1948م وتهجير الفلسطينيين عن أراضيهم وأماكن إقامتهم إلى البلاد العربية الأخرى.

– المرحلة الرابعة: وهي مرحلة خيبت آمال الشعب الفلسطيني المشتت في الداخل والخارج من العودة الأبدية، مرحلة سميت بمرحلة النكسة نسبة الى حرب 1967م والتي ضمت بهـــا الدولـــة المحتلة ما تبقى من فلسطين إلى أراضيها وأصبحت تطلق عليها الدولة الاسرائيلية. تلـــك التـــي

كانت بدايتها منذ اندلاع الحرب 1967م واستمرت الى عام1987م أي قبل الانتفاضة الأولى بشهور.

وتناولت في الفصل الأول المرحلة المهمة في حياة الشعب الفلسطيني، وهي الانتفاضتين وما تخللهما من أحداث وهبات وثورات، ومنذ عام 1987 الى يومنا.

ولقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين:

- المبحث الأول: الإنتفاضة الأولى من عام 1987 إلى عام 2000 وماتخللها من أحداث وثورات هامة.
- المبحث الثاني: الانتفاضة الثانية من عام 2000 إلى يومنا هذا.

وتناولت في الفصل الثاني أثر الانتفاضتين في مضمون الأدب الشعبي، فقسمت هذا الفصل الى ستة مباحث:

- المبحث الأول: أثر الانتفاضتين على مضمون الأغنية الشعبية.
- المبحث الثاني: أثر الانتفاضتين على مضمون الحكاية الشعبية.
- المبحث الثالث: أثر الانتفاضتين على الشعارات.
- المبحث الرابع: أثر الانتفاضتين على الهتافات.
- المبحث الخامس: أثر الانتفاضتين على المثل الشعبي.
- المبحث السادس: أثر الانتفاضتين على الطرفة الشعبية ونداءات الباعة.

ودرست في الفصل الثالث والأخير أثر الانتفاضتين على الأدب الشعبي من حيث الشكل وما يتعلق باللغة والصورة والموسيقا، فقسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث هي:

- المبحث الأول: أثر الانتفاضتين على اللغة، فدرست الأساليب الانشائية واللغوية التي وظفها الأدب الشعبي في فنونه وتحدثت عن المفردات التي استخدمها الشعب الفلسطيني في كلامه، وبرزت في الأدب الشعبي، كما درست بعض الأخطاء اللغوية والنحوية والصرفية والصوتية التي وقع فيها الأدب الفلسطيني في ظل الانتفاضتين.

- المبحث الثاني: أثر الانتفاضتين على الصورة الفنية، قسمت هذا المبحث الى أربعة أقسام، درست فيه الحركة واللون والصوت وأنواع الصورة.

- المبحث الثالث:الموسيقى، حيث بينت فيه أثر الانتفاضة على موسيقى الأغنية الشعبية.

وقد ضمنت البحث خاتمة أوجزت فيها أهم النتائج التي وصلت إليها.

لقد واجهت هذه الدراسة بعض العوائق التي تمثلت في قلة المراجع وعدم وجود تواريخ و عناوين محددة للقصائد والموضوعات الشعرية على أشرطة التسجيل، كما كان الاستماع للأغاني الشعبية باللهجة الدارجة من تلك الأشرطة يشكل صعوبة تمثلت أحياناً في عدم وضوحها بسبب سوء في تسجيل المادة الشعرية، كما أنَّ بعض الزجالين المشهورين امتنعوا عن إعطاء أية مادة تفيد الباحث، وذلك بسبب الخوف من اضطهاد اليهود لهم، ومنعهم من الذهاب الى داخل الخط الأخضر، وإحياء حفلات لهم هناك، ومن الصعوبات التي واجهت الباحثة ضبط النصوص، حيث تحتاج الى عناية خاصة تعتمد على نطق قائليها.

وبعد:

فهذا ما استطعت تحقيقه في ظل هذه الظروف الصعبة، فإن أصبت فهذا من فضل الله عليّ، وإن أخطأت، فابن آدم خطاء، وحسبي أنني أجتهدت.

التمهيد

الأدب الشعبي ما قبل الانتفاضتين

المرحلة الأولى 1900 – 1929

المرحلة الثانية 1929– 1948

المرحلة الثالثة 1948 – 1967

المرحلة الرابعة 1967– 1987

التمهيد:

لا يوجد فن خارج إطار السياسة أو بعيداً عنها، على الرغم من أن الفنان يحاول التأكيد بأنه لا يهتم بالسياسة لأنه يحاول بفنه حل مشاكل وقضايا تَهُم المجتمع، وقد واكب الأدب الشعبي الفلسطيني وخاصة أغانينا الشعبية، الحركة الوطنية الفلسطينية، وغنى منشدونا للوطن، وللشعب الكادح وللثورة. ومجدوا في أغانيهم الأحرار، واحتقروا المرتدين والخونة، فتجاوب الأدب الشعبي في الأراضي الفلسطينية المحتلة تجاوباً مذهلاً مع الأوضاع والحركات السياسية.

لقد انبرى المبدعون الفلسطينيون ذكوراً وإناثاً، يشكلون المنبر الأهم الذي يبين الرأي الشعبي في كل حدث مرت به فلسطين، ورسموا بالكلمات المواقف التاريخية. ومنها معارضة ما يفعله الإنجليز واليهود واستنكاره، كلمات كانت مفعمة بالعواطف الصادقة المليئة بالحزن والألم. نبعت من مشاعر صادقة رفيعة بدت في المشاركة الوجدانية لأهالي الشهداء والجرحى. وذكر التطلعات والطموحات الفلسطينية في الاستقلال الكامل، وإقامة الدولة الفلسطينية على كل أرض فلسطين، وعليه فإن جنس المبدع كان يغطي زاوية من الزوايا الإعلامية، حيث تذيع المرأة البيان في قالب أغنية ترددها هي وزميلاتها وتوجهها إلى نساء المنطقة أو الحي. كما كان الرجل بأزجاله و أغانيه يغطي الزوايا الإعلامية على مدى الساحة الفلسطينية وللحدث الفلسطيني الشامل.

وقد عبر الشعب الفلسطيني عن حبه لفلسطين في أغانيه وهتافاته وشعاراته، فقال الشاعر راجح السلفيتي[1]:

لاَاْطلَعْ عَالسِّلَّمْ واناجي ربي أَنَا فْلَسطيني وْمَنّي مِتْخَبّي

---

(1) راجح غنيم السلفيتي شاعر من الضفة الغربية، عاش مناضلا ومات مناضلا، (1921/3/14-1990/5/27).

* بيجلي: يذهب الهم ويزوله.

* دهونا: الدواء الشافي.

* مرهونا: الدم والروح رهن للبلاد.

* لظلني: لأبقى.

بْـــلادي يَ بْـــلادي بَهْـــديك حُبّـــي حَتَّـــا تَحْريـــرِكْ يـــا فَلَسْـــطينا
حُبّـــكْ يَـــا بْـــلادي رَوْيَـــانِ بْـــدَمّي بَـــدَّمّ ابِـــنْ خَـــالي ودم ابِـــنْ عَمِّـــي
إلاَّ هَـــواكِ مـــا بْيِجّلِـــي هَمّـــي ويـــداوي جْرُوحـــي مـــنْ دُونِ دُهونـــا

ويظهر هذا الحب أيضا في قول الشاعر:

عَلَـــى دَلْعونـــا عَلَـــى دَلّعونـــا رُوحـــي لَـــبْلادي، ودَمِّـــي مَرْهُونـــا
بـــدِّي الصَّـــهْيوني يرْحَـــلّ مِـــن هُونـــا وَتِرّجَعـــي حُـــرَّهْ يـــا فَلَسْـــطينا

****

مِـــنَ أَجْـــلِ بْـــلادي لَظْلنـــي صـــامِدْ عَ حْـــدودِ الـــوَطَنْ لاظَلْنـــي قاعِـــدْ
وَتحرْيـــرِ الـــوَطَنّ بِـــدُّو سَـــوَاعِدْ سَـــوَاعِدْ صِـــلْبِهْ أَقْسَـــا مـــا تْكُونـــا

ولقد دفع هذا الحب الشعب الفلسطيني إلى التضحية بالغالي والنفيس:

أَللَّـــــهُ أَكْبَـــــرْ يـــــا مِسِـــــلْمين عَلِّـــي اسْتَشْـــهَدو فـــي فَلَسْـــطين
وَاللَّـــــهِ لأحْمِـــــلْ فَـــــرْدِ وْسِـــــكِّينِ وَاحَـــرِّر أَرْظـــي مِـــنْ هَالصَّـــهْيُونا

وعبروا عن حبهم لفلسطين عندما كانوا يهتفون بصوت عال ويرددون:

بالروح بالدم نفديك يا فلسطين

إنَّ البعد الزمني وتسلسل الأحداث على الساحة الفلسطينية منذ بدايـة القـرن العشـرين وحتى أيامنا هذه يشكل المساحة الزمنية الواسعة، والدوافع في انطلاق الإبداعات التراثية، والتي تعبر بصدق عن مشاعر شعبنا وتطلعاته، إضافة إلى تقديم صورة كاملة عن تضحياته.

لقد ضحى الشعب الفلسطيني بالغالي والنفيس وهو يقاوم العدوان الصهيوني المدعوم من بريطانيا خلال فترة الانتداب ومن ثم أمريكا منذ عام 1947 وحتى الآن، وعليه يمكـن تقسـيم مراحل النضال الفلسطيني التي كانت بمثابة إرهاصات للانتفاضتين إلى أربع مراحل هي:

أ- المرحلة الأولى 1900-1929.

ب-المرحلة الثانية من 1929-1948.

ج- المرحلة الثالثة من 1948-1967.

د- المرحلة الرابعة من 1967-1987.

المرحلة الأولى: من 1900-1929:

في هذه الفترة انتهى حكم الأتراك لبلادنا من عام 1917م واحتلها الإنجليز، ولقد شهد أواخر الحكم التركي في بلادنا كثيراً من الإجراءات والممارسات ضد أبناء شعبنا, وقد عبر الزجالون عن رأيهم فيما يجري على الساحة من قبل الحكام الأتراك بمجموعة من الأغاني التي أرخت الحدث، ووصفته وصفاً دقيقاً، كما وضحت تذمر شعبنا من هذه الممارسات وأبرزت معاناتهم ورفضهم لها.

ومن أهم الممارسات التي كانت تفرض على الشعب الفلسطيني، الضرائب المتعددة والقاسية التي عجز الشعب عن الوفاء بها، فتعرض إلى ما تعرض له من عقاب يصل به إلى التخلي عن أرضه.

فقالوا[1]:

ياهَنيا لَكْ يا هالقط يا اللي على الحيطان بِتْنُط
مَيال ميري ماَ عِليك ونّظامية ما تْخُط

ليس على القط ضرائب، فهو فرح سعيد ويقفز من مكان لآخر، كأن الحيوان فقط هو المعفى من دفع الضرائب، وما تبقى عليه دفع الأموال الباهظة من أجل إرضاء المسؤولين، ولم يكن الظلم من الأتراك وحسب، بل تعداه الى حكام العرب وبعض من أبناء الشعب نفسه.

فغنى الشعب قائلاً[2]:

---

(1) أبو هدبة، عبد العزيز، الأغنية الشعبية الفلسطينية بيان وطني صادق، مجلة التراث والمجتمع- ع(36)، 2001، ص83.

* ميري: أنواع من الضرائب على الأراضي وغيرها.

(2) أبو هدبة، عبد العزيز، الأغنية الشعبية الفلسطينية، بيان وطني صادق، مجلة التراث والمجتمع ع(36).

اطلعنـــا عَ راس تلِّـــة وَاعْتَلينـــا عـــرب واتـــراك وارتَـــدتْ علينـــا
قولـــوا لْلِوالـــدة تِرضـــى علينـــا عســـى ربـــي يَخلِصْـــنا مِـــنَ الظُـــلاّمْ

ويشتد الغضب من نظام التجنيد الإجباري للشعب العربي في الحروب التركيـة, حيـث سيقت الطوابير كالغنم والدواب, من غير مراعاة لحرية الإنسان، واشتد ألم الهجـرة والفـراق والغربة عند زوجات هؤلاء اللواتي لم يشاهدنهم إلا بعد طول هجران وغياب، قتل بعضـهم أو توفى آخرون, وتركت البلاد والقرى مهجورة من الشبان، فكانت الحياة خراباً بـلا روح، وفقـد عنصر الشباب، وترك هذا الحال ألماً في قلوب النساء, وحسرة علـيهم, وتسـاءلن إلـى أيـن وجهتهم؟! ولكن النسوة اللواتي عانين من الحسرة والألم والهجران واللـواتي أدركـن طبيعـة المخاطر لم يجدن سوى الأغاني ليعبرن عن حزنهن فقلن:

بـــلاد الـــيمن يـــا مـــا أبعـــدِك عنـــا اصحي للشـــباب اللِّـــي أجـــوكِي مـــن عِنَّـــا
بـــلاد الـــيمن مـــا أبْعـــدِك يـــا خـــوف إصْـــحي للشـــباب اللَّـــي أجـــوكي ضـــيوف
يـــا بـــلاد الـــيمن مـــا أبعـــد دروبـــك واصـــحي للشـــباب اللـــي أجـــو صـــوبك[2]
يـــا عســـكري يللّـــي قفـــا[1] الخيمـــة مـــا بـــدري أعـــزب ولا وراكِ عيلـــة

وهناك أبيات شعرية أخرى أظهرت الغضب والاحتجاج الشعبي، ووصفت الأتراك بأنهم جلاب دواب تعاملوا مع العرب كما لو كانوا غنماً يرسلونهم في سفن محملة بالجملة.

جلبـــوا الشـــباب كمـــا جلـــب الغـــنم جلبـــوهم وطيَّحـــوهم علـــى الـــيمن
وجلبوا الشـــباب كمـــا جلبـــوا العجـــول جلبـــوهم وطيَّحـــوهم عالجســـور

ذكرت اليمن هنا لأنها كانت عصياً على الدولة التركية لاخـتلاف المـذهب، فضـربو العربي بالغربي.

والواقع أن الأشكال الفلكلورية الأخرى قد أشارت إلى هذا الظلم والاضـطهاد, فهنـاك أمثال شعبية أشارت إلى ظلم الأتراك، وعدم تقديرهم للعربي, والمثل التالي خير شاهد على ذلك "آخر خدمة الغنسكتر" أي من يخلص للأتراك لابد أن يطرد في نهاية المطاف.

---

(1) قفا: وراء.

(2) صوبك: عندك.

إن أعداداً كبيرة من الفلسطينيين، كانوا يرفضون الانصياع لأوامر التجنيد الإجباري كما أن أعداداً كبيرة أخرى كانت تهرب من الجبهة، وتختفي متجهة نحو الوطن قاطعة في طريقها إلى بلادها ومدنها وقراها، مئات وآلاف الكيلومترات. وهكذا نشأت مشكلة "الفراريين". وكان هؤلاء الفراريون يعيشون في ظل القلق الدائم، والخوف من انكشاف أمرهم، واعتقالهم وإرسالهم إلى الجبهة. لم تكن حياتهم سهلة، بل كانت في كثير من الأحيان أسوأ من حياة الجندية نفسها. ومشعل كان واحداً من هؤلاء الفراريين، وتذكر الحكاية الشعبية قصته مع رجل القانون ومحاولة مشعل رشوة هذا الرجل "بالمجيدي"[1]، "تبدأ الحكاية بتصوير مشعل واقفا بجانب بركة ماء وقد جذب انتباهه حشد من النساء المعولات والأطفال الباكين وذلك بسبب أخبار سيئة وردت للتو من جبهة القتال، فاجتمع ذلك الحشد يتلقى أخبار أحبته الغياب الذين لن يعودوا. ويريد "مشعل" أن يستفسر عن شيء، فيلمح رجلاً فيقترب منه ويوجه له سؤالاً باللغة العربية. فيفاجأ إذ يجيبه ذلك الرجل بالتركية. فيحس أنه قد أوقع نفسه. ويظهر أن ذلك الرجل، كان من رجال أمن "الدولة العليا "فيشتبه به ويشير إلى إحد العساكر، أن يتحقق من شخصيته. ويقترب رجل القانون من مشعل ويحاول مشعل أن يهرب، ولكن الوقت كان متأخراً. فيقرر أن يلجأ إلى طريقة أخرى للتخلص، فيخرج من جيبه قطعة ذهبية من

نوع "مجيدي"، اقترب "القانون" من مشعل وسأله عن "الوثيقة" ولكن مشعلاً الذي لم يكن يحمل أية وثيقة استخرج "المجيدي" من جيبه وناوله للقانون، إلا أن القانون أراد أن يضرب عصفورين بحجر واحد، أخذ المجيدي منه وقبض عليه"[2].

"وجاءت الأغنية الشعبية" ع الأوف مشعل "لتذكر بقصة مشعل تلك ومحاولته رشوة رجل القانون بالمجيدي فغنت محبوبته"[3]:

---

(1) ألمجيدي: عملة مضروبة أيام السلطان العثماني عبد المجيد.

* القانون: رجل القانون التركي.

* الوثيقة: ورقة تعطى للمعفوين من الجندية.

(2) زياد، توفيق، صور من الأدب الشعبي الفلسطيني، ط2، 1994، ص 74-75.

(3) المصدر السابق نفسه، 76.

ع الأوف مشعل

أنا شفت واحد	**واقف جنب البركة**
حاكيته عربي	**جاوبني بالتركي**
النسوان بتغني	**والأطفال بتبكي**
مع مين تحكي	**تركي أو ألماني**
أنا شفت "القانون"	**جاي من بعيد**
وحبيت اهرب	**ما طلع في ايدي**
قال لي: "الوثيقة"	**ناولته مجيدي**
لطش المجيدي	**قال لي إنت فراري**

ولقد تذمر الناس واحتجوا على التجنيد, "فقد ذكر أن أفراداً من الشرطة التركية جاءوا إلى إحدى القرى الفلسطينية طالبين من شبابها أن ينصاعوا لأوامر التجنيد الإجباري, إلا أن أحدهم تحايل على الأتراك، واختبأ في أحد الكهوف القريبة من القرية، وصار يرسل الرسائل إلى أهله مختومة بالصابون، وكأنه في بلاد اليمن، وبقي يمارس هذا لمدة طويلة يكتبها قائلاً من بلاد اليمن إلى أهلي في كفر ثلث أخبارنا باليمن جيدة وعال العال، وظل الأمر بلا كشف من أحد حتى رجعوا من اليمن فرجع معهم حتى ينطلي الأمر على رجال السلطة". ولا يخفى علينا من خلال القراءة لهذه النادرة الشعبية أن عدم اكتشاف أمره وفعلته دلالة أكيدة على كراهية الناس لنظام التجنيد التركي المفروض على رقابهم فرضاً.

وازداد تذمر العربي الفلسطيني من تلك الأوضاع الفاسدة، لأن العروبة الجريحة مكسورة الجناح بعد أن كانت في عز ورفعة أصبحت في ضعف وهوان وهو ما بعث الحسرة والحنين إلى الأيام الذهبية التي قدم فيها العرب عطاءً حضارياً شامخاً، وكانوا سادة للعالم لا عبيداً للترك وغيرهم.وها هو قولهم على نغمات الربابة حيث يختلط الفن بالموسيقى وتتفجر العذابات والجروح في الشخصية العربية فتسبب شعوراً بالأسى لسوء الحالة العربية تحت سلطة واضطهاد بني عثمان.

يـــا ريتنـــي مِـــنْ دِيرَتِـــي ماتعبـــت ولا قَطَعـــت الْـــوادِي هَلِـــي قْبـــالِي[1]
ولا ركبـــت المهـــر ولا اسْـــتَهَميت ولا قطعـــت الْـــوادي والْـــوادي خـــالي
بـــلاد مـــا بْتسِـــواش رَطْلـــين قُطُـــن قَدّيش يَوخِـدْ عُشُـرْها الْمُلتـزم والـوالي
يا حُوف على أهل العِز يصـيروا ذليلـين الْـريح والْعَقْـرش علـى النَّمـر حْبـالي

المرحلة الثانية: 1929-1948:

تعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل في تاريخ القضية الفلسـطينية ويعتبرهـا بعـض المؤرخين مرحلة الثورات والبطولات والتضحيات، إذ كانت ثورة البراق عام 1929م، وثـورة القسام عام 1935م، والثورة الكبرى عام 1936م وحتى عام 1939م، ثم سنوات المعانـاة منـذ بداية الأربعينيات وصولاً إلى المأساة الكبرى النكبة، ولم يغفل الأدب الشـعبي هـذه الأحـداث والمفآجات بل رسمها رسماً دقيقاً، وأظهر رأي الشعب فيها و عبـر عنهـا بالغنـاء والهتـاف والشعارات.

ويؤرخ لهذه المرحلة من بداية ثورة البراق وحتى النكبة عـام 1948م، حـين وقعـت حوادث عام 1928م وعام 1929م في القدس بشأن حائط البراق الشريف بين العرب واليهـود، وكانت هذه الحوادث دامية، واتسعت وشملت كل فلسطين، وسميت هذه الحوادث بحوادث حائط البراق أو حوادث حائط المبكى، وعمت المظاهرات والاشتباكات كل مدن فلسطين وقراها، فوقع في اليوم التالي هجوم أهالي الخليل على اليهود، حيث سقط كثير من الشهداء كما قتل العديد من اليهود, فغنى الزجالون على لحن دلعونا[2]:

صَـارتِ الثَّـوْار فـي القُـدسْ صـارتْ يا دْيـوكِ العَـرشْ فـي السَّـما صـاحَتْ
شـــباب العَـــربْ عليهـــا طاحَـــتْ بْسَـــحبِ الخَنـــاجرْ علـــى الصَّـــهْيُونا

****

(1) قبالي: أمامي

(2) أبو هدبة، عبد العزيز، مجلة التراث والمجتمع، الاغنية الشعبية الفلسطينية، العدد 36، ص85.

صَـــارَتِ الثَّـــوره بـــاب الخليـــل ودَمِّ الصَّـــهيْوني عـــالأَرْضِ يسْـــيلِ
شـــباب العَـــرَب شـــيلُو المَرْتينـــي نحمـــي وطَنَّـــا مِـــنْ هَالصَّـــهْيُونا
يَمَّـــا يـــا يَمَّـــا إوعـــي تِنْهمَّـــي فِـــدا لَلْـــوطَنْ ضَـــحيِّت بْـــدَمّي
مَـــعِ الْقرايـــبْ وإولادِ العَـــمِّ شَـــبَابِ الْـــوطَنْ لا تِنْهمُّونـــا

ومن أهم أحداث هذه المرحلة كذلك ثورة عام 1936م، بقيادة الشهيد عز الدين القسام الذي كان يحث الناس على الجهاد، ففي عام 1932م هاجم القسام وجماعته من المجاهدين مستعمرة (نِحْلالْ) وقد أشهر القسام الجهاد علانية من على منبر جامع الاستقلال بحيفا عام 1935م بدلاً من القيام بالعمليات الفدائية سراً, وقامت جماعة القسام بعمليات فدائية كثيرة ومتنوعة، وحوصر قرب قرية يعبد وكان معه حينئذ خمسون مجاهداً وتحدى الإنجليز بهذه القوة المجاهدة التي اصطفت معه، فقاوم الإنجليز وحاصروه بمئات من الجنود, وكانوا يمتلكون أحدث أنواع الأسلحة الثقيلة والخفيفة، ولكن القسام رفض الاستسلام رغم ضخامة قوة الأعداء، و بعد معركة عنيفة غير متكافئة في العدد والعدة استشهد القسام وبعض رفاقه، فكانت حادثة استشهاده صدمة هزت مشاعر الفلسطينيين من الشمال إلى الجنوب, فأخذ الشعب الفلسطيني يغني غناء ممزوجاً بالدموع على فراق الشيخ عز الدين القسام [1]:

يـــا خســـارة يـــا عـــز الـــدين يـــا خســـارة يـــا عـــز الـــدين
عـــزّ الـــدِّينْ يـــا مَرْحُـــومْ مُوتَـــكْ دَرسْ لَلْعُمُـــوم
آه لَـــوْ انَّـــكْ كُنْـــتِ تْـــدُومْ يـــا رَئـــيسِ المجاهـــدينْ

وهاهو الشاعر "نوح إبراهيم"[2] الذي ارتبط بحركة القسام وقد أطلق عليه لقب تلميذ القسام يقول قصيدته المشهورة عن استشهاد القائد عزالدين القسام[3]:

* إوعي تنهمي: لا تصاب بالهمّ. * للعموم: للجميع.

(1) الحمد، خميس، وطنيات راجح السلفيتي، ط1، ص14.

(2) نوح إبراهيم:شاعر شعبي ولد في حيفا عام 1913م واستشهد عام 1938 قرب قرية طمرة في عملية عسكرية.

(3) عوض خالد، نوح ابراهيم، (الشاعر الشعبي لثورة 1936– 1939)، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، ط1، الناصرة، نيسان 1995، ص 76– 77

عـــز الـــدِّينْ يـــا خْسَـــارتكْ رُحِـــتْ فِـــدَى لأُمْتَـــكْ
مـــين بينْكِـــرْ شَـــهامتكْ يـــا رَئـــيس المجاهـــدين

*****

أسســـت عُصْـــبهْ للجهـــادْ لاَجـــلْ تحْريـــر الـــبْلاد
تَـــا تخلَّصـــها مـــن الأوْغَـــاد صَـــهَايَنْه ومُســـتَعمرْينْ

*****

لِعْبَـــتْ لِخيانـــه لُعْبـــهْ قامـــتْ وقعَـــتِ النَكبـــة
وْسَـــال الـــدَّمْ للرُكبـــهْ وماكُنْـــتِ تْسَـــلّمْ وتْلـــينْ

*****

الجســـم مـــاتْ الْمَبْـــدَأْ حَـــيَّ والـــدّما بتصـــيرش مـــيْ
بْتِـــدْعي لأ للَّـــهْ يـــا خَـــيّ نْمـــوتْ موتـــة عِـــزِّ الـــدِّين

يمجد نوح ابراهيم بطولات القسام، ويصفه بأنه ترك وراءه مبـدأ يسـيرعلى نهجـه آلاف المجاهدين من أمثاله.

وكان لإضراب عام 1936م مقدمات هامة أدت إلى قيامه من أهمهـا، ازديـاد أعـداد المهاجرين اليهود إلى فلسطين بشكل كبير في الفترة الواقعة بين عامي (31-35) م، هـذا إلـى جانب استمرار انتقال الأراضي العربية لليهود سواء أكان عن طريق الجواسيس أم عن طريـق سلطات الانتداب التي كانت تقدم لليهود مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية بمختلف الطرق والوسائل، وهذه الممارسات أدت إلى غضب الشعب الفلسطيني على الإنجليز، مما ألهب حماسه، إضافة إلى استشهاد الشيخ عز الدين القسام، وبعد مضي ثلاثة أشهر على الإضراب قام سـفير السعودية في العراق بالتعاون مع المسؤولين هناك بمحاولة لإنهـاء هـذا الإضـراب، وكانـت بريطانيا وراء هذا التحرك، ولكن "الحسيني"[1] قرر مواصلة الإضراب حتـى تحقيـق مطالـب الشعب الفلسطيني، في حين صمم الإنجليزعلى إيقاف الإضراب بالقوة، فأرسلوا الجنرال (ديـل) قائداً للجيش الإنجليزي الذي عمل بكل السبل والطرق لفك الإضراب، ولكنه فشل بسبب تصميم

(1) الحسيني: عبدالقادر الحسيني من القدس، كان قائدا ومقاتلا، استشهد في معركة القسطل.

الفلسطينيين على استمرار الإضراب حتى تحقيق مطالبهم، ولقد خاطبه الشاعر نـوح إبـراهيم قائلا[1]:

يـــا حضـــرة القائـــدْ دِلّ	لا تْظُـــنِّ الأُمِّـــهْ بِتْمِـــلّ
لكـــنْ إنِـــتْ ســـايرْها	يمْكِـــنْ عَلـــى يَـــدَّكْ بِتْحِـــلّ
فَهِّـــمْ لُنْـــدُنْ بِلّلـــي صـــارْ	واللّـــي بَعْـــدو راح يْصـــيْر
الْعَـــرَبْ أمّـــةْ أحـــرارْ	صـــداقِتْها بتلزَمكـــوا كِثيـــرْ
إنْ كُنِـــتْ عـــاوزْ يـــا جنَـــرال	بـــالقُوِّة تْغَيِّـــرْ هالْحَـــالّ
لازمْ تِعْتقِـــدْ أكيـــدْ	طَلَبـــكْ صَـــعْبِ مّـــنِ المُحـــالّ
لكـــنْ خُـــذْها بالحِكْمـــهْ	واعْطينـــا الـــثمَنْ بالحـــال
ونَفّـــذْ شُـــرُوطِ الأمَّـــةْ	مـــن حُرِّيِّـــةْ واســـتقْلالْ

ومما قاله الشاعر نوح إبراهيم في إضراب 1936م[2]:

فـي الاضـــراب ضحـــوا كـــتير	واجـــهوا الامـــر العســـير
كـــانـــوا متـــل للجـــميع	مِـــن كـــبير مـــع صـــغير
ســـت أشـــهر صـــبروا ع	الجـــوع رفضـــوا الربـــح الوفـــير
والمـــثل بحـــكي وبقـــول	الشـــرف عنـــد الفـــقبر
رأســـمالهـــم الشهـــامة	مبـــداهم الكـــرامـــة
معـــروفيـــن بـــالشجـــاعة	والبســـالـــة والهمـــة

وعندما طوق الإنجليز مدينة نابلس للقبض على مَنْ فيها من الثوار، ضرب الثوار الذين في القرى طوقاً حول الطوق الإنجليزي على جبال نابلس والتلال المجاورة لها، فوقع الإنجليـز بين نارين مما اضطرهم الى طلب النجدة والمساعدة. فقامت طائراتهم التي شاركت في المعركة بقصف مواقع الثوار. وكان الثوار وهم في طريقهم لنجدة نابلس يتغنون بأهازيج:

يـــا طيـــرِ مـــا عِنْـــدَكِ عْلُـــومْ	عَـــنْ وَقْعِـــةٍ صـــارَتْ شَـــمَالْ
وِتْلَقَّـــتْ بَعْـــدِ الْعَصِـــرْ	مـــا فَكَّهـــا غيـــرِ الظَّـــلامْ

(1) عوض خالد، نوح ابراهيم، الشاعر الشعبي لثورة1936-1939، ص 94.

(2) عوض خالد، نوح ابراهيم، الشاعر الشعبي لثورة1936-1939، ص 81.

وفي 23 أيار من عام 1936م وقع اصطدام بين جماعة من الأهالي المسلحين والجنود الإنجليز عند قريتي "ذنابة وبلعا"،والأبيات التالية توضح المعركة التي حدثت مع الإنجليز بالقرب من بلعا[1]:

بـــــــينْ بَلْعـــــــا والتّيْنـــــــه ... تِسْـــــمَعْ ضَـــــرَبِ الْقَيـــــا زِيـــــنْ
بـــــــيَنْ بَلعـــــــا والْمُنْطـــــــارْ ... صـــــارْ إشـــــي عُمْـــــرُهْ مـــــا صـــــارْ
بـــــــيَنْ بَلعـــــــا والْمُنْطـــــــارْ ... ذَبَحنـــــــا جَـــــــيشِ الْكُفَّـــــــارْ
صـــــهيْيوُني خُـــــذْ رَبعْـــــكْ ورُوح ... هـــــاذي الـــــبلادَ بْلادِنُـــــا
صـــــهيوني مّنِـــــكْ مـــــا نهـــــابْ ... رايانتـــــا فُـــــوق السَّـــــحابْ
مَنْـــــدوبِ خَبِّـــــرْ دُولِتـــــكْ ... لَنْـــــدُنْ مَـــــرابِطْ خيلنـــــا

أمَا الشاعر "محارب ذيب" فيقول على لسان المرحوم عبد القادر الحسيني في رسالة لعمه الحاج أمين، يصف له فيها إحدى معارك العرقوب غرب بيت لحم[2]:

أنا لَخْبَرك يا عمي عنْ الّلـي جـرى لنـا ... وْأخَبـــرك بالصَـــحيح والْموَجـــود
إلتقينا خَمْسْ قُواد فـي سَـاحة الْـوغى ... معانـــا شـــباب سِـــلْعِة بَـــارود
ومعانا أبو ديِّـه ويـا عـز مـا انْحنـى ... يا مِثلُه في المُلـك مـا صـارش موجـود
ومعانا أبـو الوليـد يـا طيـب الشـبابا ... وسَـدَّدْ علـى الْعسـكر ثـلاث سـدودْ
أَحرقنـا الـدبابات يـا عمـي جميعهـا ... إكْسـبنا ذَخيـرتهم مـع الْبَـارود

وهذه أبيات من العتابا فيها المناشدة للجماهير العربية وكذلك وصف الوضع السيء الذي كانت تعيشه فلسطين في أيام الانتداب:

فَلْسـطين الْعزيـزْة إرجـال مالهـا ... ومَلْكَتهـا الْيهَـود بْكُثُـر مَالهْـا
يـا الْحَـاج يالمَـدْعُو بَطَلْهـا ... علـى اليَهـود تَنْـرُد النَّقـب

إن الإضراب الذي حدث عام 1936م والذي استمر ستة أشهر كان صفحة مضيئة في تاريخ النضال الفلسطيني وإصراره على نيل حريته، والقصيدة الشعبية التي قالها الثائر الفلسطيني عوض من مدينة نابلس والذي كان من أبطال ثورة عام 1936م المثال الأكبر على

(1) أبوهدبة، عبد العزيز، الأغنية الشعبية الوطنية، بيان وطني صادق، مجلة التراث والمجتمع، العدد 36، ص 87.
(2) المرجع السابق نفسه، ص 87.

التضحية والفداء، "كان عوض واحداً من ألوف الشباب الغيور على حمى الوطن، الرافض للذل والمهانة، لكنه لم يكن يملك ثمن السلاح، فتخلع زوجته الشابة أساورها الذهبية، ويحصل عوض على السلاح، ويترك زوجه وأطفاله ويخرج مع الفدائيين، ولم يكن عوض الابن الوحيد للعائلة الذي يفعل ذلك، لقد سبقه اثنان من إخوته استشهدا أيضا على حبل المشنقة. ويحارب عوض عساكر البريطانيين حربا شجاعة، متنقلاً من جبل لآخر، إلا أنه وقع أسيراً في أيدي الجيش البريطاني، وصدر ضده حكم بالإعدام. في تلك الليلة الأخيرة كانت نفس عوض تجيش بمشاعر أصفى من قطر الندى، تذكر زوجه وأطفاله، وتذكر أخويه اللذين سبقاه الى الشهادة، وتذكر شعبه البطل. ويأخذ قطعةً سوداء من الفحم يمررها على جدار غرفته في السجن الذي يقضي فيها لحظاته الأخيرة، فتنطق تلك القطعة من الفحم بكل شجونه، مسجلةً واحدة من أروع القصائد الشعبية"[1]:

ياليل خلِّ الاسير تايكمل نواحه
رايح يفيق الفجر ويرفرف جناحه
تا يمرجح المشنوق في هبة رياحه
يا ليل وقف تا اقضي كل حساراتي
يمكن نسيت مين أنا وانسيت آهاتي
يا حيف كيف انقضت بيديك ساعاتي
شمل الحبايب ضاع وتكسّروا اقداحه
لا تظن دمعي خوف دمعي على أوطاني
و عا كمشة زغاليل في البيت جوعاني
مين راح يطعمها بعدي واخواني
شباب اثنين قبلي عَ المشنقة راحوا

وبسبب الأوضاع التي سادت في فلسطين في تلك الفترة ولا سيما تنفيذ القرارين الذي سرى مفعولهما في ظل الاضراب المستمر وهما (امتناع الشعب عن دفع الضرائب والعصيان المدني) أدى ذلك إلى إلغاء دعوة الحكومة البريطانية الوفد العربي للمفاوضات معها، وخاطب

(1) زيّاد، توفيق، صور من الأدب الشعبي الفلسطيني، ط2، 1994، ص 22.

نوح ابراهيم اللجنة الملكية التي جاءت للتحقيق في القضية الفلسطينة التي قاطعتها اللجنة العربية العليا، ثم عادت وتعاونت معها نتيجة ضغوط ملوك العرب في هذه القصيدة.

يـــا اجْنَـــابْ اللجنِـــة الملكيِّـــة ... خَلِّـــي عِنْـــدِكْ نظريِّـــهْ
بَلكـــي تْفُضِّـــي هـــا المِشْـــكِلْ ... واتْحلّـــي هـــا القضـــيِّهْ
بِـــالأول قاطَعنـــا كـــي ... حتّـــى نِحْفَـــظ شَـــرَفنا
رْجِعنـــا اتعاونّـــا مَعـــاكي ... حِيـــثْ مْلوكنـــا أمَرونَـــا

وفي الأغنية التالية رفض صريح للكتاب الأبيض الذي صدر في أواخر الثلاثينات عن لجنة شكلتها الحكومة البريطانية، لدراسة إمكان حل المشكلة الفلسطينية. لقد أعلن الشعب الفلسطيني رفضه للكتاب الأبيض؛ لأن موضوع التطور الدستوري ونشوء الدولة الفلسطينية في الكتاب الأبيض جاء غامضاً، وفيه ما يجعل تحقيقها رهناً بمشيئة اليهود، مما حمل اللجنة العربية العليا لفلسطين على الاعتراض، وإذاعة بيان اعترضت فيه على سياسة الالتواء والغموض التي انطوى عليها الكتاب الأبيض"[1].

الْكتـــابْ الأبـــيظ احنْـــا مـــا نريـــده ... واللـــي بِريـــدُو رَح نِقْطـــع ايـــدُه
زِيـــدُوا الْتِفـــاف للَثْـــورة بهـــا زِيـــدُوا ... حَتَّـــى الأعَـــادي قَهْـــر يمُوتوُنـــا

وفي السابع من تموز عام 1937 صدر مشروع قرار التقسيم الرسمي لفلسطين من قبل اللجنة الملكية، وهو تقرير تاريخي وسياسي واقتصادي موسع وشامل، وكان أهم محتواه هو طرحه مشروع التقسيم كفكرة وكاطار عام دليلاً على امكانية تنفيذه، وعاد نوح ابراهيم ليصرخ ويستنكر مع المستنكرين والرافضين مشروع قرار التقسيم ليوجه نداءه الى البرلمان الانجليزي والوزارة البريطانية على أن كل حل لا يتفق مع مطالب العرب واستقلالهم، فهو مرفوض وفاشل.

عَـــمْ تِفْتكـــروا بْحَـــل جديـــدْ ... مـــا بِتْنفَّـــذْ بالتأكيـــدْ
أمَّـــا مشـــروع التقســـيمْ ... مرفُـــوضْ وفاشِـــلْ وبْعيـــدْ

(1) أبو هدبة، عبد العزيز، الاغنية الشعبية الفلسطينية، مجلة التراث والمجتمع عدد 36، 2001م، ص88.

ومن أهم أحداث هذه المرحلة، إعدام أبطال الثورة الثلاثة أحمد جمجوم وعطا الزير من الخليل وفؤاد حجازي من صفد عام 1939م. وها هو الشاعر راجح السلفيتي يقول فيهم[1]:-

مـــن بابِـــكْ عَكّـــا طِلّعَـــتْ جنَـــازي جَمْجُـــوم وعِطَـــا وفُـــؤَاد حْجَـــازِي
مَنْـــدوُب السَّـــامي رَبّـــكِ يْجـــازِي يصْـــبحْ حَرِيمـــو عَليـــه ينْعُونَـــا

*****

وكـــانوا بْعَصـــايةْ وإنـــتِ بَّـــارُودي وظلِّيتـــكْ تِشْـــكي يـــا ابْـــن الملعُونـــا
أهـــل الشَّـــهامي عطـــا وفـــؤادي مـــا يهـــابوا الـــرَّدى ولا المَنوُنَـــا

المرحلة الثالثة 1948-1967:

"أسفرت حرب عام 1948 عن تشريد الآلاف من الشعب الفلسطيني عن أراضيهم ووطنهم، وتقسيم الأرض الفلسطينية وتدمير الكيان السياسي والاقتصادي للفلسطينيين، وانتقال مسرح النشاط الفلسطيني الرئيس إلى خارج الأرض الفلسطينية، ووقع نحو 156 ألف عربي فلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي"[2]، "وكان واضحاً، منذ البداية، أن السلطات الإسرائيلية لم تكن ترحب ببقاء هذه الأعداد من السكان العرب في المناطق التي احتلتها وسيطرت عليها في هذه الحرب"[3].

وقد قال الشاعر "اياد عارف" واصفا النكبة [4]:

بْنِحْكـــي عَـــنْ شَـــعْبْ فَلَسْـــطينْ إســـــمَعني يـــــا مَحْبـــــوبيْ
فـــــي الثّمـــــاني وأربْعـــــينْ نكبـــــة كُـــــلِّ العروبـــــهْ
خَـــــذَلونا مِيّـــــه المِيّـــــهْ للشّـــــعُوب العَرَبِيّـــــةْ
شَـــــعْبِ الضـــــفِّه الغربِيّـــــهْ بـــــوَفِّي كُـــــلِّ المطلـــــوبْ

فالمخططات والأطماع الصهيونية كانت تهدف دائماً الى الاستيلاء على الأرض العربية وتفريغها من سكانها الأصليين، تمهيداً لجلب المهاجرين اليهود إليها من مختلف أنحاء العالم.

---

(1) حمد, خميس، وطنيات الحادي راجح السلفيتي, ط1, 2003, رام الله, فلسطين, ص17.
(2) جبارة تيسير, دراسات في تاريخ فلسطين الحديث, ط2, 1986, القدس, ص162.
(3) زعيتر , أكرم, القضية الفلسطينية, ط2, 1986, دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية, عمان, ص92.
(4) إياد عارف، شاعر من قرية كفر ثلث.

وبالتالي، فإن السياسة الاسرائيلية تجاه العرب الفلسطينيين تحت الاحتلال تميزت دائماً بالمحاولات المستمرة لطمس الهوية الوطنية الفلسطينية، ومحاربتها بشتى الوسائل. وقد تركزت التجمعات السكانية العربية في الجليل شمال فلسطين، حيث تعيش الأكثرية العربية (نحو 60%)، وفي منطقة المثلث في وسط فلسطين، حيث يعيش(نحو 30%) منهم.

أما باقي السكان العرب. (نحو 10%) فيسكن في منطقة النقب وبئر السبع جنوب فلسطين"[1]. ومن أهم آثار هذه الحرب:

أ- مصادرة الهوية الفلسطينية:

"إن المبرر الأساسي للنظام السياسي في إسرائيل هو ضمان سيطرة العنصر اليهودي- عدداً ونوعاً- وبالتالي إلغاء الطابع العربي الفلسطيني بمختلف الوسائل" [2]. وقد فتح الكيان الصهيوني، منذ إعلان تأسيسه في 15 أيار 1948، أبواب الهجرة أمام اليهود من مختلف أنحاء العالم، وسارع إلى منح هؤلاء المهاجرين الجنسية الإسرائيلية، في حين ضيق الخناق على السكان الأصليين وطاردهم في أموالهم وأملاكهم وأرزاقهم لاقتلاع أكبر عدد منهم وتشريدهم الى الخارج.

لقد كان الهدف واضحاً وهو تغليب الطابع اليهودي على فلسطين ومصادرة الهوية الفلسطينية، إضافة إلى إغراق البلد بالمهاجرين اليهود، فقد فرضت السلطات الإسرائيلية على السكان العرب في الأرض المحتلة ضرورة الحصول على الجنسية الإسرائيلية، وإلا اعتبروا "غائبين" وفاقدي الحق في أملاكهم كما حرموا من أبسط الخدمات المدنية، وعلى الرغم من فرض الجنسية الإسرائيلية على ما بقي من السكان العرب في فلسطين المحتلة، فإن أنظمة الطوارئ والحكم العسكري الذي يعيشون في ظل إرهابه المستمر تحرمهم عملياً معظم الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها اليهود في إسرائيل، بحيث أصبح العرب هناك، وفي أحسن الحالات، مواطنين من الدرجة الثانية، ثم قامت السلطات الإسرائيلية بالتدخل في مختلف الشؤون الحياتية

(1) جبارة, تيسير, تاريخ فلسطين, ط1, 1998, دار الشروق للنشر, رام الله, ص327.

(2) مؤسسة الدراسات الفلسطينية, فلسطين تاريخها وقضيتها, د.ط،د.ت، ص182.

اليومية لسكان العرب، مثل حرية التنقل والعمل والإقامة والسكن والمناهج التعليمية في المدارس العربية، وميزانيات البلديات في القرى العربية، وحرية التعبير عن الـرأي والتنظـيم والعمـل السياسي، وذلك في محاولة يائسة وعقيمة لمحو الهوية الفلسطينية والشخصية الفلسطينية, ولقـد غنى أبناء تلك القرى المدمرة رجالاً ونساءً، فها هم أهالي قرية الطيرة القريبـة مـن طـولكرم والتي احتلت عام 1948م يغنون ويعبرون عن الطموح والإيمان بالنصر الأكيد بقولهم:-

يـــا دمعـــةِ العـــين لا تِـــدمعَي بُكـــرة الشـــباب عليـــكِ بيرجعـــي
لازِم انْحـــــــرِّر أرضْـــــــنَا بالسِّـــــــيف والمـــــــدفَعِي

وترُد الجماهير على الرجال قائلة:

أرضُ البطولـــة والمحبـــة بلادنـــا وفيهـــا عاشـــوا آباءنـــا وأجـــدادنا.

إن مجزرة كفر قاسم، على الرغم من أنها لم تكن المرة الوحيدة التي عمدت فيها القوات الإسرائيلية إلى قتل العرب داخل الأراضي المحتلة أو التسبب بموتهم، تعطي صـورة واضـحة لسياسة القوة التي اتبعها الاحتلال تجاه العرب. بل إنها أصبحت رمزاً لتلـك السياسـة، مثلمـا أصبحت مجزرة دير ياسين – 9 نيسان 1948– رمزاً للسياسة التي اتبعت ضد الفلسـطينيين في حرب 1948 بالذات، عبر جميع مراحل النشاط الصهيوني عامة. "ويبدو من سير الحـوادث التي تلت المذبحة في كفر قاسم، وما توفر عنها من معلومات فيما بعد، أنَّها تلتقي، مـن حيـث الهدف الحقيقي، مع مجزرة دير ياسين ومثيلاتها، أي محاولة تفريغ الأرض المحتلة من العـرب وحملهم على الهجرة منها الى الدول العربية المجاورة"[1]. ولكن الحظ لـم يحـالف السـلطات الإسرائيلية هذه المرة، ولم تحقق غايتها على الرغم من بشاعة المجزرة ووحشيتها، وعلى الرغم من حرص السلطات الإسرائيلية على تسريب أخبارها إلى أوساط السكان العرب لتشجيعهم على الرحيل.

أنـــا خُـــوي استَشْـــهَد فـــي صَـــبْرا قِبْيـــــا وكُفُـــــر قاسِـــــمْ
أنـــا صـــارَتْ حَيـــاتي مُـــرّا تَعْـــــذيب وْملاحِـــــمْ
ذَبَـــــــحِ الاحْـــــــتِلالْ مِنّـــــا كْثيْـــــرْ أطفـــــالْ

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية, فلسطين تاريخها وقضيتها, د.ط،د.ت، ص185.

عِمْلـــــو مِـــــنْ جَماجِمْنـــــا دْلالْ وْسِـــــــــــكْرَتْ الرَّجْعيِّـــــــــــهْ

وعندما بدأت أخبار هذه الجريمة تتسرب الى الصحافة وتثير موجة من التساؤلات، اضطرت السلطات الإسرائيلية الى إجراء محاكمة سريعة للمسؤولين عن هذه الجريمة في الجيش الإسرائيلي، وإصدار أحكام بالسجن سرعان ما خفضت تباعاً إلى ان أطلق سراحهم جميعاً خلال وقت قصير. "أما قائد الكتيبة التي كان يتبع لها رجال حرس الحدود في تلك المنطقة، فقد غرم قرشاً واحداً فقط لارتكابه "خطأ فنياً" في مقابل قتل 49 عربياً"[1]، وهكذا اسدل الستار على مجزرة كفر قاسم، ويحاول أهالي القرية، ومعهم العديد من العرب في فلسطين داخل الخط الأخضر، إحياء ذكرى شهداء تلك المجزرة كل سنة، لكن السلطات العسكرية تعمد غالباً الى إعلان القرية منطقة مغلقة، كي تمنع أي شخص من خارج القرية من دخولها والمشاركة في تلك المناسبة.

ب-مصادرة الأرض الفلسطينية:

يعتبر استملاك الأراضي الفلسطينة من الأهداف الرئيسة التي سعت الحركة الصهيونية لتحقيقها منذ بداية عملها, فتغنى الشعب الفلسطيني وبكى واستبكى فقال:

يمّا يا يُمّا أعطيني البارودي فايـــت عَمليِّـــة جـــوّا لحـــدوي
واحنا لَلأرظْ نعطي لِوعودِي وْلازِمْ نِرْجَـــع لِـــكْ يـــا فَلَسْـــطِينَ.

ويترافق هذا مع هدف آخر يتممه ويوازيه أهمية، وهو جلب اليهود من مختلف أنحاء العالم، وتجميعهم في فلسطين، وتوطينهم في تلك الأراضي بعد تفريغها من سكانها العرب الأصليين, فقالوا في هذا الحدث:

هـــي يـــا بلـــدْنا يـــا أمّ لِعقـــود إوَطّـــنْ فيهـــا جـــيش اليهـــودِ
ومِلْـــوكِ العَـــرب مـــالْهُم معَبْـــود أمظـــوِّع بْـــلادي يـــاربّي العُونـــا

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية, فلسطين تاريخها وقضيتها, د.ط،د.ت، ص185.

ولا يزال هذان الهدفان يشكلان حجر الزاوية في الفكر والعمل الصهيونيين حتى الآن، ويميزان الحركة الصهيونية عن باقي النشاطات الاستعمارية في العالم، بما في ذلك نظام جنوب أفريقيا العنصري. "ففي حين أنَّ الأنظمة الاستعمارية تكتفي بالتحكم سياسياً في مقدرات البلد واستغلال موارده الاقتصادية، نجد أنَّ الحركة الصهيونية- وإسرائيل فيما بعد- تهدف، إضافة إلى هذين الأمرين، إلى تملك الأرض الفلسطينية بأكملها وإجلاء سكانها عنها وتوطين المهاجرين اليهود بدلاً منهم – أي إلغاء الطابع العربي الأصيل للبلد وفرض التهويد الكامل عليه"[1], يقول الزجال الشعبي في ذلك:

حيفا مع يافا وقُرا بالْجُمِلةْ رَحِنْ خْسَارَة بتراْب العِمْلة
بِيْسان تنادي عَ اللّدّ والرملِة ويِن العُروبِة راحُوا وخَلونا؟

لقد سيطر زعماء الصهاينة على فلسطين فشهدت تغييراً جذرياً, وهذا يعني أن السلطات الإسرائيلية قامت بالاستيلاء على مساحات شاسعة من الأراضي العربية التي يمتلكها أصلاً العرب الفلسطينيون الذين طردوا من مدنهم وقراهم، أو اضطروا إلى مغادرتها في أثناء الحرب أو في أثرها.

فهتف الشعب الفلسطيني في هذا الحدث:

هاتُوا الجريدة وهاتُوا قَلمها تَنشُوف فَلَسْطين مِين إِستلمها
إِستلمها الْجيش الصَّهيوني إِستلمها وياهالّعَزارة[2] ويا عيب الشُوم.

وعلى الرغم من إدعاء السلطات الإسرائيلية، سنة 1950 م أن تلك الإجراءات التي قامت بها كانت مؤقتة. فقد تسارعت عمليات الاستيلاء بعد ذلك التاريخ، عندما تبلور نهائياً الموقف الإسرائيلي المعارض لعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، وتقرر سلب أراضيهم ووضعها في خدمة الاستيطان الصهيوني بفلسطين. فغنى الشعب الفلسطيني اللاجيء:

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وقضيتها، ص186.
(2) العزارة، دلالة على قلة القيمة.

شَـــاُلو الخـــيمّ فـــي الليـــل حطوهـــــــا عالحـــــــدود
عِفْنـــــا[1] الـــــوطن كُلُّـــــه مـــــن حُكـــــم اليهـــــود
شَـــاُلو الخـــيمّ فـــي الليـــل وحطوهـــــا فـــي لبنـــان
عِفنـــــا الـــــوطن كلُـــــه مـــــن حُكـــــم الظُّـــــلام

ولم تقتصر عمليات الاستيلاء على أراضي اللاجئين الفلسطينيين الذين أصبحوا خارج (إسرائيل) فحسب، وإنَّما تعدتها لتطبق أيضاً على أراضي العرب الذين بقوا فيها. وكانت تتم عمليات الاستيلاء على أراضي هؤلاء عادة، بعد احتلال مناطقهم مباشرة، وبصورة تعسفية عنوة بواسطة الجيش، "كذلك درجت المستوطنات الإسرائيلية (كيبوتسات وموشافيم) الزراعية المجاورة للقرى العربية، وفي أحيانٍ كثيرة بتشجيع من السلطات وموافقتها، على الاستيلاء على أراضي القرى العربية المجاورة لها، وذلك بإحاطتها، وبكل بساطة، بأسلاك شائكة وضمها إلى أراضيها"[2]. وكانت النتيجة سلب ما يزيد على مليون دونم من أراضي العرب الذي بقوا في إسرائيل بعد قيامها، كأراضي قرى (أقرت) و(كفر برعم) و(كفر عنان) و(الرامة) و(العباسية) في الجليل، والمجدل جنوبي فلسطين وغيرها.

ربما كان ما قيل من أغانٍ في أوائل الخمسينات، قد رسم المأساة رسماً دقيقاً وشاملاً تضمن احتجاج للشعب الفلسطيني واستنكاره لما جرى، فجاءت الأغنية الشعبية راسمة الحدث، ورافضة له. وحينما تطوع الصليب الأحمر بتقديم العون لأفواج اللاجئين الذين طردوا من أوطانهم، وقف الفنان بكامل وعيه فأطلق صوته البديع بالاحتجاج والرفض، فقال[3]:

الصَّـــليب الْأحمـــر كُبُّـــوا طْحيناتُـــه ضَـــيَّع الْـــوطنْ يفضَـــح خَواتُـــه
الصَّـــليب الْأحمـــر كُبُّـــوا سَـــردينُه ضَـــيَّع الْـــوطن الله يحـــرِّق دِينُـــه

وقد قيلت هذه الأبيات معبرة عن حالة الذل التي حاولت الدول الغربية فرضها على الشعب الفلسطيني، ممثلة بالمساعدات الانسانية لإغاثة اللاجئين الفلسطينين، وهي صورة مازالت

---

(1) عفنا:كرهنا.

(2) زعيتر, أكرم, القضية الفلسطينية, ط3, 1986, دار الجليل للنشر, ص226.

(3) أبو هدبة، عبد العزيز، مجلة التراث والمجتمع، الأغنية الشعبية الفلسطينية، العدد 36، ص91

ماثلة ليومنا هذا وبصور متعددة من أشكال المساعدات المقدمة للشعب الفلسطيني، ويقولون أيضاً[1]:

دَشَّـــرنا كُـــروم العنـــب والتـــين وْجينـــا عَ رْيـــح نشَّـــحد طْحـــين
دَشّـــرنا كـــروم العنـــب والْلـــوز وجينـــا عَ ريـــح نشـــحد كيكـــوز
دشّـــرنا بـــلاد العنـــب والتـــين جينا للهيئـــة (الوكالـــة) نشْـحَد طحـين
فـــي أيْ شَـــرع فـــي أي ديـــن بْـــلادي يُحْكُمْهـــا شَـــعِبْ صَـــهْيونا

وأصبح اللاجئون في وضع مأساوي، ينتظرون المعونه والمساعدة فقالوا[2]:

وحامـــل كيســـه راح علـــى الْخـــان قـــالوا لـــو اطَّلـــع مـــن هـــان
كُـــنْ جَـــرَّه مـــن عِـــرق الـــذَّان قـــالو كروتـــك مقطـــوعين

وما زال اللاجئ يحن للعودة الى البيت الذي أخرج منه، فيقول[3]:

والله يـــا دار لـــو عـــدنا كمـــا كنـــا لَطْليـــك يـــا دار بعـــد الشِّـــيد بالْحِنـــا

المرحلة الرابعة: (1967-1987):

أما المرحلة الرابعة (67-87م)، فقد شهدت هذه المرحلة العديد من الأحداث الهامة في مسيرة النضال الفلسطيني أول هذه الأحداث كان ما يسمى بالنكسة في حزيران 1967م واحتلال بقية الأرض الفلسطينية، حيث أصيب الجميع بالذهول للزمن القياسي الذي تمت فيه هزيمة الجيوش العربية، ووقعت الخسارة الضخمة باحتلال بقاع واسعة من الأرضي العربية في سيناء والجولان، إضافة إلى الضفة الغربية و قطاع غزة. ففي صباح الاثنين في 5 حزيران 1967م شن الطيران الإسرائيلي هجوماً كثيفاً وصاعقاً على المطارات المصرية "استطاعت القوات

(1) أبو هدبة، عبد العزيز، مجلة التراث والمجتمع، الأغنية الشعبية الفلسطينية،ص92.
* نشحد: نطلب المعونة.
* دشرنا: تركنا.
الكيكوز: هو الزيت
(2) المرجع السابق نفسه،ص 92
* هان: من هنا
(3) المرجع السابق نفسه، ص92.

الإسرائيلية أنْ تهزم الجيوش العربية على ثلاث جبهات، وأنْ تحتل كل سيناء وقطاع غزة واصلة إلى قناة السويس، وكل الضفة الغربية إلى نهر الأردن، وألف كيلو متر مربع من الأراضي السورية في مرتفعات الجولان"[1].

وبالرغم من تأثير هذه الأحداث سلباً على الإبداعات الفنية التي حدَّت منها كثيراً إلا أنَّ ما تلا ذلك من أحداث كان له تأثير من جانب آخر فقالوا[2]:

وِجه النحس يا فجر خَمسة حزيران لِحق فيك انْتَكَس واتْغَطرس الطُّغيان
واللي على شعبو لبس جِلْد الهُصُور بِفَرْوِة حصيني إنْسَّل عَ الباذان

وجاء في خيانة العرب الذين قاموا بمساعدة الجيش الإسرائيلي في تسليم ما تبقى من فلسطين قولهم[3]:

وكم مِنْ بريء الدَّم عَ القاضي انهدر وكَمْ مِنْ مُزَيّفْ كَشْفَتُه النَّكْبةْ غَدر
حاول يسَمّى خِيَاْنتُهْ لُعبةْ قَدَرْ بِشْهَدْ عَ كِذْبِتهُ خِزَانَتُه الْمِليانِهْ

وكتبوا على الجدران:

"**خمسة حزيران عار على كل العرب**"

وثاني هذه الأحداث هو معركة الكرامة في عام 68م، حيث كانت الساحة الفلسطينية تشهد نشاطاً متواصلاً من أجل تحقيق وحدة الكفاح المسلح، وتطوير أجهزة منظمة التحرير الفلسطينية، وفي هذا المجال بدأ تنظيم عسكري تابع لمنظمة التحرير الفلسطينية القيام بعمليات فدائية في المناطق المحتلة باسم قوات التحرير الشعبية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني، كما أدى العدوان الإسرائيلي على بلدة الكرامة في غور الأردن في 21 آذار 1968م، الى فتح آفاق للقاء والتعاون المستمر بين المنظمات المقاتلة, فقال راجح السلفيتي في معركة الكرامة:

---

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وقضيتها. ص 20.

(2) الحمد، خميس، وطنيات الحادي راجح السلفيتي، ط1، 2003، رام الله، فلسطين، ص23.

* الهصور: الأسد.

(3) المصدر السابق، ص23.

نَكَسَـــــتّ أعلامهـــــم إلاَّ عَلَمنـــــا وقَـــال الشَّـــعِب يـــا فَرحِـــةْ عَالَمْنـــا

ويـــــوْمِ الكَرامـــــة رفعنـــــاَ عَلَمْنـــــا *** لإِســـــرائيل طـــــابِ الْمـــــوت طَـــــاب**

ويـــــوم الكَرامِـــــة يـــــوم مشْـــــهُود فيـــــهِ انْتَصَـــــرْنَا علـــــى الْيَّهـــــودْ
وحِيَـــــاةْ العـــــالِي ربّـــــي الْمعبـــــود مـــــا انْســـــا تَحْريـــــرِك يـــــا فَلَسْـــــطينا

عاصر المرحوم راجح السلفيتي معركة تشرين التي حدثت في 6 تشرين الأول من عام 1973. حيث انتصر العرب على اليهود والتي أطلق عليها (حرب رمضـــان) بســـبب الشـــهر المبارك الذي نشبت فيه.فقال السلفيتي في تصويره لأحداث المعركة:

سِـــــتّهْ أكتُـــــوبَر يَـــــوم المَوْعـــــود يـــــوم انتصـــــرْنا علـــــى اليَهُـــــود
لابُـــدَ يَـــا بْـــلادي إننـــا مْـــنِ العـــود وتصـــــيري حُـــــره يـــــا فلســـــطينا

وقال الشاعر نفسه في وصف حكام اسرائيل حين انتشرت الحرب في جميع المناطق في فلسطين وحتى داخل الخط الأخضر:

من عَنْجَهِيّةْ مُوشـــي ديَّـــان[1]ومـــائير[2] ذُقْنـــا المـــرار صْـــغيْرنا قبـــل الكْبيـــرْ
ما ظلْ فـــي الـــدُّنيا وَلا صَـــاحِبْ ضَـــمِيرْ إلا وصـــــرَخْ فَلْيَســـــقُطْ الْعِـــــدوَان

وتعتبر فترة السبعينات من القرن الماضي وما بعدها مرحلة النضج السياسي، فلم تخـل حفلة عرس أو مهرجان جامعة من التغني بموضوع من المواضيع الوطنية, والتغني بالأغراض الشعرية المتنوعة وكان من أهمها المحافظة على الأرض ومقاومة السماسرة. ففي حب الأرض ومقاومة السماسرة، قال الشاعر راجح السلفيتي.

مثـــل السُّـــنِة ومثـــل الْفَـــرض واجْبنـــــا نْقَـــــدِس تُرْبِتنـــــا
حـــــبُ الأَرض وصُـــوت الْعَـــرْض هـــــاي مَبْـــــدأْنا وَعَقيـــــدتنا

ولم ينسوا في غنائهم مناسبة يوم الأرض فتغنوا ببطولاتهم فيها:-

(1) موشي ديان: وزير الدفاع.

(2) مائير: غولدا مائير، رئيس الوزراء في اسرائيل.

حيـــــوا الثَّـــــالوث الْحَصـــــين ... الـــــدير وعرابـــــة وســـــخنين
فيهـــــا تْعمَّـــــد يـــــوم الأرض ... بِـــــدَم الشُّـــــهدا الخالـــــدين
يـــــوم الْأرض الْخَالـــــد صَـــــار ... رَمْـــــزْ يعبِّـــــر عـــــن غَضَـــــبْنا
فـــــي كُـــــلْ ثَلاثـــــين آذار ... تِتْجَلّـــــى رَوْعِـــــة وِحْـــــدِتْنا

وقال الشاعر راجح السلفيتي أيضاً في السماسرة:

تَتْقولُـــــوا السَّـــــلْفِيْتي غَنَّـــــى ... وتِسْـــــمَعُوا هالْأَغـــــاني
الليلِـــــة بِـــــدْنَا نِتْهَنّـــــا ... واِطـــــرِبْكُم عَ الأَلْحَـــــاني
السِمّسُـــــار مـــــا هـــــو مِّنـــــا ... أُعَ روحُـــــه مَـــــالُو أمـــــانِي
وِجْهُـــــه بـــــالخِزِيْ مْبَلّـــــلْ ... وِجْبينُـــــه بْالعَـــــار مْكلَّـــــل
وللِجَميـــــعْ دمُّـــــه مْحَلـــــلَّ ... هـــــذِه الْفَتْـــــوى عَلَـــــى لْسّـــــانِي
وطنِـــــي مـــــا بَـــــرْ ضـــــالُو الْعـــــارْ ... لَـــــوْ أَهْلـــــو عَلِـــــيَّ تَجنُـــــو
مُمْكـــــن أَسْـــــمَعْ هَـــــدْم الـــــدَّار ... ومِـــــن بَعْـــــد الهَـــــدّم تَبَنُـــــو
مُمْكِـــــنْ لَـــــوْ يصِّـــــيْبِنِيْ عِيَّـــــار ... ومَـــــا يبْقَـــــى بْخَـــــافْ مِنُـــــو
الكَـــــرَمْ لِلعَـــــرَبْ كَـــــار ... تَـــــاريخ اسْـــــأَلْني عنُّـــــو
بَـــــسْ الْكَلِـــــبْ والفُجَّـــــار ... ظَلَّـــــك اسْـــــألني منُـــــو

وقال أيضاً في الحدث نفسه:

أمـــــا الخَـــــاين والسَّمسَـــــار ... مَـــــا حـــــدا بيســـــمعْ عنُّـــــو
أمَّـــــا الخـــــاينْ والسّمْسَـــــار ... إلِّـــــي بِسَمْســـــرْ عالـــــدَّارْ
عَـــــالْأَرضْ وعلـــــى الأشّـــــجارْ ... إفِصـــــلُوا رَاسُـــــو عَنُّـــــو
واللِّـــــي بـــــاع أَرْضِـــــيَّاتُو ... لِلـــــيش هِيِّـــــيَّ حَيَـــــاتو
إلشَّـــــرْعِ مْحلّـــــلْ دَمَّـــــاتُو ... ومـــــن دَمُّـــــوا الأرضْ حَنُّـــــوا
إللـــــي بِسَمْسِـــــرْ أرضّـــــايَاتُو ... بِسَمْســـــر عَلـــــى بَنَـــــاتُو
وْمِـــــنْ وِجْهُـــــو الـــــدَّمَاتْ ... شُـــــو اللـــــي بْتِترجُـــــوا مِنُـــــو
اللـــــي بسَمْســـــرْ عـــــا أرضُـــــو ... كـــــانو بِسَمْســـــرْ عـــــا عَرضُـــــو

وركزوا في أقوالهم وأشعارهم على منظمة التحرير، فهي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وعلى التحذيرات الاسرائيلية للفلسطينيين بعدم التحدث باسم منظمة التحرير فيقول الشاعر حمودة الفرخاوي[1]:

يـــا سَـــفِير الأمَريكـــان إنْ كَـــان صَـــحِيحْ بتْرِيـــدْنَا
إحْنَـــا أَصْـــحَابِ الأوْطَـــان واحنَـــا الْحَـــل بإيـــدْنا

وهتف الشعب الفلسطيني قائلاً[2]:

حَرَكِتنـــا الْفَتْحاويِّـــهْ حَرَكِـــهْ كْبيـــرِهْ وقويَّـــهْ
عَمَّرْهَـــا ياسِـــر عَرَفـــاتْ بالنَّظرَيِّـــهْ الثَّورْيَّـــهْ
عَمّرْناهـــا بإيـــدينا وّحَمَلْناهَـــا بْعِينِينَـــا
يـــا ويـــل اللَّـــي يْعادِينَـــا إحْنـــا رْجـــال الحُرّيَّـــهْ
أتحـــدِّينا المُخـــابَراتْ وحَارَبْنـــا المُسْـــتَوْطَناتْ
لازِمْ يَسْـــحَبْ هَـــالْقُوَاتْ إلْقـــواتِ النازيَّـــهْ
حَقّقَنـــا الانتصـــارات وْعَلِّينـــا هـــا الرايـــاتْ
بْقِيـــادِه ياسِـــرْ عرفـــاتْ واللَّجْنِـــهْ الْمَركَزيَّـــه

وهتفوا لأبي عمار وقالوا:

"**مكتوب على قلوبنا أبو عمار حبيبنا**"

وهتفوا:

"**يا بو عمار يا حبيب دمّرهَم في تل أبيب**"

وهتفوا أيضاً:

"**تحية لا بو جهاد والحطة الفتحاوية**"

وتحدثوا أيضاً عن خيانة الزعماء العرب وتخليهم عن قوميتهم، وصوروا موقف السادات وتخليه عن الأمة العربية وخروجه من اللعبة القومية ليوقع معاهدة صلح منفردة مع اسرائيل:

---

(1) حمودي الفرخاوي، شاعر شعبي اشتهر في السبعينات.

(2) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1، 1997،ص176.

أنـــور[1] بيـــه عنـــا تخلـــى ... ريتـــــه مـــــا يـــــرده الله
دشـــــر قضـــــية وطنـــــا ... وللـــــدولار صـــــام وصـــــلى

*****

قُـــلْ لا نـــور إللْـــي عَبَّـــى جْيـــابَو ... ي ريتُـــو هالنَّـــذل بَيُّـــهْ مـــا جَـــابُو
ثَـــرْوِةِ الأرْضْ وتُرابْهـــا وذَهَبْهـــا ... وَطَنْ ما يسْوى هُـو حَفْنـي مِـنِ تْرابُـو

وقال راجح السلفيتي:

عَلـــى هالَوضْـــع بْنحْـــتَج ... عَرَبْنـــا أللَّـــهْ يخْـــزيُهمْ
حُكّـــامِ الْعَـــرَبْ شَـــطْرَنجْ ... وأَمْرِيكـــا بتلْعَـــب فـــيهُمّ
حقُّـــهْ مِـــنْ أراضـــينا ... البِتْـــرولْ هَللِّـــي بإيـــدينا
مْلِيـــارات وملاينيـــا ... فـــي البُنُـــوك مكدَّسِـــينا
وعـــاملين خيرِّينـــا ... وسُوسْـــنَا مِنّـــا فينـــا
إلحُكّـــامِ الخـــاينينْ ... هُمِّـــى هَـــذو لا الـــرِّجْعيّينْ
إللِّـــي هُمِّـــي الْيَمينِّـــين ... مـــا بِحـــارْبوشِ العَـــدُ وَيَـــنْ
عَـــمْ بِحـــارْبُو تِخمـــينْ ... لَعَلَمْنـــا الفَلَسْـــطيني
حُكّـــامُ وإلهُـــمْ جُنُـــودْ ... بَـــسّ حُـــرَّاسِ ابَّـــا رُودْ
مْسَـــمّيينْ حَـــالْهُمْ أُسُـــودْ ... مَـــرَّه، ومَـــرَّه أخْـــرَى مُهُـــور
لكـــن فـــي وجـــه اليَهُـــود ... واويَّـــاتِ[2] تلاَقـــيُهم

وكثر الاعتزاز بالانتماء الفلسطيني فكلمة فلسطين على لسان كل فلسطيني محب لبلـده ووطنه فتغنى بها الشاعر والفيلسوف والطالب والعامل والكاتب...، أما الشاعر فهي على لسـانه في كل قصيده وفي كل مقطوعة وفي كل عرس وكل مهرجان، فغنى راجح السلفيتي:

(1) أنور السادات، رئيس جمهورية مصر العربية في ذلك الوقت.

(2) واويّات: مفردها واوي هو نوع من الذئاب

بســـــما بـــــأرض ببحـــــر بفَـــــيْ بغيـــــــر اســـــــمي لا تســـــــميني
مقيـــــد مطلـــــق ميـــــت حـــــي اســـــــمي عربـــــــي فلســـــــطيني
عامـــــــل بنّـــــــا أو فـــــــلاح مهنـــــــدس أو طيـــــب جـــــراح
ثـــــائر أو تحـــــت الســـــلاح وفـــــــي أي موقـــــع كفـــــاح
ريشـــــه فـــــي مهـــــب الريـــــاح هالعيشـــــة مـــــا بترضـــــيني
ويـــــن مـــــا أقْـــــدامي تـــــوديني بهتـــــف اســـــمي فلســـــطيني
نجـــــار وبعْمَـــــل أبـــــواب أو كاتـــــب بمسِـــــك حْســـــابْ
مْثَقـــــفْ ولِـــــلاّ مْـــــنِ الطُّـــــلاّب إعْرِفـــــت: الـــــدّنيا للغـــــلاب

ومع اختلاف المهن والأعمال إلا أنَّ الشعب الفلسطيني على هدف واحد وهـو تحريـر البلاد، فقال الشاعر نفسه:

عامـــــل مِحْجَـــــرْ أو حـــــداد طَـــــاعْ لـــــي الصَّـــــخِرْ والبُـــــولاذْ
مـــــا خلقتْـــــيشْ للاســـــتعباد هَـــــدّفي تحريـــــرِ الْـــــبلادْ
ونْحِيـــــا بْوَطنَّـــــا أسْـــــيَاد مـــــا فيـــــهْ قُـــــوِّه بتثنينـــــي
يـــــا كـــــل الـــــدُنيا اعرفينـــــي ثـــــائِرْ عَرَبـــــي فلســـــطيني
كنـــــا جـــــوَةَّ ولِـــــلاّ بَـــــرَّهْ حِلْـــــوي إنْتـــــي ولا مُـــــرَّهْ
لا تْتقضَـــــى ولا تِتْحـــــرَّى مَـــــوّتيني ثْلَطّعشـــــر مَـــــرَّه
بَظَـــــل اهتِـــــفّ: عشْـــــتي حُـــــرَّه بَفْـــــديكِ بْـــــدَمّي وعينـــــي
وْبَليتنَـــــي لمّـــــا تْنـــــادينَي حبيبـــــي يـــــا فلســـــطين

وكثر في أغاني الشعب الحديث عن التضحية من أجل تراب فلسطين وإعلاء علمها:

هـــــــاي جَنِّتنـــــــا فَلَسْـــــــطينْ
وحَبيبتنـــــــا فَلَسْـــــــطينْ
فَلَسْـــــطين بنحرِّرْهـــــا والأعـــــادي بنـــــدمِّرها
ورايـــــات النَّصْـــــر بنشْـــــهِرْها علـــــى أعْلـــــى عِلِيِّـــــين
فلســـــطين هـــــي جنتنـــــا صـــــورتها جـــــوَّا مهجتنـــــا

وكثرت الهتافات في حب فلسطين فقالوا:

فلســــــــــطين عربيّـــــــــــهْ وْإبْهـــــــا دُولـــــــي فلســــــطينِّية
لازم تْكـــــونْ ميِّـــــه فـــــي الميِّـــــهْ ونِكُـــــونِ احْنـــــا مِتحـــــــدينْ
فلســــــــــطين الحبيبـــــــــــه مـــــش راح احْنـــــا تْظَـــــلْ سَـــــليبهْ
راح تتحـــــــــــرر قريبـــــــــه علـــــــى يَـــــــدِّ الثـــــــائرين
حبيبتنـــــــــــــــــــــــــــا فَلَسْـــــــــــــــــــــــــــطين
هـــــــــــاي جنتنـــــــــــــا فَلَسْـــــــــــــــــــــــــــطين

وهتفوا أيضا:

نمـــــــوت وتحيـــــــا فلســــــطين نمـــــــوت وتحيـــــــا فلســــــطين

وكثرت الشعارات التي تبين حب الشعب الفلسطيني لوطنه فلسطين فمنها:

"إن كان حبي لفلسطين جريمة فليشهد العالم إني مجرم"

ويتكرر الهدف المنشود في كثير من القصائد والذي لا نتنازل عنه والذي يعتبر هـدف كل فلسطيني وهو الدولة والعلم والهوية.

اخـــــــرس اخـــــــرس لا تـــــــتكلم يـــــــا أبـــــــو الإدارة الذاتيـــــــة
لـــــو حطـــــوني بنـــــار جهـــــنم أنـــــا بـــــدي دولـــــة وهويـــــة
قـــــالوا ازعـــــيط نـــــط الحـــــيط وقـــــع جـــــوا عســـــلية[1]
بـــــدنا نكتـــــب هـــــالقزيط[2] ونحكـــــــــي هالحزيريـــــــه
صـــــبيان بشـــــعبه ومغـــــيط[3] بتقاتـــــل فـــــي الدوريـــــة
اشْـــــكَرا علـــــى ظهـــــر الحـــــيط بـــــدي دولـــــة وهويـــــة

(1) ازعيط: أسماء يقصد بها النكرات من الرجال.

(2) القزيط: القصيدة الشعرية.

(3) الشعبة: هي المطاطة، المغيط هو المطاط.

الفصل الأول

مواكبة الأدب الشعبي لأحداث الانتفاضة

المرحلة الأولى: الانتفاضة الفلسطينية 1987.

المرحلة الثانية: انتفاضة الأقصى 2000.

الفصل الأول

مواكبة الأدب الشعبي لأحداث الانتفاضة

لم تأت الانتفاضة الفلسطينية من فراغ، فقد جاءت تتويجاً للهبات الشعبية التي سبقتها على مدار السنين السابقة، وانعكاساً لتراكمات نضالية وتجسيداً للتناقض الذي وصل الى ذروته بين قوة الاحتلال والشعب المحتل الذي يتطلع الى تحقيق أهدافه المشروعة المتمثلة في الدولة المستقلة وحق تقرير المصير وحق العودة والحرية والاستقلال.

وقد واكب الأدب الشعبي الفلسطيني بأنواعه الأغنية الشعبية والحكاية والقصة والمثل والشعار والهتاف والطرفة ونداءات الباعة أحداث الانتفاضتين، وكان عاملاً مهماً في إذكاء نارهما واستمرار لهيبهما، كما عبر عن أهم الأحداث فيهما، ويمكن تقسيم هذه الفترة من تاريخ الشعب الفلسطيني النضالي إلى مرحلتين هما:

المرحلة الأولى: الانتفاضة الفلسطينية 1987:

كان من أهم ملامح هذه الانتفاضة توقف الغناء لمدة تزيد على ثلاثة أعوام، وذلك إكراماً للشهداء، وكان هذا قراراً شعبياً خالصاً شاملاً. ثم أخذت بعض الأغاني والشعارات والهتافات تُغنى وتردَّد في المسيرات والمظاهرات، ثم طبعت الأشرطة التسجيلية التي تتغنى بالبطولة والأبطال، بعدها بدأت الفرق الفنية تقدم عروضاً فنيةً ذات طابع وطني على بعض المسارح.

والأغاني التي سأوردها هي بعض ما ذكر في الكتب (خاصة كتاب الانتفاضة الشعبية للدكتور عبد اللطيف البرغوثي الذي جمع فيه الأشرطة التسجيلية في فترة الانتفاضة الأولى) أو سمعت وسجلت شفهياً عن "القوّيلة" والفنانيين المنتشرين في أنحاء الضفة الغربية وخاصة الشمال منها، والتي يُرى فيها تأليفاً فردياً، ثم لُحنت وتم ترديدها والاستماع إليها.

متى وكيف بدأت الانتفاضة؟ وأين كانت انطلاقتها؟ وهل واكب الأدب الشعبي هذا الحدث والأحداث التي توالتها؟.

لقد تفجرت الانتفاضة الفلسطينية في الثامن من شهر كانون الأول من عام سبعة وثمانين وتسعمائة وألف، وذلك من خلال مجموعة من الشبان الفلسطينيين إثر حادث دهس تعرضت لـــه سيارتان من العمال العرب في قطاع غزة من سائق شاحنة يهودي مأمور بتنفيذ هذه المهمة، وقد قام الشباب الفلسطيني بمحاولة اسعاف أولي والتبرع بالدم إلاَّ أنَّه تأكد مفارقة ثلاثة منهم للحيـــاة وعلى اثرها قام الشباب الفلسطينيون بتشيع الشبان الثلاثة في مسيرة ضخمة.

ولقد أرخ الأدب الشعبي هذا الحادث الأليم في أغاني الناس وهتافاتهم التي جاءت تعبيـــرا صادقا عما يجول في خواطرهم فقالوا[1]:

فـــي الثـــامن مـــن شـــهر اطـــنعش مـــــن عـــــام السَّـــــبعا وَثمـــــانينْ
هَّبـــــــتِ انتفاضـــــــةْ حُـــــــرَّه بـــــــين ربْوعِـــــــكْ فَلَسْـــــــطينْ

فكانت أول شرارة في مدينة غزة وسرعان ما انتشرت في جميع مدن القطاع فقالوا[2]:

مـــن جُـــوَّا غَـــزَّه انطَلقِـــت شـــراره لبَّـــــت جباليـــــا بهمـــــهْ جبَّـــــارَه
وقامـــــت الثَّـــــوره ثَـــورِه لحجـــــارَهْ بلبـــريج والشّـــاطِي مـــع بيـــت حانونـــا

وقال آخر:

علـــــى دَلعوُنـــــا علـــــى دَلعوُنـــــا حِنّـــــا انتفَضْـــــنا ومـــــا بيهـــــدُّونا
مِـــن غَـــزِّه انطلقَـــت أول شَـــرارَه ولَبَّـــــت جَباليـــــا بِهمِّـــــة جَبَّـــــاره

ومن ثم تحولت الانتفاضة إلى الضفة فبدأت بالخليل ثم انتشرت إلى باقي مدن الضفة فغنوا:[3]

شـــــعب الضَّـــــفّهْ والقِطـــــاعْ لا بهْـــــــــــدا ولا يخضَـــــــــــعْ
ثورتنـــــا اتْخـــــوض بْصـــــراع حتـــــــى نبنـــــــي دولتنـــــــا

*****

طلعـــت مـــن حلحـــول أحـــلا هديِّـــه لبَّتهـــا الدَّهيشـــه بْشَـــحْنِهْ ثَوْرِيِّـــه

---

(1) البرغوثي، عبد اللطيف ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1 1997، ص 95.

(2) المرجع السابق نفسه،ص 262.

(3) البرغوثي، عبد اللطيف ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1 1997، ص 106.

ومـــن قريـــةْ حُوســـانْ والعْبيديـــهْ ديـــرو عالغاصِـــبْ حَجْـــرِ الكانونـــا

ثم عمت الانتفاضة أرجاء البلاد والمحافظات الفلسطينية، وجاءت الشعارات والهتافات لتؤيد الانتفاضة وانطلاقتها فهتفوا في مسيراتهم أقوالاً تؤيد الانتفاضة، وتحث على الوحدة بين المدن وقراها:

"أعلناها سوية غزة وضفة غربية"

ولم تخل شعاراتهم من الهدف الرئيس وهو تأييد سير الانتفاضة فكتبوا

"لَكتُب إسْمي عَ التابوت إنتفاضة حتى الموت"

وانتشر خبر الانتفاضة وتناقلتها المحطات التلفازية[1]، فقالوا:

كـــل العـــالمْ أعطـــى أخبـــارَا بانتفاضـــــــتنا الجبَّـــــــارهْ
قـــالوا شُـــو جـــرى وصـــارا مـــــع جيـــــوُشِ مْـــــدَرَّبين
إنتفاضْـــــتنا بُشـــــرى النَّصْـــــرِ نَصْـــــرِ الإسْـــــلام عَلَـــــى الكُفْـــــرِ

وجاءت الانتفاضة لتفرج عن الشعب الفلسطيني همومه وآلامه من الكبت والاضطهاد اللذين عانى منهما الشعب الفلسطيني قبل حدوث الانتفاضة فهتفوا:

لا تطْلَـــــع أنـــــوارُ الفَجْـــــرِ إلاَّ مِـــــنْ قَلْـــــبِ الظّلمْـــــاء

فالشعب الفلسطيني يرى في الانتفاضة الحل الوحيد والسبيل للحرية فجعلوا شعارها الاسلام، فهتفوا:

مـــن نـــورُ اللَّـــهِ عرفنـــا هـــا بقلـــــوب الشَّـــــعْبِ غرسْـــــنَاهَا
بِـــــدَمِ الشُّـــــهداءِ سَـــــقَيناها كَـــــيْ تَنْبُـــــت فـــــي كُـــــلِّ سَـــــماءْ

وكانت مملوءة بالعنفوان والتحدي والحرب على الدولة الصهيونية.

(1) المرجع السابق، ص 95.

انتفاضـــــة أعلَّناهـــــا حَـــــرْبْ عالـــــــــدَّولي الصـــــــــهيونيِّه
شـــــعبنا جبّـــــار وهَـــــبْ نـــــارُه علـــى الغاصـــب صَـــبْ
انتفاضْـــــــــه أعلناهـــــــــا بإســـــمك يـــــا فِلِسْـــــطينْ

التحم شعب المدينة بفصائله المختلفة، التي تعاهدت علـى إرجـاع أرض الأقصـى قراها ومخيماتها فغنى الزجال الشعبي[1]:

إحْنَـــــا بايعْنَـــــا عَالْجهَـــــادْ نِحْمـــــي الشَّـــــعْبِ مَـــــعَ الأَوْلادْ
أقصـــــانا جِـــــوَّا الْفُـــــؤَادْ مَـــــا نُتـــــرُكْ هَـــــذِي الأَمْجَـــــادْ

هبت الجماهير الفلسطينية، ونزلت إلى الشوارع تلقي الحجارة وتتحدى الجنود وتتصدى للرصاص بصدورها من غير خوف أو قلق، قالوا[2]:

انزلنـــــــا عالشـــــــوارع وبإيـــــــدينا حجـــــــار
هَبِّينـــــــا كـــــــالزَّوابع لَهْلبْنـــــــا كالنّـــــــار
بالصَّـــــدْر نصُـــــد الرَّصـــــاص صَـــــمَّمنا علـــــى الخـــــلاص
لازم إنُّـــــوْل القصـــــاص المُجـــــرمْ والمحتـــــل

كما ثار الشعب الفلسطيني في جميع المدن بجميع فئاته من شباب وبنات وأطفال وشيوخ[3]:

يـــا شـــبابْ يـــا بنـــاتْ عنـــد الحـــارهْ والرّوحـــات
بالتصـــــــــميم والإرادهْ بِتْخْلَـــــقْ عِنْـــــدي الشَّـــــهادِه
إِتْبعْنَـــــا هَـــــا الْقِيـــــادهْ وْ صـــــفّينا كُـــــلِّ النّيّـــــاتْ

وحيَّت جميع الفصائل الفلسطينية الانتفاضة وأعلنتها على الملأ صراحةً فهتفت:

حَيُّـــوا انْتِفَاضِـــتنا الشَـــعْبِيِّه لأَجْـــل العِـــزِّهْ والحُرِّيِّـــه
أعْلَنّاهـــــا إســـــلامِيّه مَنصـــورَهْ ميـــه فـــي الْمِيِّـــهْ
مـــن دَمِّ الشَّـــهيدِ السّـــايلْ يكْتـــبْ لَلْعـــالَمْ رَسَـــايلْ

(1) البرغوثي، عبد اللطيف ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1 1997، ص 110.
(2) البرغوثي، عبد اللطيف ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1 1997،ص 98..
(3) المرجع السابق، ص 99.

الانتفاضَـــــــــــه إسْـــــــــــلامِيِّه لانْتِفَاضَـــــــــــه إسْـــــــــــلامِيِّهْ

وهتف المنتفضون:

وحـــــــدة وحـــــــدة وطنيـــــــة حمـــــــاس وفـــــــتح وشـــــــعبية
فـــي غـــزة فـــي الضـــفة الغربيـــة إحـــتلال مـــا الـــو نومـــة هنيـــة

وهتف الشعب الفلسطيني مؤكداً على الوحدة الوطنية ونبذ الطائفية فقال:

وِحـــــــدِة وِحـــــــدِة وَطنيِّـــــــة اســـــــــــلام ومَســـــــــــيحِّية
وِحـــــــدِة وِحـــــــدِة وَطنِّيـــــــة كُـــــــل القُـــــــوى الثَّوريـــــــة

لقد عاهد أبناء الشعب الفلسطيني بعضهم بعضاً على الاستمرار ومواصلة الانتفاضة فغنى[1]:

يا شـــعبي يـــا شَـــعْب المكَـــارِمْ والْفِـــدا شَـــعْبِ الْبُطـــولي بِالْقيـــادي إهْتَـــدى
كَمِّـــلْ طرَيقـــكْ والْهَـــدَفْ بِتْحَّققُـــو بلإنتفاضـــه بتحـــرِق جْيُـــوشِ العِـــداَ

******

انتْفَاضِـــــــــتنا شـــــــــاركْها أمانيهـــــــــا ومعاركهـــــــــا

ومن أهم الأحداث اليومية للانتفاضة التي شهدتها مدن فلسـطين التظـاهرات اليوميـة والخروج في مسيرات ضخمة تخللها رشق الدوريات العسكرية بالحجارة والقضبان الحديديـة، بينما كان أفراد الدوريات يقومون بتفريقهم بإلقاء القنابل السامة والرصـاص الحـي بأنواعـه: رصاص الحي و المطاطي و رصاص (الدمدم) المحرم دولياً، ففي مدينة نابلس مـثلاً حصـلت تظاهرات بين المواطنين وقوات الجيش قام خلالها المواطنون برشق قوات الجيش الإسـرائيلية بالحجارة و الزجاجات الفارغة، وأقاموا المتاريس الحجرية في الشوارع وأشعلوا الإطارات، في كل أنحاء المدينة وفرقتهم قوات الجيش الإسرائيلي بالقوة، ممـا أدى إلـى إصـابة عـدد مـن المواطنين بجراح مختلفة.

(1) البرغوثي، عبداللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1، 1997، ص 95.

فغنى الشعراء والزجالون لبطولات جبل النار بشرائحه المختلفة مخيماته وقراه، ولأبنائه ونسائه، ورجاله وشيوخه[1]:

مِـــــــنْ جَبَـــــــلِ النّـــــــارْ طَلَـــــــــــــعَ الثُّـــــــــــــوّارْ

طَلْعُوا وَالْفَجْرُ عَلى الآثار

عيبـــــــــــــالُ مُقـــــــــــــيمْ وكـــــــــــــذا جِـــــــــــــرْزيم

وَالشَّعْبُ على عَهْدِ الإِصْرارْ

وكان أهالي مدينتي رام الله والبيرة يخرجون في مسيرات ومظاهرات حاشدة لرفع الهمم والحث على المقاومة، كما كانوا يرددون الشعارات ويلقون البيانات في المساجد، فغنت الجماهير الفلسطينية[2]:.

طِلْعَـت مَسّـيرة فـي وَسْـط الْبيـرة وصْـــلَّت رام الله والْهِمّـــةْ كْبيـــرة
قادَتَّهـــا النَّســـوة تِهتْـــف للـــدَّيره ولَعيـــون بـــلادي دَمَّـــي مَرْهونـــا

*****

فَلَسْـــطين الثّـــورة بإسْـــمِك نادِنِـــا ومَسْـــجِدْ رام الله بِشْـــهَدْ عَلينـــا
بَطْلُـــبْ مِـــنْ الله الْقـــوه تَعْطينـــا تَنْحـــرّر وَطَنَّـــا بـــأقَرَبْ مـــا يْكُونـــا

وكانت سلطات الاحتلال الإسرائيلي ترد على تلك المسيرات بإغلاق المدينتين والمناطق المجاورة لهما، وإعلانهما منطقة عسكرية مغلقة، حيث تقوم بوضع الحواجز العسكرية على المداخل المؤدية إليهما، وإعادة المواطنين الذين لا يحملون هوية منطقة رام الله وتمنعهم من الوصول إلى المدينة.

وفي مدينة جنين، جرت مظاهرات عديدة في أوائل الانتفاضة، كانت تفرقها قوات الجيش بالقوة وكان نتيجة تلك المظاهرات إصابة المواطنين بجروح عديدة واعتقال عدد من الفلسطينيين.فقالوا[3]:

---

(1) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1، ص 294.

(2) المرجع السابق نفسه، ص 205.

(3) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1،ص113.

فـــــي جِنـــــين انْتَفَضْـــــنا وسَـــــلام الْـــــذُّل رَفضـــــنا
حتَّـــــى نحمـــــي عِرْضـــــنا مـــــن الأَيـــــادي الغَـــــدّاره

وقد شهدت مدينة جنين في بداية الانتفاضة اشتباكات ومواجهات عنيفة بين الشبان وقوات الاحتلال وتركزت في جبل الشهيد أبو جهاد ووادي عز الدين وحي المراح. وهاجم الشبان جنود الاحتلال والنقاط العسكرية في أنحاء المدينة بالحجارة والزجاجات الفارغة.

وفي طولكرم جرت المظاهرات كل يوم وقامت قوات الجيش بتفريقها بالقوة، ووقعت إصابات بالغة، حيث جرت مواجهات بين الشبان وقوات الاحتلال بالحجارة والزجاجات الفارغة، وردت قوات الاحتلال بإطلاق الأعيرة النارية وقنابل الغاز واعتقلت عدداً من المواطنين.

"وجرت مظاهرات عديدة في حي الثوري بالقدس، وقام الشبان بإغلاق شوارع الحي بالمتاريس والإطارات المشتعلة، ورشقوا قوات الاحتلال بالحجار، وأطلقت قوات الاحتلال الرصاص المطاطي وقنابل الغاز المسيل للدموع على المنازل. ففي حارة السعدية بالبلدة القديمة رشق المواطنون قوات الجيش بالحجارة وأشعلوا الإطارات، وفرقتهم قوات الشرطة بالغاز واعتقلت عدة مواطنين. وفي رأس العامود رشق المواطنون عدة سيارات إسرائيلية وقوات الجيش بالحجارة وفرقتهم قوات الجيش بالقوة"[1].

صُـــوت القُـــدس لِلقُـــدس بْيهتَـــف ومِـــنْ حَجَّـــري هَالنَّـــازِي بيرجِـــف
يُمَّـــا الجَرحَـــى بالميَّـــات وْدَم الشُـــهدا علـــى أَرضِـــي بِيِّنْـــزِف
طَـــرْد ومَجَـــازِر وَقتلَـــه وَجَمْعَّـــه طَخَّـــه وهَدْمَّـــه وحَبْسِّـــه وَقَلْعَـــه
صُـــوْت رصِـــاصْ النَّـــاس سِـــمْعُه ودَمْ الشُـــهَدا علـــى أَرضِـــي بْيَنِّـــزِف

*****

إِسْمَعوا صُوت القُدس بِتْنادي علـــى الثُّـــوار والْقُـــدْس نَـــادَت عَ بُوعَمَّـــار يحميهـــا
والصَّخرَه تِشْتِكي ظُلْم مِن سَـــطْوةِ الفُجَّـــار والْعَـــذْرا تِبكـــي الْمَهـــد والمَهـــد يبْكيهـــا

(1) شؤون فلسطينية، العدد 183، حزيران 88م عن جريدة الدستور، 88/4/23.

وقد شهدت بلدة يطا في الخليل مسيرات شعبية شارك فيها مئات المواطنين رافعين الأعلام الفلسطينية وصور القائد أبو عمار وصور جورج حبش مثلا، وصور العديد من الشهداء واللافتات التي تدعو إلى إلغاء سياسة الإبعاد ووقف الممارسات التعسفية للاحتلال الإسرائيلي.

لقد قدمت مدينة بيت لحم العديد من الأرواح والدماء في الانتفاضة قرباناً لفلسطين ومهراً لها، وما حدث في المدن الأخرى حدث في مدينة بيت لحم من إغلاق وقتل ومسيرات واحتجاجات.وها هي بيت لحم تشع نوراً من كثرة الدماء التي أريقت واكتست بها ساحات الكنائس، حتى إن الصليب استمد نوره من دم الشهداء فقالوا:

يا بيت لحم هنيَّا لِك ... إشعاع النُّورْ
والصَّليبْ ع ذْيَالِكْ ... ضَوَّى بِهَلالْ

وهتف الشعب التلحمي قائلاً[1]:

أشْبال الثَّورة هالتَّلْحميهْ ... شَحْنِه ثورِيّهْ مِنْ الدْهِيشيّهْ
مِنْ نحالين ومِنْ لعبيديّهْ ... يُسْقطْ عالغاصِبْ جَمْرِ الكانونا

"ومن الأحداث اليومية لمدينة بيت لحم أنه دارت ظهر يوم الأحد 89/10/8م اشتباكات في المدينة أدت إلى إصابة أحد المواطنين بعيار ناري في الظهر، ومن جانب آخر قام المتظاهرون باختطاف سائح ياباني وانهالوا عليه بالعصي والحجارة مما أدى إلى إصابته بجروح، وقد هرعت قوة من حرس الحدود إلى المكان ونقلوا السائح إلى مقر مركز الشرطة ثم إلى جهة غير معروفة"[2].

وفي سلفيت كانت الأحداث أعنف مما نتصور، فقام الجنود، بالقتل والتكسير والتدمير وكان الشهيد ياسر أسعد وحسين كامل من أوائل شهداء الانتفاضة في سلفيت وكانت المسيرات تخرج في سلفيت تهتف بشهدائها الأبرار وتعاهد الشهداء على الاستقلال فيقول راجح السلفيتي:

---

(1) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1، 262.

(2) جريدة القدس، الأحداث اليومية. 89م.

اهْنَـــأ يـــا شَـــهيد الأرضْ　　فـــي جَنْـــات الخالِـــدَّينْ
فِـــدا الأرض وفِـــدا الْعِـــرض　　بِـــدْنا نْخُـــوضْ المَيـــادينْ
حيّـــا الله رُوح الشَّـــهيد　　بِـــدَمو رَوّى تِـــرابْ الأرضْ
عَـــنْ دَربُـــوا أبـــداً مـــا تْحيـــد　　حتَّـــى ننقـــذ شَـــرَف الأَرضّ

وهاهو الشاعر السلفيتي يقول على لسان الشهيد وهي دعوة إلى جميع أبناء الشعب الفلسطيني بالاستمرار، ومواصلة طريق الجهاد حتى تحقق الحرية والعيش بكرامة فقال:

وصّـــانا الشـــهيد وقَـــال　　تنكمِّـــل مســـيرتنا
ونْكَّـــنسْ الاحـــتِلال　　ونْحقِّـــق حُريتْنـــا
وَصَّـــانا وقَـــال الشَـــهيد　　لا ترضُـــوا عِـــيشْ المَذلّـــه
بِـــدْنا نِطْلَـــع فَجْـــر جْديـــد　　ونْبنِـــي الدَّولِـــة المُســـتَقِلة
حســـين الْكامِـــل صَـــرخ وصَـــاح　　حَمَلَـــتْ صَـــرْخاتُه الريَّـــاح
خُـــذوا بتَـــاري مِـــنْ المُحْتَـــل　　رُوحـــي فـــي الْخُلـــد بِتْرتـــاح

وفي أريحا جرت مظاهرات في عدة أحياء قامت قوات الجيش بتفريقها بالقوة.

ومع تصاعد وتيرة الانتفاضة توالت الاضرابات والمسيرات والاحتجاجات حتى عمت كل أرجاء فلسطين، وقد واكب الأدب الشعبي بألوانه المتنوعة هذا الحدث وصوره ببلاغة فائقة، حتى إن أهالي مدينتي القدس ونابلس ثاروا وانتفضوا بالحجارة والزجاجات الحارقة، وقالوا:

فـــي القـــدس وفـــي جبـــل النـــار　　شـــعبي هـــبّ شـــعبي ثـــارْ
يتحـــدى الغـــازي بحجـــارْ　　فـــي جميـــع الميـــادين

*****

صـــامد فـــي وســـط الشّـــارع　　عـــن حقَّـــي وداري بـــدافع
مـــا تِرهبنـــا المـــدافع　　ومـــن غـــازك شـــعبي مـــا يْلـــين

وهتف الشعب قائلاً[1]:

(1) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1، ص96..

والمســـــــــــيرة ســـــــــــيِّرها بكـــــــــل البلـــــــــد دوِّرهـــــــــا
وحِـــــــدِه وطنّيـــــــه شـــــــعَارْهِا وظـــربِ الحجَـــارَهْ أحْسَـــنْ مـــا يكونـــا

واكتملت المواجهة في صد العدو في مدن جنين وطولكرم ورام الله وقلقيلية وبيت لحم.

طلعـــت مســـيره مـــن الميـــدان تنّـــو يسْـــمَعها القاصـــي والـــدَّاني
ورُحْنـــا نَشَـــرْنا أكبـــر إعْـــلانِ لَكُـــلِّ العَـــالَم تـــا يســـمعونا
طلعـــت مســـيره مـــن جـــوّا البيـــرهْ وصـــلت رام الله فـــي هِمِّـــي كبيـــرهْ
قادتهـــا النِّسْـــوهْ تهتـــف للِّـــدْيرهْ لعيـــون فَلَسْـــطينْ دَمْنَـــا مَرْهونـــا
جنـــين وطـــولكرم القـــدس راماللَّـــه نـــابلس قلقيليـــهْ علمنـــا تْعُـــلاَّ
بيـــت لحـــم الخليـــل يحمـــيهن أللَّـــه في غزه شـــو شـــاف الغاصـــب قنونـــا
عـــن الانتفاضـــة الشـــعب مـــا تحـــوَّلْ هَبَّـــتْ فـــي تِسْـــعا كـــانون الأوَّل

*****

انزْلَنـــــــــا عالشَـــــــــوارِعْ رَفَعنـــــــــا الرَّايـــــــــاتْ
غَنْينـــــــــا لَبَلادِنـــــــــا أحْلـــــــــى الأُغنيَّـــــــــات
أَغَـــــــــاني للحَرْيِّـــــــــه لِلْوحِـــــــــدِة الوَطَنيِّـــــــــه
لِلِحَـــــــــرب الشَـــــــــعبِية طَريـــــــــق الإنْتِصَّـــــــــارات

*****

رايِّـــــــة بَلَـــــــدَك عَلِيِّهـــــــا خَلينـــــــا نِتْبـــــــاهى فيهـــــــا
أحـــــــلام أولادَك إحميهـــــــا وْتِكبـــــــد فيهـــــــا الأعـــــــادي

ومن الأحداث اليومية للانتفاضة في مدن فلسطين أيضا الاضرابات ومقاطعة البضائع الإسرائيلية، فقد شهدت مدن فلسطين اضرابات تجارية أدت إلى إغلاق أبواب كافة المحلات التجارية، مما أدى إلى انعدام حركة السير، حيث كانت النداءات عبر مكبرات الصوت تدعو إلى الإضراب وتؤكد على أهمية الالتزام به من قبل الجميع. وكتبوا على جدران المدارس والشوارع شعارات تدعو إلى الإضرابات ومقاطعة البضائع الإسرائيلية ومنها:

"الرجاء عدم فتح المحلات التجارية أيام الإضراب الشامل"

"نحذر مروجي البضائع الإسرائيلية"

وتغنوا بانطلاقة الانتفاضة وشجعوا على الاضراب وتوزيع المنشورات فقالوا[1]:

عَالإضْـــــراب وعَالإضْـــــراب غَـــــزَه وَالضَّـــــفة إضْـــــراب
عَالإضْـــــراب وعَالإضْـــــراب إلِيْـــــوم وبُكـــــرَه إضْـــــراب

******

والبَيَانـــــــاتَ عَلِّقهـــــا بكُـــــل الشَّـــــوارع إطْلِقْهـــــا
كِلْمـــــهْ كِلْمـــــهْ طَبِّقهـــــا لَجْنِـــــة تَعلـــــيم، وعيـــــادي

*****

الْبيانـــــات انْطبعـــــت عَلَـــــى الْأَبـــــواب انْوَضْـــــعَت
شَـــعْبْي شَـــعْبْي نَّـــوى وقَـــال سِـــيروا خَلْـــف الْقيـــادِي
والشِّـــعارات اللِّـــي انْكَتْبَـــت كُـــلْ الشَّـــوارِع عَبّـــت
شَـــعْبي شَـــعْبي نَّـــوى وِقَـــال إحنّـــا إلِنَّـــا السِّـــيادي

وحذر المقاومون من دفع الضرائب للمحتلين:

يـــوم الإضـــراب ولِّعهـــا حركـــات السَّـــير إمنعهـــا
والضـــرايب لا تِـــدْفعها والـــزمْ قـــرار القيـــادي

وهتف طلاب المدارس مؤكدين على ضرورة الالتزام بالإضراب:

كَتَبنـــا عَالْحِيطـــان يـــا أهِـــلْ يـــا جِيـــران
بُكـــرا عِنـــدنا إضْـــراب نِشَـــعِل النِّيـــران
وحضَّـــرنا المتـــاريس والعَجَـــل شَـــعْلان

ومن ردود فعل الأعداء على الانتفاضة، إغلاق المدارس والجامعات مدة طويلة قد تصل إلى أشهر متواصلة، وذلك كنوع من العقوبات الجماعية التي فرضت قصراً على أبناء الشعب الفلسطيني وحرمانه من حقه في التعليم.فوصف الزجال الشعبي بشاعة ما تعرض لـه طـلاب المدارس من خوف وقلق متواصل، فقال[2]:

(1) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبي، ط1، ص97.
(2) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبي، ط1، ص128.

دارت علـــــى أسوار المدارس سكّـــــــَرت أبـــــــوابـــــــها
قتـــــلت عَ شبّـــاك البراءة طفـــــلـــه حـــامله كتـــابـــــها
طفـــــلـــه، أبـــنـــيّه، ملوَّحه بنجـــــــــــــــوم الليـــــــل

ومما كتب على الجدران من شعارات توضح سياسة الجيش الصـــهيوني مـــن تعطيـــل المدارس وتدميرها وإغلاق الجامعات.

"المدارس أمانة في أعناقكم وإن تعطيلها وتخريبها خيانة وجريمة"

"جهاد + تعليم = إنجاز عظيم"

وكانت سلطات الاحتلال تلجأ إلى تكسير أقفال المحلات التجارية المغلقة بسبب الإضراب، مما دفع الأطفال إلى التخطيط لشراء أقفال للمحلات التجارية، حيث يقوم الأطفال بإعادة إغلاق كل محل يكسر قفله.

نِـــزِلْ البيَـــانْ وخَبَّـــرْ شَـــعبي إجَّمْهَـــرْ والشَّـــــارِعْ كُلُّـــــو تْفَجَّـــــرْ عَـــــالإحتلالْ
والتَّـــاجِر لمَّـــا تْخَبَّـــرْ راحْ وْسَـــكَّرْ عَالبَـــابْ الجُنْـــدِي عَسْـــكَرْ يكْسِـــرْ أَقْفَـــالْ

ومن الأحداث الهامة التي حدثت في الانتفاضة الأولى ملاحقة العملاء والمندسين، والعمل على ردعهم إما بالترهيب أو بالقتل والتشويه، وقد تمت تصفية العديد من المتعاونين الذين ثبت تورطهم بطرق مختلفة كالشنق وتعليق الجثث على أعمدة الهاتف والكهرباء، كما حدث في قباطية، حيث قام أهلها بقتل العميل "محمد العايد" في شهر آذار وعلقوا جثته على أعمدة الكهرباء، فخرج أهل قباطية ينشدون ويهللون فرحين بمقتله مشيدين ببطولات شباب قباطية، فقالوا[1]:

أهْـــل قباطيـــا عـــالْجيش تتغلّـــب إلهُـــــم فَعايـــــل منهـــــا تتعَجّـــــب
يشْـــهد عليهـــا عمـــود الْكَهـــرب مصـــــير الخـــــاين هيـــك لازم يكونـــــا

(1) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبي، ط1، ص113.

وكذلك اشتهرت بلدة يطا والظاهرية بشنق العملاء والمندسين وتصفيتهم[1].

الظاهريـــة وقباطيـــا لبـــت النّـــدا نفـــذوا الإعـــدام فـــي هـــالعُملا
يشـــهد عليهـــا عمـــود الْكَهربـــا هَاظَّـــا حكـــم الشَّـــعب فـــي إِللِّـــي يخوننـــا

وقالوا أيضا[2]:

مصـــــــير العمالِـــــــهْ عمُـــــــود الكَهربَـــــــا
الْفَهـــــــد بثَّـــــــواني شَـــــــنَّقُ الْعَميـــــــل
فـــــي الأسْـــــبُوع الثَّـــــاني فـــــي يَطَّـــــا والخَليـــــل
كَسَّـــــروا الأَربَعْطَـــــش قـــــالوا مـــــا يـــــنْفَعشْ
بِتْـــــروح ومِـــــا بِتِّـــــرْجَعِش أَيَّـــــام الصِّـــــبا

وأكد الشعب الفلسطيني المنتفض على أن الحق لا يعود إلاَّ بالقتال بجميع الأدوات والأسلحة، فقاتلوا وثاروا قائلين:

الأمـــل معقـــود عزمـــو بالقضِّـــيهْ مـــا رَدِّ الْحَـــقّ غيـــر البَنْدُقيّـــهْ
بغيـــر العنـــف مـــا نحقـــق نتيجِـــهْ وبغيـــر سْـــلاحْ مـــا نِنْـــزَعْ قضـــيِّه

وكان أكثر الأسلحة استخداماً هو الحجر فهتفوا له وحيوه واعتبروه من الأحجار الكريمة الغالية النفيسة، فغنى الشعب الفلسطيني[3]:

بحجـــارة مـــن جبـــل النـــار حلَـــفِ الشَّـــعب الأحـــرار
مـــا بنهـــاب إطـــلاق النـــار *** معروفـــه مـــن ماضـــي ســـنين**

يـــا إمِّـــي لا تْبكـــي يـــا إمّـــي جايـــب كَبْشِـــة حْجَـــارْتي جايـــبِ مَعَـــايي
شَـــبَابْ الْحَـــارَهْ كُلْهُـــمْ وَرَايِّـــي أَللَّـــهُ أَكْبَـــرْ عَلّـــي يْعادُونـــا

(1) المرجع السابق نفسه، ص 113.
(2) المرجع السابق نفسه، ص 194.
(3) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبي، ط1، ص95.
* كبشه: مجموعة.

وقد اعتبر الحجر السلاح الأقوى، فكان رمزاً من رموز نضال الشعب الفلسطيني فـذكر مرات كثيرة في شعاراتهم فقالوا:

"بالحجارة انطلقنا وبها سننتصر"

وهتف الشعب:

تحيتنـــــــــا بحـــــــــرارة لضـــــــــرِّيبة لحْجَـــــــــارَة

وقد تطورت أسلحة المتظاهرين من حجارة إلى مقاليع إلى زجاجات حارقة ومتـاريس، وصولاً إلى الأسلحة روسية الصنع.

بْنَـــــــارِ المُولُوتُـــــــوفْ[2] بمُغِّيطَـــــــة وحْجَـــــــارْ
ثُرنـــــــا عَالصَّـــــــهيوني هَـــــا النَّـــــذْلِ الغَـــــدَّارْ
حـــــرب احجـــــارَهْ ومْوْلُوتُـــــوف عاصِـــــفَهْ وكْلاشِـــــنْكوفْ[1]
أربـــي جـــي[3] مـــع ديكتريُـــوف[4] هاظـــا سَـــلاَحِكْ ثَورتْنـــا
شـــعب الضـــفَّة والقطَـــاع لا بِهْـــدا ولا بِخْضَـــعْ
ثوْرتْنـــا الخْـــوضِ بْصِـــراعْ حتـــى نِبْنـــي دُولتْنـــا
ابْنُقِيفـــه ومولوتُـــوف الكُـــل يْقـــاوِم سَـــويّهْ
شَّعـــب فَلَسْطـــين الْمِغوار ربيُـــوا أولادُو فـــي الـــدار
أللهْ أكبَـــر يَـــا ثِـــوَّارْ يلَّـــه عَلـــيهِم بِلحْجَـــارْ
بِالمُغِّيطَـــهْ قَزَايـــزْ نَـــارْ بْنتحَـــدَّى لِكْبيـــرْ فِـــيهُمْ
رابـــين هـــات جنـــودك هـــاتْ إحنـــا بنملِّـــك مقليعـــات
مـــا بنِتْهَّـــرَب للسَّـــمات بِنْـــدافع عـــن الْقَضـــيِّهْ
احمـــل كلاشِّـــن بالإيـــد وقُنْبِلِـــه يَدَوَيـــه

---

(1) كلاشنكوف: سلاح روسي الصنع.

(2) المولوتوف: الزجاجات الحارقة، يدوية الصنع.

(3) أر بي جي: سلاح قاذف.

(4) ديكتيريوف: سلاح روسي الصنع.

*نقيفه: أداة يدوية الصنع لرشق الحجارة.

* رابين: اسحق رابين، رئيس وزراء إسرائيلي الذي بدأ عملية الاعتراف المتبادل مع منظمة التحريـر الفلسـطينية، تـم اغتياله من قبل يهودي متطرف عام 1995.

بُكْـــرا، انْعَمِّـــرْ، بُكْـــرَا انْشِـــيد دَوْلِتْنـــــــــــا الْوَطَنِيِّـــــــــــهْ

من مظاهر الانتفاضة أيضا إشعال الإطارات في الشوارع تعبيراً عن الغضب والرفض لسياسات العدو المتبعة، فهتف الشعب الفلسطيني في المظاهرات قائلاً[1]:

يا زريف الطُّول ضـرْبِ الحجـر شَـدْ فـــي الْمظَّـــاهرات ظَلَّـــك مُســـتَعَد
في وسط الشَّارع جيـب حْجَـار وسِـدّ ولّـــعْ للعِجْـــالِ وصُـــد أعْـــدَائِنا

وغنى الشعب الفلسطيني[2]:

ولَّــع اعْجَــالُو فــي الطّريــق وْسَــدُّو هـــوِّ وْرِفَـــاقُو للنِّضَـــالِ يْزيـــدُو
لِسْـــمِ انتفاضـــة والحَجَـــر صَـــاحِبها قيـــام دولِـــه للـــوَطَنْ مطْلبهَـــا

وهتف الشعب الفلسطيني قائلاً [3]:

انتفاضـــــــة بِلِعْجَـــــــالْ ضـــــدِّ العَـــــدُوِّ الغَـــــدَّارْ
واِتْحَـــــــدِّينا الرَاجِمـــــاتْ بالبلطَـــــــهْ والشِّـــــبريِّهْ

لقد عبر الشعراء عن الأعمال الوحشية التي كان يقوم بها جيش الإحتلال مـن اعتقـال وتدمير وحتى تحطيم الأضلع والأيدي، فقالوا[4]:

ايد الولد كسـروها لـيش رفـع العلـم بحيـاة دينـك اشّـو هـالجُرُم المخيـف
بنعرف بني معـروف فـي كـل القـرى فـي دمهـم طبـع الشـهامة والقـرى
صاروا يقتحمـوا دورنـا يهينـوا المَـرَا ويكسّروا الصـبيه علـى حـد الرصـيف

حتى إن الطفل الرضيع، والمرأة العجوز لم يسلما من أعمال جيش الاحتلال، فقالوا:

مجَـــــازِرْ خلْـــــفِ الـــــدَّارْ والعَـــــالَمْ أطـــــرَشْ ولا يسْـــــمَعْ
والطِّفْـــلْ أَصْـــبحْ فـــي الشـــوارِعْ دَمُّـــهْ نـــَزيفُ وْعينـــــو بْتِدْمـــع

(1) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1، ص200.
(2) المرجع السابق نفسه، ص 141.
(3) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1 ص 105.
(4) المرجع السابق نفسه، ص 201.

وكانت المخيمات من أكثر المناطق تعرضاً للأعمال الوحشية، فكان أهلها أكثر المقاومين والمقاتلين للجيش، فقالوا[1]:

قَطْعِ الْكهربْ والْميَّهْ والْمُخَيَّمْ مْحَاصَرْ
والْمُونَهْ زيتُ وْميَّهْ وبِنْتَحَدّى غَاصِبْنا

*****

إنتفاضه شعبيَّه ضِدّكْ يا صهيونيهْ
انْدَلعَتْ في المخيماتْ بِتْطَالِب بالحُريَّهْ

*****

ياكُل الدْنيا شُوفيني مخيم، قريةَ، أُمدينة
شُوفي الْجيش الْفَلسْطيني زَهرات وأشبال

كما كانت قوات الاحتلال تقوم بحملات اعتقالات واسعة على الحواجز، واعتقال العديد من الشباب واحتجازهم، واقتلاع الأراضي المزروعة وجرفها بالجرافات وحرق المزروعات وأشجار الزيتون، فقالوا في تلك الأحداث[2]:

يَا غازي يااللِّي اسْتَوْطَنِت بأرْضي وْأَحرقت الزَّيتُون
مَهمَا خَرَّبتُ ودَمَّرْتْ وْعَذَبْتُ وعَبِّيتْ سْجُونْ
مَهمَا شَرَّدِت وأَبْعَّدْتْ وَشَكَلْت مْن القَمْع فْنُونْ
ابْنُخْرُجْ لَكْ مِنْ كُلْ بِيتْ بْوِجْه المْوتِ بنْتبسَّمْ

واستخدمت قوات الاحتلال أسلحة متنوعة لقمع الانتفاضة وإطفاء جذوتها، فاستخدمت الرصاص الحي وقنابل الغاز المسيل للدموع، وكانت تطلق النار على طلاب المدارس في أثناء توجههم إلى مدارسهم والتنكيل بهم واعتقالهم، فأنشد الفنان الشعبي منشداً بأعمال الجيش الإسرائيلي الهمجية فقال:

طفح الكيل عن حَدّو وزاد تكسير وقتل وإبعاد

(1) حميد، خميس، وطنيات الحادي، راجح السلفيتي، ط1 2003،ص27.

(2) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1، ص205.

آبانـــــا بعـــــد الأجـــــداد علّمْونـــــــا التضـــــــحية

*****

مـــا بنخـــاف الغـــاز ولا المطـــاطي رابـــين النـــازي هيـــو بهـــاتي
مهمـــا اعتقلتـــوا بالكَبسِـــيَّاتْ[1] بنظـــلّ انقاتـــل مـــا بترهبونـــا

وكثرت حملات الاعتقال فزجت قوات الاحتلال المئات بل الألوف من المعتقلين في سجونهم، أو ظلت تطاردهم وتهدد حياتهم وأمنهم.

سَـــجّان أبـــوك يـــا سِـــجنْ وامْفـــارقْ احْبـــابيْ
واللّـــي مـــا عِنْـــدو حِـــزنْ يبكـــي عَ شَـــبابيْ

*****

فـــي كُـــلْ خُطْـــوه سِـــجنْ فُـــوقْ السِّـــجن قَنّـــاصْ
والقَمِـــع عِمْلـــوه فَـــنْ أشْـــكَال ريّـــا اجْنَّـــاسْ
يـــا اخْسَّـــارهَ غَـــاب السَّـــبع واتْمَـــرَد النِّســـنَاس

وقالوا عن المداهمات الليلية:

طُـــول اللّيـــلْ مُـــدَاهَمَّات فِـــي دَارِي بَطِلِـــتْ أَبَـــات

وهتف طلاب المدارس والجامعات مؤكدين على الصمود والتصدي للاحتلال و ممارساته العنيفة.

مـــا تِرْهِبنْـــا الحُشُـــود العَســـكَرية ولا إللّـــي عَ جبـــين الطِفـــل داســـوا
ولا وحُـــوْش الظَـــلام الصَّـــهْيُونية إللّـــي إِتهجّـــم عَالشّـــعب بِـــدْها إِفْتِراســـوا
ولا الإبعـــادْ ولا الســـجُون النازيّـــة عَـــنْ المُحْتَـــل مَـــا يْزيلـــو انتِكاسُـــو

وكان المستوطنون يقومون بهجمات ضد الفلسطينيين العزل في جميع المناطق الفلسطينية،من مهاجمة السيارات المارة وتحطيم زجاجها، وإطلاق النار عشوائياً. فقالوا في هذه الأحداث:

(1) الكبسيات: الهجمات المباغتة.

قُـــــلْ لَشَـــــامير[1] وْرَابـــــينْ مَـــــــعْ قُطْعَـــــــانُو الْفاشِـــــــيَّهْ
صِـــــرْتُوا الوَرَثـــــةِ الشَّـــــرعيِّينْ لِلتَّركـــــــــــــاتِ النَّازيّـــــــــــهْ

*****

مـــــــا ترْهِبْنـــــــا المَـــــــدَّافعْ وْمِـــــن غَـــــازَك شَّـــــعبي مـــــا يلـــــينْ
فـــــي الشَّـــــوارِعْ نِلقـــــى المُـــــوتْ نتعـــــــانَق معـــــــه ومَـــــا نعـــــودْ
مـــــا بِنهـــــاب الاسْـــــتيطانْ دســـــــــــتورنا آيْ القُـــــــــرآنْ
مَهْمـــــا جـــــابُوا طَيَّـــــاراتْ ومدفعيّـــــــــــه ودَبابَّـــــــــاتْ

وقد قوبلت هجمات المستوطنين بالتحدي والمواجهة، فقال الشعب الفلسطيني في ذلك:

يـــــا ويـــــل المُسْـــــتوطِنين مِـــــــن الْغـــــــارَه الجوَّيـــــــهْ

وقد مارست قوات الاحتلال الضغط على المواطنين بالحصار المشدد والتنكيل بهـم، إلا أن الشعب الفلسطيني أصر على كسر الطوق والخروج إلى الحياة بكل تحد وإباء، فغنوا مؤكدين على روح التحدي:

حاصَـــــــــرنا الْحِصّـــــــار وشَّـــــــــبينا عـــــــــالْطّوق
وانْزلْنـــــــا عَالشَّـــــــوارِع والرَّايـــــــــــهْ لَفُـــــــــوق
شَـــــــبَاب مْلَتَّمـــــــين وَلِفْلَسْـــــــطين الشُّـــــــوق

ومن أشكال الحصار المتبعة محاصرة الأماكن المقدسة أثناء الصلاة في المسجد الأقصى المبارك والحرم الإبراهيمي في الخليل، وكنائس بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور بين الحـين والآخر وذلك تحسباً من وقوع أحداث، وتشديد الحصار على المصلين، فقالوا:

شَـــــعب تِحاصَـــــر صـــــمدْ فـــــي البـــــرِّ والبحـــــرِ
واللِّـــــي عليـــــه اعتمـــــدْ يايمَّـــــــــا ينْتصـــــــــرِ

وغنى الشعب الفلسطيني قائلاً:

إلصَّـــــخْرَة و الأقْصَـــــى الحَـــــزينْ بنـــــادُوا عَلَـــــى الْمِسِـــــلِمينْ

(1) شامير:اسحق شامير، رئيس وزراء إسرائيلي (1988– 1992)

لا تِحْزَنـــــي حَـــــدِّكْ شَـــــبَابْ ***** الفَزْعـــــهْ مِـــــنْهُمْ والْمسَـــــدَدْ

قَـــالِ الولَـــدْ للقُـــدِسْ فينـــا نـــارْ مَهْدِ المسيحْ عيسى وْ رَوائِـــعِ الأحْـــرارْ
والمَسْجِدِ الأقْصى مَسْرى النبيِّ المُخْتـــارْ عَهْدكْ علينا يا وطَنْ هَنْكمِّـــلِ المشْـــوارْ
*****

يـــــا أقْصـــــانا السَّـــــجينْ يـــــا زَهْـــــرة فَلَسْـــــطينْ
أبْشِـــــــــرْ والله جـــــــايينْ لَـــــــــدَحِرْ لِوْغـــــــــادْ
*****

حَـــــرَمِ الخَليـــــلْ نادانـــــا وْأمِـــــر القَسَّـــــامْ أجانـــــا
إخْـــــواني لِبْســـــوا الأكفَانـــــا المُـــــوت مـــــا يحْسِـــــبوا حْســـــابا

وقد كانت سياسة الاعتقالات والاغتيالات لنشطاء الانتفاضة في الداخل والخارج واضحة للعيان، وأكبر مثال على ذلك حادثة اغتيال القائد خليل الوزير"أبوجهاد" علـــى أيـــدي الموســـاد الإسرائيلي الذي وقع في منزله بتونس في 1988/4/16، فبكت فلسطين القائد وهتـــف أبناؤهـــا غاضبين مستنكرين للحدث.

لمَّـــــا اغْتـــــالوا أبـــــو جهـــــادْ الموســـــــــــادْ الأوغـــــــــادْ
بِـــــدْنا ع أُهبِـــــة لِاسْـــــتِعْدادْ شـــــهادِة ونصـــــرْ غايتنـــــا
*****

إللِّـــــي اغتـــــالْ أبواجِهـــــادْ بِوقَـــــعْ فـــــي شْـــــباكِ الصَّـــــيّادْ
إغْتالـــــتْ شـــــخْصِ، الموســـــادْ ماإغْتـــــــــالْتش القضـــــــيِّهْ

وقد قامت قوات الاحتلال باغتيال المهندس يحيى عياش وهو أحد قادة حمـــاس بتـــاريخ 1996/1/5، وذلك عندما انفجر الهاتف النقال في يده بينما كان يحدث والده. وقد قارع الشـــهيد المهندس الاحتلال وأقض مضجعه. ويعتبر عياش المؤسس للعمليات الاستشهادية فـــي العمـــق الصهيوني.

يحيـــــى عيَّـــــاشْ جَهَّزنَـــــا بالسَّـــــــــيّارَة فَخَّخْنـــــــــا
حُـــــوضِ الرسُـــــولْ مَوعِـــــدْنا مَـــــــعِ الحُوريِّـــــــه نِتْغَنَّـــــى

ومن سياسة الأعداء الاعتقال دون اعتبار لكبر السن أو العجز أو المرض كما حدث للقائد "أحمد ياسين"، الذي اعتقل عام 1989.

شيخنا أحمد المغوارْ علمنا درب الأحرارْ
بيها ترجع إلنا الدّارْ والدولة الاسلاميّهْ

وقد لجأت سلطات الإحتلال الى عملية الابعاد والتهجير القسري للنشطاء الفلسطينيين محاولة بذلك التخفيف من وطأة الضربات التي تعرضت لها، ولعل إبعاد أربعمئة وثمانية عشر فلسطينياً الى "مرج الزهور" في لبنان خير مثال على ذلك، وذلك عند مقتل الجندي "نسيم توليدانو" بعد خطفه وقد حدث ذلك في يوم 1992/12/17، وعندما حاولت اسرائيل ابعادهم الى لبنان ورفض لبنان السماح بإدخالهم ومنعت اسرائيل عودتهم الى ديارهم إلا بعد أن يقضوا حكم الإبعاد والبالغة مدته عاماً كاملاً، وبعد انتهاء المده عاد الأبطال الى ديارهم واستقبلهم الشعب الفلسطيني بأغانٍ وهتافات تمجد صمودهم وبطولاتهم.

مِنْ مَرجِ لزهُورْ يا أُمِّي طلَّت الأسُودْ
هلَّت البشَايرْ مِن آخِر لحدودْ
أبعَدوكو لأَنْكُو طلائِعْنا في الجِهادْ
و ارْجعتو زي ما كُنتو ترعبو اليَهُودْ
مِن جِبال الثَّلِج عُدتمْ ترْفعوا رايةَ وطَنكُمْ
الأقصى نادى عَليكُو إسْحقوا اليَهُودْ

من المجازر المهمة التي قام بها جيش الاحتلال مجزرة الحرم الابراهيمي وذلك في فجر يوم الجمعة،منتصف رمضان 1414 هـ، في 25 شباط 1994 حيث هاجم مستوطن اسرائيلي (غولد شتاين)المصليين مع بدء السجدة الاولى، واطلق عليهم الرصاص عشوائياً، فقتل العديد من الفلسطينيين وجرح المئات.

ووصف الشاعر محارب الذيب بشاعة الجريمة التي وقعت بالحرم الابراهيمي، وفي وصف هول المصيبة قال الشاعر مخاطباً سيدنا ابراهيم –عليه السلام–.

قم من ضريحك سيّدي واحمي الحِمَى أيـــا ســـيد الخليـــل يـــابو الظيفـــاني[1]
سال ابْ مقامك ســيدي أطهــر دِمَــا وهـــم ســـاجدين للواحـــد الـــدياني
شُـــكْراً لســـكان الجليـــل اســـتنكروا يهـــودي أدرزي أمســـلم أنصـــراني

يستلهم الشاعر تاريخ الحرم الابراهيمي الشريف من حيث صلته بالنبي ابـــراهيم عليـــه السلام ثم يصور بشاعة الجريمة التي نزلت بالمصلين الطاهرين الذين لا ذنب لهـــم، إلا انهـــم أقبلوا على ربهم طائعين عابدين في صلاة الفجر.

كما يثمّن الشاعر موقف سكان الجليل الأعلى على مختلف طوائفهم الإسلامية والمسيحية والدرزية واليهودية إشارة إلى حركة السلام اليهودية، الذين شاركوا شعب فلسطين مأساته، كما وصف الشاعر تضامن أهل المثلث من الأراضي المحتلة عام 1998 فقال:

أهْـــــل المثلـــــث شُـــــجعاني بحيّـــــيهم أبـــــو ســـــليماني
أيْ عِنـــــدهم تَقْـــــوى أُ إيمـــــاني هبّـــــوا معنـــــا أب هالأوطـــــان

إنهم شجعان في موقفهم، فلقد وقفوا إلى جانب إخوانهم الفلسطينيين وأعلنـــوا رفضـــهم للجريمة التي لحقت بالمصليين الأبرياء.

لقد سخر الشعب الفلسطيني من مجيء الساسة الأمريكيين الذين كانوا يحاولون الالتفاف على إنجازات الانتفاضة، وأن هذه المبادرات الأمريكية لم تجد نفعاً، ذلـــك لأن تـــاريخ أمريكـــا معروف في المنطقة وسيرتها مع الشعوب الأخرى في الذاكرة.وقد ارسل المبعوث تلـــو الآخـــر للأراضي الفلسطينية المحتلة محاولين إطفاء جذوتها، فغنى الشعب الفلسطيني[2]:

رِجِـــــع بَيْكَـــــر بَعـــــدِ غْيَـــــابْ فَكَّـــــرْ حـــــالوُ غـــــاب وجـــــابْ

---

(1) أبو الظفياني: يامن كنت تكرم الضيوف.

(2) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1، ص117.

* بيكر:هو جيمس بيكر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة 1988– 1992.

* بوش: هو جورج بوش، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة 1988– 1992.

*هنا إشارة لهجوم أمريكا وحلفائها على العراق، واحتلالها لفيتنام الشمالية، وإلقاء القنبلة الذرية على اليابان، وعداءها لكوبا.

إِرْجـــعْ عَ بْـــلادَكْ يـــا غْـــرابْ *** هِيْـــــكِ تقُـــــولِ البُندقيِّـــــهْ**

بُـــــوش بْيـــــدعي للسَّـــــلامْ شُـــو بْيحكـــي مَلـــكِ الإِجْـــرامْ
نِســـــيْوا بَغْـــداد وفِتنِـــام وهيروشـــيما وكَوبـــا الأبيّـــهْ

ومن أهم الأحداث السياسية في الانتفاضة الأولى وجـود أحـزاب وتنظيمـات وطنيـة وإسلامية كان لها كبير الأثر في المشاركة في فعاليات الانتفاضة وتوجيهها، منها حركة "فـتح" التي انطلقت في 1965/1/1.

حركتنـــــــا الفتحاويِّـــــــهْ حركـــــه كْبيـــــرة وقويِّـــــهْ
عمَّرهـــــا ياسِـــــر عرفـــــاتْ بالنَّظريِّـــــهْ الثوريِّـــــهْ

ومن تلك الأحزاب أيضا حركة المقاومـة الاسـلامية "حمـاس" التـي انطلقـت فـي 1987/12/14.

فـــــــي يـــــــوم 12/14 طَلَـــــعْ فجْـــــرِ الحريِّـــــهْ
سَـــــمُّوها حركِـــــةْ حمـــــاسْ هـــــا الحركِـــــة اســـــلاميِّهْ

وأيضا الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، التي انطلقت 1969/2/22، وهـي حركـة وطنية.

وبْســـــنْةِ التســـــعهْ وســـــتينْ فـــي اثنـــين وعشـــرين شـــباطْ
إنطلقَـــــــتْ شـــــــرارتنا وانْضـــــــمّينا للثَّـــــــورةْ

هذه بعض الأحداث اليومية التي حدثت في الانتفاضة الأولى من إضـرابات وإغـلاق محلات تجارية و مسيرات، وإغلاق مدارس و اغتيالات، وكان الأدب الشعبي وبخاصة الأغنية الشعبية مواكبة للحدث متماشية معه.ولقد كان التركيز على الأغنية الشعبية أكثر من غيرها مـن الفنون الشعبية، لأن الفنون الأخرى بحاجة إلى فترة من الزمن لتنضج وتظهر إلى السطح؛ لهذا كان الاهتمام بالأغنية الشعبية لأنها وليدة اللحظة والحدث.

وأهم ما يلاحظ على هذه الانتفاضة ما يلي:

1- اشتراك كل فئات الشعب فيها.

2- سرعة انتشار الانتفاضة على صعيد الضفة وغزة وأرض 48، فما أن تفجرت في غزة حتى امتدت لتشمل أرض فلسطين كلها.

3- الجرأة والجسارة من كافة فئات الشعب من الشباب والكهول والنساء والأطفال، فالكل يخرج ويواجه ويقدم، والشباب يقودون المسيرات ويدعون لها، والأطفال يحملون الحجارة والنساء يحملن أوعية الماء ويقفن صفوفاً لتعطيل وإعاقة جنود الاحتلال في أوقات المناورة، لدرجة أن الكثيرات منهن أجهضن بسبب الغازات والاعتداء بالضرب، والفتيات يهتفن ضد الجنود.

ومن الأحداث الهامة في التاريخ الفلسطيني التي حدثت في الانتفاضة الأولى:

أولاً: مجزرة الأقصى المبارك:

"في يوم الاثنين الموافق 1990/10/8م، تخضبت ساحات وباحات الأقصى المبارك بدماء الشهداء من أبناء الشعب الفلسطيني، فيما قدرت الوسائل الاعلامية والصحفية عدد الذين جرحوا بأكثر من ثلاثمئة"[1].

"واندلعت الأحداث في ساحات الأقصى عندما حاول أفراد جماعة ما يسمى بـ " أمناء جبل الهيكل"، اليهودية المتطرفة دخول الحرم الشريف بالقوة لوضع حجر الأساس لهيكل سليمان وإعادة تشييده بدعوى أنَّ المسجد الأقصى بني على أنقاضه فتصدى لهم الشبان بالحجارة وردت قوات الشرطة وحرس الحدود بإطلاق النار واستشهد 22 مواطناً وتم اعتقال المئات من بينهم الشيخ محمد سعيد الجمل مفتش المحاكم الشرعية"[2].

---

(1) البيادر السياسي/العدد 332-90/10/30.

(2) المصدر نفسه.

وطالبت الشخصيات الفلسطينية بإجراء تحقيق فوري ونزيه ومعاقبة المسئولين في الشرطة عما حدث، فجاء الأدب الشعبي بفنونه المختلفة ليعبر عن هذا الحدث تعبيراً صادقاً ممزوجاً بدموع الحزن على فقدان كثير من الشهداء.

وبْقَلبِ الأُقصَى صارَتْ جَريمه نَفَذْهَا النَّازي بْخِطَّة لَئِيمَةْ
رَسَمْهَا شَامِيرِ بْدَعِمْ حُكُومِي لِقَتِلْ هَالشَّعِبْ تايْرهِبُونَا

وكتبوا شعارات تعبر عن الحزن لفقدان الشهداء ومواساة الأسرى والجرحى

"المجد والخلود لشهداء مجزرة الأقصى".

"على درب شهداء الأقصى بنسير وتحية لكل جريح وأسير".

وكانت الآية الكريمة التالية مدونة على كثير من جدران فلسطين، قال تعالى:

"ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون"[1]

وهتف الشعب الفلسطيني بهتافات مليئة بالغضب والحقد على شامير منفذ مجزرة الأقصى.

يا شامير يا معروف بدك ضرب بالمولوتوف
يا شامير يا حمار مين ولاك هالدار

وهتفوا:

باب الأقصى من حديد ما بفتحه الا الشهيد
باب الأقصى من صوان ما بفتحه إلا الثوار

ثانياً: مرحلة دخول السلطة الوطنية 94 وحتى أيلول 2000:

إن التفاعل الشعبي مع هذا الحدث اقتصر على حلقات الدبكة والرقص التي رحبت بدخول السلطة، ولهذا لم تنتج القرائح الشعبية الأغاني التي تصور هذه الفترة في الأغاني الشعبية، وقد تصدت وسائل الإعلام الرسمية لإذاعة الأغاني التي تمجد دخول السلطة والعمل

(1) سورة آل عمران، الجزء الرابع، آية 169.

من أجل إقامة الدولة الفلسطينية، لقد قامت وسائل الإبداع والإعلام الرسمية بتأليف بعض الأغاني وتلحينها التي تتحدث بدورها عن هذه الحقبة.

لقد تحدثت الأغاني عن أريحا وغزة بداية، ثم باقي البلدان والمدن الفلسطينية، ثم أغاني التمجيد للقيادة، وغير ذلك من تمجيد بعض التنظيمات الفلسطينية، وقد ركزت كلها على أَن الطموحات الفلسطينية بدأت تتحقق، وأن هناك سلطة فلسطينية على المناطق المسماه بألف وهذا مقطع من أغنية تؤيد قرار غزة وأريحا، مثل [1]:

مِنْ غَزِة ومِنْ أريحا هَذِي لِلقُدِس تَحِية
غَزِه أريحا بِدينا إلسِّير بِاسِمْ منظَّمْة التّحْرير
حَق الْعَودةْ والتَقرَّير هِيَ أساس القَرار

ولكن كل ذلك لم يمنع ظهور بعض الأغاني لبعض التنظيمات المعارضة التي كانت تؤكد على أنَّ فلسطين بحدودها التاريخية هي لأهلها الشرعيين أبناء فلسطين مثل[2]:

حُدود بْلادي ما هي مَنَكُورة رَفَح مِن قَبْلِهِ وشاما الناقورة
والبْحِر الأَبيض غَربَا مَشْهورة ويا نَهْر الأرُدْن من الشَرق يَكُونا

كما ترددت بعض الأغاني التي ترفض الحكم الذاتي والحل السلمي الذي لا يعيد لنا كل فلسطين كما وضحت حدودها في الأغنية السابقة. [3]

غزِّة أريحا ما بِدنا عالخِداعْ اتعوَّدْنا
أمريكا بِتْراوِغْنا وْبِدْها نَسْف القضِيَّة

وجاءت الهتافات أيضاً بين التأييد والرفض فمن الهتافات الرافضة لقرار غزة وأريحا.

شَعِبْنَا بِرفُظ الحُكْم الذَّاتِي مَهْمَا في الضَّفّة تِكْبَرْ بَلْواتِي

---

(1) البرغوثي، عبد اللطيف محمود، ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1 1997، ص154-155.
(2) المرجع السابق نفسه، ص155.
(3) ابو هدبة، عبد العزيز، مجلة التراث والمجتمع، العدد 36، ص98.

ثالثاً: انتفاضة عام 1996:

"منذ ساعات الصباح الأولى ليوم الخميس الموافق 26 أيلول 1996، خرج آلاف الفلسطينيين من المدنيين العزل في مظاهرات سلمية عفوية ضد جنود الاحتلال المتواجدين في مناطق عديدة في قطاع غزة، خصوصاً في المناطق المحاذية للمستوطنات الإسرائيلية وعلى محاور الطرق التي يسيطر عليها جنود الاحتلال داخل القطاع وعلى مقربة من المعابر الحدودية مع الدولة العبرية"[1]. وقد اندلعت أعمال الاحتجاج السلمية في ظاهرها في أعقاب مقتل خمسة من المدنيين الفلسطينيين وإصابة عشرات آخرين بجراح برصاص جنود الاحتلال في عدد من المدن الفلسطينية في الضفة الغربية، خصوصاً في رام الله والقدس وبيت لحم يوم الأربعاء الموافق 25 أيلول 1996م خلال مظاهرات سلمية اندلعت على خلفية قرار الحكومة الإسرائيلية فتح نفق أرضي يمر تحت الحرم القدسي الشريف، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وأحد أهم المقدسات الإسلامية للفلسطينيين والعرب وجميع المسلمين في العالم.

المرحلة الثانية:

انتفاضة الأقصى عام 2000:

تفجرت الانتفاضة الفلسطينية الثانية في التاسع والعشرين من شهر أيلول عام 2000 بعد سبع سنوات من اتفاق "أوسلو" الذي فشل كما فشلت كافة الاتفاقيات التي أعقبته. وهي اتفاق القاهرة وواي ريفر واتفاق الخليل ومفاوضات كامب ديفيد.

وقال الشاعر "توفيق عمارنة" عن الاتفاقيات الفاشلة:

قَضَينا العُمُر يا خُوي ... نِتْعَلَّق بِالَذِي آتْ
نِذْرِف دُمُوع الدَّم ... نِبْكِي عَلَى اللَّي فَات
كان الزَّرع فيما مَضَى ... في ديرةَ إِلغُربة
يَرعَى وُجُوده الْعَرَب ... حتَّى أَتَى السَّادات

(1) جباره، تيسير، تاريخ فلسطين، ط1، 1998، دار الشروق للنشر والتوزيع.

مِـــــــن أُوســـــــلو بَـــــــدأ نَقْـــــــل الـــــــزّرع لِلسَّـــــــاحة
وتِفاعَـــــــل الـــــــدَّم والتُّربِـــــــة عَلـــــــى أكْبَـــــــر سَـــــــاحة
لابـــــــد نُحْصِـــــــد ثمْـــــــرُه والـــــــزَّرع عَنَّـــــــا مُبَـــــــارَك
يُـــــــوم السَّـــــــفْينة تَخْتِـــــــرق طُـــــــرُق المَلاَحَـــــــة

وكان السبب المباشر لاندلاع هذه الانتفاضة هو دخول ارئيل شـارون باحـة المسـجد الأقصى، وبعد أن استلم شارون رئاسة الحكومة الاسرائيلية في بدايـة العـام 2001، وازدادت الممارسات الوحشية من القوات الاسرائيلية، وازدادت تضحيات الشـعب الفلسـطيني ومعاناتـه اليومية، استمرت حكومة شارون في رفض قـرارات الشـرعية الدوليـة المتعلقـة بالقضـية الفلسطينية، وازداد التوسع الاسرائيلي في الأراضي الفلسطينية، كما ازدادت مصادرة الأراضي، واستمر التهويد في القدس وفي الضفة الغربية وقطاع غزة لخلق الواقع الجديد[1].

الله أَكْبَـــــــر الله أكْبَـــــــر الله أَكْبَـــــــر الله أكْبَـــــــر

*****

مِـــن يُـــوم الجِمْعَـــة نِبـــدا هَالقصـــةْ شَـــارُون الغَاضِـــب دَنَـــسَّ الأقصـــى
هَبَّـــتْ النْـــارِ وشَـــعْبنا ضَـــحَّى فْـــى أَمَانِـــه يـــا مُسْـــلمينا

*****

عَلِينـــا هَجـــمْ الغاصِـــبْ المِحتَـــل الله يْعينُـــه شَـــعْبنا الأَعْـــزَل
دَمّـــرَ وهَـــدّم، ذَبَّـــح وقَتَـــل والعَـــالَم كُلُّـــه يْتفرَجونـــا

وغنى الشاعر "اياد عارف" متوجعاً:

نِحْكـــي مِـــن قـــول الأصُـــولْ فـــي إحْـــتلال الألفـــينْ
صَـــهيوني بِـــدّوش احْلـــولْ بِـــدّو يـــذْبَح ملايـــينْ
صـــلّي عَ طـــهَ الرّسُـــولْ الأرضْ فيهـــا مِسِـــلْمينْ
صَـــهْيوني يطْلَـــعْ مَقتـــولْ فـــي غَـــزّة وْصـــلاحِ الـــدّينْ

وخرج الشعب الفلسطيني بمسيرات ضخمة منددة بالأعمال الوحشية التي حدثت في باحة المسجد الأقصى. فهتفوا غاضبين:

(1) القاسم، احمد محمود محمد، انتفاضة الأقصى واحتمالات المستقبل، ط2، كانون أول، 2001.

لَبْيـــــــك مَسْـــــــرى النَبـــــــي ويـــــا مرحبـــــا يـــــا مُـــــوتْ
نحْنَّـــــا بِـــــالرُوح والْجَسَـــــدْ تِفْـــــــــــدي أرضـــــــــــينا

وكتبوا على الميدان:

"نموت وتحيا فلسطين"

قدم الشعب الفلسطيني كثيراً من التضحيات خلال هذه الانتفاضة التي لم تتوقف حتى الآن، حيث إن "آرئيل شارون" استمر في ممارسات القتل والتدمير و الاجتياح والاعتقال، وتزداد معاناة الشعب الفلسطيني على كل الأصعدة.

حَـــق الْقَتِـــل والاغتِيـــال عِنْـــد الْخَصِـــم مَشْـــرُوع
حَـــق الـــرَّدْ، حـــقَّ النَـــار، عنـــدِ الْعَـــرَب مَمْنَـــوع
صـــــار الْقَتِـــــل، هَالأَيـــــام عَالأَسِـــــم والنيِّـــــة
مَطْلـــوب نوكـــل هـــوى ونســـكت علـــى الْموضْـــوع
هـــذا اللـــي يفـــدي القـــدس بـــالروح بالجملـــة
لابـــد يحمـــي الـــوطن ويصـــير فـــوق الـــريح

فالدبابات الإسرائيلية أخذت تسرح وتمرح وتداهم البيوت و تعتدي على سكانها وأطفالها، وتستخدم بعضهم دروعاً بشرية، ويقوم الجنود الإسرائيليون بتحقيقات ميدانية، يتركون الجـريح ينزف حتى الموت، يضربون الأسرى أمام أولادهم وزوجاتهم، وفي كل ليلة لنا موعد مع عملية اقتحام ومداهمة وتنكيل, وعبر الشاعر أكرم البوريني عن تلك الأعمال الهمجية:

مرفوعَـــــة الرايـــــة مرفوعَـــــة وْحـــــرْب العـــــدوان مشـــــروعَة
رايـــــات النصِـــــر ياشَـــــعبي عالأقصـــــى الحُـــــر موضـــــوعَة
لا قصِـــــــــفْ ولا دبَّابِـــــــــةْ بِقْـــــــدَرْ يهِـــــز أعصـــــابي

لقد شهدت الضفة والقطاع مواجهات عنيفة في انتفاضة 2000، استخدم فيها المقـاومون كل ما لديهم من أسلحة، ولعل ما حدث في منطقتي الجوال والبالوع في مدينة رام الله خير شاهد على ماجرى من مواجهات.

منطقـــــــــــــــــة جـــــــــــــــــوال
صـــــــــارت يـــــــا ربـــــــع مشـــــــــهورة
فيهـــــــــــــا صـــــــــــــدق أفـــــــــــــلام
ترصـــــــــد صـــــــــوت مـــــــــع صـــــــــورة
يـــــا عيـــــبهم دبابـــــة عـــــم بتطـــــارد الأفـــــراد
دخـــــــان وصـــــــوت والنـــــــاس مقهـــــــورة

****

صـــــاح العســـكري المحتـــل كـــل النـــاس تســـمع
هـــــذا هـــــو البـــــالوع كـــــل النـــــاس ترجـــــع
واحـــــد ظـــــل ماشـــــي رمـــــاه بقنبلـــــة غـــــاز
رفـــــض الأوامـــــر وانطلـــــق والعـــــين ملمـــــع
قلتلـــــك يـــــا محتـــــل هـــــالبلوع يبلـــــع ســـــلاحك
والقتـــــــــــــل ماعـــــــــــــاد ينفـــــــــــــع
شـــــو حصـــــلت مـــــن هالمـــــدن والاجتيـــــاح
بكـــــره يـــــا غبـــــي كـــــل الـــــوطن تخلـــــع

الإسرائيلي يجتاح ويقتحم الأراضي الفلسطينية بقراها ومخيماتها ويفرض منع التجـول، (يشبح) [1] الناس في الشوارع، يسوق الناس كالعبيد الى أي معسكر اعتقال، يترك خلفه خراباً أو دماً أو جنازة.

طيـــــارات، جرَافـــــات، معهـــــا ألـــــف دبّابـــــه
حَمْلِـــه اسْـــتَباحت مـــدن فلســـطين، تـــا وصْـــلَت غـــزة
لابُـــــد بِيجـــــي يُـــــوم، ويْسَـــــطِّر التـــــاريخ
دمِّ الفلســـــطيني انْتَصَـــــر فـــــي السَّـــــهِلْ والغابـــــة

وهتف الشعب الفلسطيني:

يـــــا شـــــارون وياشـــــارون تهديـــــدك مـــــا بيرعبنـــــا

(1) يشبح: كلمة عامية تعني الصلب بأشكال مختلفة.

هذا هو الاحتلال وقد نسي البعض أو تناسى أنّ الاحتلال موجود لأنه يعتقد أنَّ دخـــول جيش الاحتلال لساعات أو أيام إلى البلدات الفلسطينية ثم انسحابه الى محيطها بعد أن ينفـــذ مـــا يسميه "المهمة الأمنية" يفقده صفته كاحتلال. وربما أصاب البعض حالة من التكيـــف مـــع هـــذا الواقع، فعندما ينسحب الاحتلال مؤقتاً نعود لنمارس حياتنا الطبيعية مؤقتاً أيضاً قبل أن يعود في الليل أو في اليوم الثاني... ويشاطر آخرون في طرح فلسفة التزاوج بين وجود الاحتلال وبـــين ممارسة الحياة السلطوية والمدنية في الوقت الذي يمنحه لنا جيش الاحتلال معتبرين ذلك مهمـــة نضالية وتحد كبير.

فالاحتلال هو الذي يغلق البلاد، ويقطع الطرق، ويمنع التنقل والحركة، ويذل الناس على الحواجز، ويستهتر بمشاعرهم وإنسانيتهم، ولا يراعي أي اعتبار لصـــغير أو كبيـــر لامـــرأة أو رجل، فكثر الحديث عن المعاناة اليومية فقالوا:

يَـــــا ابنِـــــي قُـــــدّامَك حَـــــاجِز أَعَالحـــــــاجِز وَاقِـــــف نَـــــازي
بيقـــــــــدرش الْعَجـــــــــايز اللِّـــــــي ابْإِيـــــــدُو عُكّـــــــازِي
شُـــــو هَـــــذا الـــــزمن الْبَـــــايز اتعَطَّـــــلْ عَمَـــــل الفـــــرَّازِي
الْمُعطِـــــي أَصْـــــبَحْ عَـــــايزْ وِالْعَـــــايز اصـــــبَح معطـــــي

ورددوا أيضاً :

سُـــرْدا بحاجـــة يـــا رَبـــع عِـــدَّةْ حنـــاطيرْ
تَتْوصِّـــــلِ الشِّـــــيّابْ، وتشـــــيل القنـــــاطير
تِنقُـــلْ مـــن الأســـعافْ مـــن حـــاجز لحـــاجز
مرضـــى وحوامـــل، رغـــم أنـــف النـــواطير

****

شـــفنا كلـــب ضـــايع، علـــى المحْسُـــوم[1] مربـــوط
واقـــف عجنبـــه العســـكري، والشَّـــبَهْ مزبـــوط
كـــل مـــا مَـــرّ مَقْـــرودْ[2] طلـــب منـــه الهوَيّـــة
وقـــــال: إِعْـــــرِف إِسْـــــمِ الكلـــــب
صُـــــوب الخَلِـــــفْ لمـــــين نشـــــكي؟
إذا أعظـــــم دولـــــة فـــــي العـــــالم
بتحـــارب بغـــال وجمـــال بســـم العـــالم الحُـــرّْ !

وكثرت الحكايات التي يتناقلها الناس على الحواجز، فمنها ما يثير الضحك، ومنهـا مـا يشعر الانسان بالحزن، فمن تلك الحكايات: حكاية المرأة الحامل التي جاءهـا المخـاض لـيلاً وأرادت الذهاب مع زوجها الى مستشفى رفيديا في مدينة نابلس وهي من قرية "بيـت دجـن"، فطلب الزوج من المستشفى سيارة الإسعاف ولكنّ جنود الاحتلال المتواجدين على حاجز "بيـت فوريك" منعتها من دخول القرية, فاضطر الزوجان الذهاب الى الحاجز فأخذا يتوسلان لضـابط الحاجز بالسماح لهما بالمرور ولكنه رفض وأبى، فاضطر الزوج أن يولّد زوجته على الحاجز, ولكنه لم يعرف كيف يقطع الحبل السرّي للطفلة" فأخذ حجراً وقطعـه بـالحجر وعلـى الفـور استشهدت الطفلة وأصبحت الأم في حالة خطرة.

وكان يردد الشعب الفلسطيني الأقوال الآتية, ففي حالات الغضب وبعد التذمر من طـول الانتظار كانوا يقولون" أله يذلوا إِللّي جابِلنا إياهُم" وقد تصل الحالة بهم إلى السخرية والاستهزاء

(1) المحسوم:الحاجز العسكري.

(2) مقرود: الانسان الصغير.

فيصدرون الطرائف والنكات, فيقولون " الجورة [1]فاضية[2] يا شباب"ويقولون" ما إلنا إلا طريق تل أو طريق "تورابورا[3]".ومن الأمثال التي كانت تردد على الحواجز"صبر أيوب يا ناس".

والاحتلال هو الذي يقتلع الأشجار، يطلق النار حتى على الهواء إنْ لـم يجـد بشـراً، يحاصرنا في قطرة الماء، و تيار الكهرباء، يوقف عنا براميل الغاز وحتى الصحف اليومية.

جرافـة الأعـداء، تجـرف أربعـة وعشـرين سـاعة
معهـا حراسِـه مجنـزره وصـرخات سـمّاعة
يصرُخ على الأغـوار والأطفـال "ممنـوع التجـوُّل"
والله: هـذي مسـخره مـا هـي شـجاعه

وحدثت حكايات كثيرة عن اقتلاع أشجار الزيتون في قرى فلسطين، منها أن رجلاً ذهب إلى أرضه مبكراً كعادته، وهو في الطريق سمع صوت دبابة عالياً وصوت جرافة، فأسرع إلى بستانه فوجد الجرافة تجرف أرضه والدبابة تحرسها فصرخ ونادى قائلا: يا يهودي شو جَاي تعمل على أرضي؟ ومين أعطاك الحَقْ لتجرف الأرض و تقطع الأشجار؟ "فردّ عليه الجندي: "شيكت[4]", هذه ليست أرضك هذي أرضنا وإجينا نآخذها", فغضب العجوز وصاح فسمعه أهل القرية: يا ناس يا هو تعالوا شوفوا الصهاينة شو عملوا بأرضي وبيقولوا هذي مش أرضي هاي أرضهم أولاد الكلب". فاجتمع الناس من حوله ولكن لا يستطيعون عمل شيء "فهم لا حول ولا قوة لهم", فحاولوا أن يهدئوا من روع العجوز ويخففوا عنه, ولكنه أبى فألقى بجسمه على الأرض وصرخ بهم "تعالوا اقتلوني أولاً قبل أن تقطعوا شجرة من أرضي". فهجمت الجرافة لتقضي عليه ولكنّ الناس أخذوه بالقوة إلى بيت مجاور", ومازال العجوز يقف وراء الجدار الذي بناه الجنود على أرضه, ويبكي ويذرف الدموع الكثيرة لعله بها يشفي جراحه على ضياع أرضه.

---

(1) الجورة مكان لحجز الفلسطينيين وبالأغلب الشباب الفلسطيني وقد وصلت بهم البشاعة أن يكون هناك مكان لحجز النساء أيضاً

(2) فاضية: خالية.

(3) تورابورا: جبال وعرة في أفغانستان، أطلقت على الطرق الجانبية الوعرة التي سلكها الفلسطينيون تجنباً للحواجز الاسرائيلية.

(4) شيكيت: كلمة عبرية بمعنى أسكت.

ومن مظاهر الانتفاضة هدم المنازل واقتحام البيوت والعبث بمحتوياتها، وإجبار أهلها على التعري والقرفصة وتقليد أصوات الكلاب، وسرق المصاغ والكتب والحاجات الخاصة.

ومن سياسة الاحتلال الحصار المشدد، فهو الذي يحدد متى نخرج لنشتري الخبز والحليب لأطفالنا، وستكون روحه على كفه من يخرق حظر التجول العسكري، فالقناص هو سيد الموقف سيد الكل، سيد المكان والزمان، فالاحتلال هو الذي ترك لنا أطفالاً مرضى بالعصاب قلقين متوترين يبولون في ملابسهم، لا ينامون، يتسربون من المدارس، أطفالاً غير طبيعيين يقضون طوال الليل لان الظلام يرتبط بقدوم الجيش واقتحام البيت.

الاحتلال هو الذي يميز بين أيدينا إنْ كانت بيضاء أم حمراء يميزنا أنقياء وغير أنقياء، هذا إرهابي وهذا غير ارهابي، هذا نعطيه تصريحاً للسفر أو العمل وهذا ممنوع أمنياً... هذا عليه أن يحضر إلى مقر الحكم العسكري لاجراء مقابلة مع الضابط العسكري، وهذا لا نريد أنْ نرى وجهه إنَّ ما يسمى "حسن السلوك" أصبح أهم من الهوية, فقالوا:

قالوا عنَّي إرهَابي　　لأني حُرْ وبَحْمِي أرْضي وتِرابِي

وقال الشاعر اياد عارف:

انتا ارهابي خطير　　للسلم بتدمر تدمير
يا بيبي[1] ارحل من هون　　قبل ما يجي شامير

هذا الجندي الذي يحتل المكان يشطب في لحظة قرار أي مسؤول فلسطيني سواء كان مسؤولاً أمنياً أو مدنياً أو وزيراً بحقيبة او بدون ذلك. الاحتلال هو الذي يستطيع أنْ يبني هياكل محلية شكلية لتدير حياة الناس مدنياً واجتماعياً، لتضبط اللصوص والسيارات المسروقة لتنظيم المواصلات و تمنع المشاكل بين الناس والعائلات، ولكنها مجردة من السيادة والقرار السياسي والأمني... إنه يسقينا ماء الحياة بذلة.

(1) بيبي: هو بنيامين نتنياهو، رئيس وزراء اسرائيلي سابق.

"أخذت الخطط الحربية العدوانية الإسرائيلية تتكشف شيئاً فشيئاً في عهد شارون منذ مطلع حزيران /2001 تقريباً، وقد تبنت الحكومة الإسرائيلية الخطة وكانت مزدوجة عسكرية واقتصادية، ومن أهم البنود الأساسية في الخطة هو: الإغلاق والطوق المحكمين، الا أن الشعب الفلسطيني لم يهزم رغم المعاناة والألم، فقال الشعب الفلسطيني:

شَـــعِبْ بيكْبَـــرْ وَســـطْ الطُـــوْق رَاسُـــو عَاليَـــة ومَجـــدُو فـــوق
قَلْبُـــو بينـــزِفْ حُـــبْ وشُـــوقْ وعـــــزة نفســـــو أبيـــــه

وبدأت إسرائيل باحتلال المدن الفلسطينية، في البداية دخل الجيش لعدة أيام على أطراف المدن وضواحيها، وفي المرحلة الثانية امتدت لفترة أطول.

"أشارت مصادر إسرائيلية عديدة في أكثر من موقع ومناسبة إلى أن شارون ينفذ عملياً على الأرض الفلسطينية خطة أطلق عليها اسم "خطة دغان"، نسبة لواضعها الجنرال احتياط "مئير دغان" الذي عمل عشية الانتخابات الإسرائيلية مستشاراً أمنياً لشارون، وعين رئيساً لطاقم المفاوضات الإسرائيلي مع الوسيط الأمريكي "انتوني زيني" انبثق شعار الخطة من نظرية شارون وهي تتضمن عنصرين أساسيين لم يتغيرا مع مرور الوقت وهما: الأول أن عرفات قاتل إرهابي حسب رأي "شارون"، ومع القاتل والإرهابي لا يخوضون مفاوضات ولا يعقدون صفقات، والثاني: أن اتفاق أوسلو – كما تعتبره التيارات اليمينية المتعصبة دينياً– هو الكارثة الكبرى التي ألمت بشعب إسرائيل في العصر الحديث، لقد حددت خطة دغان بوضوح: " أن الاستراتيجية الشارونية تجاه السلطة الفلسطينية عموماً وتجاه عرفات خصوصاً قد تنفذ فقط إذا تمت بالتنسيق الكامل مع الولايات المتحدة [1]".

وقد نصت الخطة على تحويل "عرفات" إلى انسان محاصر، وذلك بعزله عن الأشخاص المقربين منه وعن الجمهور الفلسطيني، وقد اقتضت الخطة الأولى فصل شبكة الاتصالات المدنية الفلسطينية عن طريق القصف الجوي، ومقابل ذلك، فإن الخطة تتطلب تفكيك السلطة

(1) مجلة البيادر عن جريدة القدس عن صحيفة ايديعوت أحرنوت 2002/6/12.

* الخمسمية: نوع من الأسلحة المدمرة التي استخدما الجيش الاسرائيلي.

الفلسطينية إلى "كانتونات" مقاطع من الأرض معزولة عن بعضها بعضاً، مفصولة عن مركز سلطوي واحد، تعالج بصورة منفردة من قبل إسرائيل، وبدأ التفكيك في غزة، حيث سقطت أطنان من القذائف على مراكز السلطة ومنشآتها، وقسم القطاع إلى ثلاثة مقاطع منفصلة ومحاصرة, وقال الشاعر أكرم البوريني في تلك الأحداث:

لا يْهِمّـــــك يـــــابُو عَمّـــــار ... مِثْلَـــــك يـــــا صـــــامِدْ كَـــــائِن
تَتْحاصَـــــر مَلْيـــــوُن حْصَـــــار ... ولا عَنّـــــك يحْكُـــــو خَـــــائِن
شَـــــعْبك مِـــــنْ خَلفـــــكْ جَبّـــــار ... رَاهِـــــن عاشَـــــعْبَك رَاهِـــــن
نِحْنَـــــا مَـــــا بِنْخَـــــاف النَـــــار ... أو قَصِـــــف الْخَمَسْـــــمِية

وقال شاعر آخر:

يـــــابُو عمّـــــار أنـــــتّ الْقائِـــــد ... مِـــــنْ بِـــــدء المشـــــوار
رَمْـــز الشَّـــعِب الحُـــر الصَّـــامِدْ ... وسَـــــلامو لِلشَـــــعب الْجَبّـــــار

وهتف الشعب الفلسطيني مؤيداً لأبي عمار معاهدينه على مواصلة المشوار

يا كلمة حق وتسبيح
يا فارس مهد المسيح
يا جبل ما يهزك ريح
أو حتى إعصار

وهتفوا:

يا معلمنا الرقم الصعب — يا شمس التاريخ
أنت الأب بعين الشعب — يا قائد ثورتنا الأول — تكبر ما بتشيخ

وكتبوا على الجدران شعارات تحيي أبا عمار وتسانده من وراء أسوارالحصار:

"ألف تحية إلى أبي عمار رغم الحصار"

"تحية للأسود الرابضة في المقاطعة"

وكتبوا عبارته المشهورة:

"يا جبل ما يهزك ريح"

وتطبيقاً لهذا التوجه الجديد أو التصعيد الحربي المدروس والمبيت تماماً لدى شارون، باشرت قوات جيش الاحتلال عملياتها الحربية باجتياح المخيمات الفلسطينية منذ مطلع شباط/2002، فقامت بسلسلة من الاجتياحات التدميرية والدموية لعدد من المخيمات الفلسطنيية في شمال الضفة الغربية مروراً بوسطها ووصولاً إلى جنوبها.

تْأكَّـــــدْ مِـــــنِّ يَـــــا نِـــــتِنْ — عَمَـــــــايلْكُمْ مـــــــا يْفُـــــــتِنْ
أرواحْ الشُّـــــــــهَدَا مَعْنَـــــــــا — صَـــــدِّقْني عُمْـــــرِنْ مـــــا يْمُـــــتِنْ
قلقيليـــــــــة نَـــــــابلسْ رام الله — وْأريحـــــــه والقـــــدِسْ وجنـــــــينْ

وقد برر "شمعون بيريز" وزير الخارجية الإسرائيلي في ذلك الوقت هذه العمليات والاجتياحات وخاصة في مخيمي بلاطة وجنين زاعماً" أنها تهدف إلى منع عمليات فلسطينية مسلحة في المراحل المتقدمة من الأعداد،"وقررت الحكومة الأمنية الإسرائيلية تكثيف العمليات الحربية بما فيها شن غارات جوية وبرية"[1]، وكما توعد شارون نفسه بمزيد من القتل، وقال إن جيشه سوف يقتحم مخيمات فلسطينية أخرى إضافة إلى مخيمي بلاطة وجنين, فقال الشاعر "أكرم البوريني":

(1) صحيفة القدس المقدسية 2002/3/1.

عَـــــاْش شَـــــعبك يـــــا فَلِســـــطين
والثّـــــــــــورة مَنصُـــــــــــورة
صُـــــــوت مُخّـــــــيم جِنـــــــين
فَجّـــــــــــر الأُســـــــــطُورَة
ظَـــــــل المَخَـــــــيّم الْمتحاصـــــــر
أُسْـــــــــــطُورَةَ جَبّـــــــــارَة
تَـــــا "موفـــــاز" و "بـــــن إليعـــــازرْ
رَاحُولُـــــــــــو بْطّيّـــــــــارَة
لِلْحَـــــــــرب الهَـــــــــدَّارَة
ثُـــــم اتمَنّـــــى لَـــــوْ مَـــــا غـــــامَر
يُـــــــــــدخَل طورابـــــــــورا

وقال أيضاً في وصف عملية اجتياح مدينة نابلس:

هـــــــز الصـــــــهيونية	**صـــــــمود الياســـــــمينة**
زادوا المعنويـــــــــــة	**أســـــــود الياســـــــمينة**
وتـــــــدور المعـــــــارك	**وتـــــــدور المنايـــــــا**
وتكـــــــون المهالـــــــك	**وتكـــــــون الضـــــــحايا**
والأبطـــــــال تشـــــــارك	**فـــــي القلعـــــة الحصـــــينة**

وهاهو الكاتب "توفيق عمارنة" يصف عمليات الاجتياحات بالموال التالي:

يبـــدأ الزحـــف بعســـكر... يتقـــدم يتقهقـــر
يتبـــاهى ويتـــذمر.. بـــاين ارتبـــاكو والمقاومـــة قبـــالو
عما بتتشنالو.. حتى تجـــر حبـــالو..عـــا ســـاحة هلاكـــو

وغنى الشاعر الشعبي واصفاً لعملية اجتياح الشعب الفلسطيني بالدبابات.

وتـــــــدور المعـــــــارك	**وتـــــــدور المنايـــــــا**
وتكـــــــون المهالـــــــك	**وتكـــــــون الضـــــــحايا**
والأبطـــــــال تشـــــــارك	**فـــــي القلعـــــة الحصـــــينة**

وقال الشاعر "أكرم البوريني" ممجداً أعمال البلدة القديمة في نابلس وبطولاتها.

بالبلـــدة القديمـــة مـــا هانـــت عزيمـــة وبلاطـــةْ العظيمـــة وبعـــين بيـــت المّـــا
يســـــــــــطوا عالماســـــــــــوني والـــــــــــبطش الشـــــــــــاروني
ويخلـــــــــــوا الصـــــــــــهيوني أشـــــــــــلاء بتترمـــــــــــى

أطلقت دولة الاحتلال على عمليات الاجتياح والقتل والتدمير ضد المخيمات الفلسطينية في المرحلة الأولى من خطة "الجدار الواقي" اسم "رحلة بالألوان" أو "مذبحة المخيمات". في دلالة واضحة بأن هذه العمليات ستكون ملطخة باللون الأحمر على نحو خاص.

وقد عبر الشاعر "إياد عارف" عن سخط الشعب تجاه العملاء والجواسيس وبخاصة بائعي الأراضي، والتي استخدمت بدورها في ما بعد لإنشاء المستوطنات وجدار الفصل العنصري فقال:

إسأل اللـــي بـــاع الأرض بِـــيْشْ بـــاعْ ما بينو وبْين الجدار الأمني بـــيْشْ بـــاعْ
حبيـــبِ المـــالْ مـــافي يـــومْ بِشْـــبَعْ لـــو إنْ بنصَـــبّ فـــي قلبـــو الـــدّهابْ

وجاءت خطة جدار الفصل العنصري، تتويجاً لجملة الخطط السابقة، ويبدو أن خطة الجدار الواقي تشتمل على كافة الأفكار والخطوط والخطوات الواردة في جملة الخطط السابقة، وبدأت الخطة كما نفذت في مرحلتها الأولى على الأرض الفلسطينية بتدمير البنية التحتية الفلسطينية تدميراً شاملاً- تحت ذريعة مكافحة الإرهاب- وإعادة احتلال المدن الفلسطينية، وتشتمل الخطة على ثلاثة مراحل هي:

الأولى: احتلال العاصمة الفلسطينية رام الله حسب ادعاء الصهاينة، وتدمير المؤسسات والمنشآت التحتية فيها، واعتقال المطلوبين وجمع الأسلحة.

الثانية: تجنيد قوات الاحتياط في الجيش الإسرائيلي بغية تعزيز العمليات الحربية في الضفة الغربية.

الثالثة: احتلال المدن الفلسطينية الأخرى بغية الأهداف التي أعلن عنها شارون.

فغنى الشاعر "البوريني" واصفاً تلك الأحداث:

وطـــن كُثّـــر الْبُطـــولات بكْفـــاحَو — شَـــفى رجفِـــهْ عُروبتنـــا المُهينـــي
سَلوُا في القدس عن ماضـــي صـــلاحو — وبكـــل مَربـــي ومخـــيم أو مـــديني
وبـــرام الله سَـــلُو مَجـــدُو وفَلاُحـــو — وبيـــت لحـــم وكنائســـها الحزينـــي
ســـلو فـــي نـــابلس قـــوّة جنـــاحو — ســـلو جـــرزيم فـــوق الياســـميني
ســـلو بجنـــين عـــن بســـمة صـــباحو — بحْمـــا القلعـــا الشـــمالي الحصـــيني
ســـلو قلقيليـــهْ ثمـــرة نجـــاحو — لأنهـــا مـــوطن الوحـــدي المتينـــي
ســـلو طـــولكرم بهجـــة إنفتـــاحو — ســـلو غـــزة ســـلو رفـــح الأمينـــي
ســـلو مـــدّ الخليـــل واكتســـاحو — وأريحـــا عابســـاط الطُمـــأنيني
سلو كل حجـــر فـــي حقلـــو ومراحـــو — وكـــل فـــلاّح ذو منهـــاج دينـــي

وبعد أن تواصلت العمليات التفجيرية والاستشهادية الفلسطينية في أعقاب "الجدار الواقي" وبوتيرة أقوى وأشد وأبلغ إصراراً وتأثيراً من مرحلة ما قبل "الجدار الواقي"، وبعد أن اعترف "شاؤول موفاز" رئيس أركان الجيش الإسرائيلي أمام أعضاء لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست بأن عملية الجدار الواقي فشلت، تحركت قوات الجيش الإسرائيلي إلى داخل المدن الفلسطينية في الضفة الغربية..وهكذا تدحرجت الخطط الحربية العدوانية لتصل إلى "خطة الطريق الصارم" التي قضت باحتلال مدن ومخيمات الضفة الغربية والبقاء فيها.

لقد كان منتظراً أن يخرج شارون ما يضمره وما يبيته للفلسطينيين من شرور تدميرية في أي وقت أو توقيت يراه مناسباً.. ولم يتأخر هذا التوقيت كثيراً، لاسيما وأن الاجتياحات الصغيرة والاغتيالات والإعدامات الميدانية ضد الفلسطينيين لم تتوقف عملياً، إلى أن جاء التطبيق العملي فهتفوا:-

يـــا شـــارون مـــا بنســـاوم — لـــــو نلنـــــا المنيـــــة
جـــورة الـــذهب بتقـــاوم — قصـــــف الخمســـــمية
ورجـــال الـــدمج بتهـــاجم — والحواشـــــــــينية
بتقاتـــل شـــارون الظـــالم — والدولـــــة المســـــعورة

والترجمة العملية لجملة الخطط الحربية الإسرائيلية فقد انطلقت منذ نهاية آذار/2002، وقد بدأت باحتلال رام الله، وسرعان ما انتقلت إلى جنين، ونابلس، وبيت لحم، وإلى عشرات البلدات والقرى والمخيمات الفلسطينية الأخرى، فقالوا:

يا عيــون الْأُم كِفّــي كِفّــي واسْــقينا ... يـــــــا تْـــــــراب الأَرض ضُـــــــمينا
نَصرك مُخَيّم جِنين رام الله كُفــر مالــك ... خاصــة نــابلس مــا نِنْســى مــا جَرالــك
هَــدّمُوا الَقُضْــبان علـــى شَــبابِك ... ونــابلِس النّــار جِنــين تْعــيش أَبْطَالــكْ

وقد بلغ العدوان التدميري الإسرائيلي ذروته في الهجوم على مخيم جنين، حيث شكلت المعركة التي دارت فيه تعبيراً مكثفاً عن مضامين وأهداف الخطط المراد تنفيذها.

عــاش شــعبك يــا فَلســطْين ... والثــــــورة منصــــــورة
صَــــوت مخــــيم جنــــين ... فجّــــــر الأســــــطورة
عــــاش مخيمهــــا الصــــامد ... جنــــــين الشــــــهادة
صُــوت خــلاّ الشــعب الواحــد ... يهتــــــف استشــــــهادي
وتكــــون العمــــلاق المــــارد ... وتكــــــون الْمعتــــــادة
ســــباقة تقــــاوم وتجاهــــد ... وتكــــــون البــــــاكُورة[1]

وقد شهدت الأيام الأولى لهذه المرحلة مجازر دموية جماعية خاصة في مخيمات بلاطة وجنين وطولكرم وجباليا والأمعري وقدوره. فكان يوم الأول من آذار يوم المجازر الدموية ضد المدنيين الفلسطينيين.وقيل في ذلك:

في كل بقعة من الأرض نارْ يشعلها ... بالقصف والقتل والخبز والتجويع تشعلها
اللهِ يُستُر آسيْا والَعَرَب مَعْ كُلِّ الفقارى ... وْتبَدّلت غَزلانها بقرودها تطْلُب قتِلْها

وكان الجنود الإسرائيليون الذين اجتاحوا مخيم جنين يحملون معهم خريطة لمنازل المخيم، حيث أخذوا يفتحون الثغرات في جدران المنازل لينتقلوا من منزل إلى آخر وقاموا خلال ذلك بجرائم التحطيم والتدمير وسرقة الأموال والأجهزة وبث الرعب في أوساط النساء والأطفال.

هــذي جنــين مْطَّوقَــة ومْحاصَّــرَه ... حْلِفــت وقالــت يــا عَــرَب مهمــا جــرى
هذي جنــين اتْزَلْزَلــتْ لــو تِسْــمعُوا ... فيهــا انــتَفض دَمِ الغَضَــبْ فــوق الثَّــرى

(1) الباكورة: البادية

لمّا أجاهــا الْمــوت فتْحَتلــوه الصَّــدِر وتْحَصَّــنت بِرْجَــال أَقْــوى مــن الصَّــخِر
لمّا اتْحاصَرت نِزْفَت أَلَــمَ قالــت صَــبِر صــــارت آيــــات الْعِــــز فيهــــا مسَّــــطرة
شو أَرْعَبَت الجنــود وفيهــا اتْحَيَّــروا وْقفِــــوُا صِــــفْر الوُجُــــوه اتْحجَّــــروا
يلِّي هَزَمتْــيِ الجــيش شــعبك مــاكَبّر رغــــم القصــــف والجــــوع إنــــت محــــرره

ولقد اعترفت اسرائيل بأن مخيم جنين كان الموقع الذي دفع فيه الجيش الإسرائيلي الثمن الأبهظ، ولأن القوات الإسرائيلية فشلت تماماً في اقتحام المخيم على مدى سبعة أيام كاملة، ولأن المعارك في المخيم كانت قاسية جداً ومثقلة بالإصابات فقد قرر الجيش الإسرائيلي استخدام الجرافات العملاقة في هدم المنازل التي دارت فيها معارك ضارية، وأخفقت القوات والدبابات في اقتحامها، ولأن المقاتلين والمدنيين الفلسطينيين أظهروا مقاومة أسطورية لم تكن في حسابات الإسرائيليين، إذ نجحت في تمريغ أنوفهم في الطين، وحطمت قدرة الجيش الأسطوري معنوياً.. وكأن بلدوزر الإرهاب الصهيوني "شارون" كان يبيت المجازر والدمار والخراب للفلسطينيين، فها هو "شاؤول موفاز" رئيس أركان الجيش الإسرائيلي يتولى قيادة الهجوم على المخيم بنفسه، بعد أن أخفق كبار قادة الجيش في كافة محاولات الاقتحام.

يــــا جنــــين يــــا الْمُهــــرة الْحُــــرة خُطْــــوةِ مَجــــدِك تِهــــز الأرَض
أَرضِــــك يعبــــد تنــــبض ثَــــورة تِعــــرِف كيــــف يكــــون الــــرَّد
يــا جنــين لــو كــانوا عِرفــوا إنِّــك نجمــــه علــــى قَلْــــب أَحْبابِــــك
علــــى أَرضِــــك مــــا كَــــانوا تْعَــــدُّوا ولا مَــــرُو مــــن فــــوق تْرابِــــك

وفي مدينة نابلس، قامت الدبابات والمجنزرات والمدرعات الإسرائيلية معززة بغطاء جوي مكثف من الطائرات الحربية "إف-16" و"الأباتشي" باجتياح مخيم بلاطة من جميع الاتجاهات، حيث هاجمت قصفاً وهدماً وتدميراً وتجريفاً وقتلاً وإذلالاً وتنكيلاً المخيم وأهله، في الوقت الذي سطر أهل المخيم حكاية صمود وبقاء وبطوله.

غادرت قوات الاحتلال المخيم فجر الأحد 2002/3/3، مخلفة وراءها القتلى و الجرحى والأنقاض، وقد زعمت قوات الاحتلال أنها اكتشفت مصنعاً لإنتاج صواريخ القسام في مخيم بلاطة. غير أن أهم ما حملته عملية الاجتياح الإسرائيلي هذه لبلاطة، هي تلك الدلالات المتعلقة

بأجواء الإرهاب والرعب والقتل والتدمير من جهة، وروح الصمود والاستبسال الفلسطينية من جهة أخرى.

"واصلت قوات جيش الاحتلال اجتياحاتها للمدن والمخيمات الفلسطينية، فجاء الدور على مخيمي "البريج" و "جباليا" في قطاع غزة، فارتكبت تلك القوات مجزرة جديدة أضيفت الى التاريخ الدموي الاسرائيلي.كانت القوات الإسرائيلية معززة بالأليات العسكرية الثقيلة تساندها الطائرات المروحية تقتحم قطاع غزة، وعاثت فساداً وقتلاً وتخريباً في المخيمين على مدى أيام اجتياحها لهما. إلاّ أنها لم تحقق أهدافها في اقتحام المخيمين التي عجزت عن الوصول إلى مركزه بفعل المقاومة التي أبدتها المقاومة الفلسطينية من كافة القوى، كما عادت الحافلات التي أحضرها الجيش الإسرائيلي معه لاقتياد الأسرى الفلسطينيين فارغة من أي معتقل، حيث انتهت العملية الإسرائيلية سريعاً وأصيبت القوات بخسارة فادحة.

يا ياباه على قصر البريج.... تعال ننشد ونبرد الجرحين
ونشيل والله يا عمي على قصر البريج..... تعال ننشد والله ونشيل

ولم تتوقف الاجتياحات التدميرية الدموية الإسرائيلية عند بلاطة وجباليا وجنين، بل وامتدت لتشمل كافة المخيمات الفلسطينية الأخرى على امتداد مساحة الضفة الغربية وقطاع غزة، غير أن المصادر الفلسطينية أشارت إلى حجم الدمار الذي خلفته قوات جيش الاحتلال في مخيمي "قدورة" و"الأمعري" في منطقة رام الله والبيرة.

وفي مدينتي رام الله والبيرة واصلت أرتال الدبابات والمدرعات والجرافات والوحدات النظامية والاحتياطية والخاصة الإسرائيلية اجتياحاتها للمخيمات الفلسطينية المختلفة في نطاق "رحلة الألوان"، ووسعت دولة الاحتلال نطاق هجومها البري الإجتياحي المدعم بالمروحيات الحربية "الأباتشي" و "الإف 16" في إطار عملية حربية وصفها الناطق بلسان الجيش الإسرائيلي على أنها أهم عملية عسكرية ضد الفلسطينيين منذ بدء الانتفاضة. وقد حشد جيش الاحتلال في هجومه على رام الله والبيرة أكثر من 20 ألف جندي و 150 دبابة، حيث عاثوا قتلاً وتدميراً.

ومن أهم مظاهر هذه الانتفاضة على الصعيدين الفلسطيني والإسرائيلي:

1- أن خسرت فلسطين شهداء كثراً من جميع الفئات، الا أن أطفالها كان لهم النصيب الأوفر، وقد أحدث استشهاد هؤلاء الأطفال الفلسطينيين صدمة في الضمير العالمي وألهبت مشاعر الشعب الفلسطيني، فقصة استشهاد الطفل محمد الدرة رآها الملايين عياناً على شاشات التلفزة العالمية، وقد كان لها ولاستشهاد الرضيعة إيمان حجو وغيرهما صدى في نفوس الشعراء فقال أكرم البوريني.

مْحَمّد الدّرة وإيمان — حجو ماتُوا وما هَجّوا
هذي عادات الصُبيان — يُغتالوا وما يْتَرجُوا
تَعْ خُذ ابني يا سجَّان — جوّى الزنزانة زجوّ
للحريهْ احنا قربان — أطفال وختياريّه

وقال آخر إن استشهاد محمد الدرة كان دافعاً قوياً لانتفاضة الشعب والتي تدفع الضحايا واحداً تلو الآخر.

من بعد محمد درة هَبَّت آلاف
تعلَّتها كرّة وكرّة حرب استنزاف
والثورة مستمرة حتى اعْتِراف
صهيوني بأَرضي الحرّة والاستقلال

وأنشدت الشاعرة "ماريا أبو واصل" قائلة[1]:

ولَكْ يا مْوت شُو دَلَك عَلينا — أَخَذِتْ إزْغيرنا الْغالي عَلِينا
بَقوُا في حضُونا وفَرُّوا مِنَ ايدينا — مثل عَصْفُور بِرْصَاص الْعِدا

وقالوا:

عالروزنا عالروزنا — كل الْعَجب فيها
شُو عمل محمد الدّره — كَنُوا وقِع فيها

(1) شاعرة من الناصرة.

وناجت الشاعرة "ماريا أبو واصل" أم الشهيد محمد الدرة قائلة:

يا مَيمةِ محمد اشْلَحي السَواد عنـــك كل الشَّعِب الْعَربي يحْمِل هَمِّك
ومحمـــد الـــدَّرة ابْـــن الجَميـــع نشف دموع البشر يا فلسطينا مُـــــشْ بَـــــسْ ابْنِـــــك

وهتف الشعب الفلسطيني غاضباً ضد الأعمال الهمجية التي قام بها الجيش الاسرائيلي بقتله الأطفال:

يـــــــا مْحَمَّـــــــــد دّره ويـــــن إلِّـــــي احتجـــزوُك يُوَيـــــا
يـــــا إيمـــــــان حِجُّـــــو والطَّيـــــارات تُظـــــرُب يُويَّـــــا
شَـــــــــنَت غـــــــارات وحَمَـــــــــدنا الله يُويَّـــــــــا

غزة ورام الله يويا

ولا ننسى ما قام به اليهودي النازي عندما شرع بدهس فتى من مدينة رام الله في أثناء عودته من المدرسة.

الفتـــــى بِمـــــوتْ تَحْـــــتِ الدبَّابِـــــةْ فـــــــــي يـــــــــومِ الخَمـــــــــيْسْ

في أرِضْ رامَ الله

فـــي تِسْـــعة تِسْـــعة ألفـــين وأربَعَـــة ألفـــــــــــين وْأربَعَـــــــــــة

دَهَسو نازي ما بِعْرَفْ ألله

شـــــــو ذَنْـــــــب الطِّفِـــــــلْ اللـــــــــــــي ينْـــــــــــــدِهِسْ

والناس من الهَمّ تعبِّي وْ تِتْمَلّى

والقلِـــــــــــــبْ موجُـــــــــــوعْ وتْســـــــــــــيلِ الـــــــــــــدْموعْ

على الفَتَى اللي يْحِبو ألله

2- العمليات الاستشهادية، حيث لم يجد الشعب الفلسطيني وسيلة للخلاص إلاّ بطريقـــة واحـــدة وهي التضحية، فقد ضحي الفلسطيني، شاباً أو صبيةً طفلاً وشيخاً بنفسه وبكل ما يملـــك ومـــن عقيدة "إمّا النصر أو الشهادة".

فهَّب الشعب الفلسطيني مقدماً كل ما يملك وأعز ما عنده من ولد أو بنت من أجل فلسطين. ولم تغفل الأغنية الشعبية تمجيد هؤلاء المضحّين بأنفسهم.

آخـــر خبـــر... آخـــر خبـــر — استشـــهادي مـــن شـــعبي انفجـــر
أرض العـــرب يـــزرع رعـــب — ويفجـــر فـــي يـــوم النصـــر
استشـــهادي فـــي حيفـــا انفجـــر — فـــي مجـــدو بلمـــح البصـــر
الاســـم ابـــن عمـــر — والوجـــه مـــن ضـــو القمـــر
هـــذي جنـــين مكللـــه — فـــوق الجبـــين والنـــور
بموتنـــا تحيـــا أمَـــمْ — وْاِحْنَـــا عليهـــا شُـــهود

وغنى الشعب الفلسطيني:

يـــا حيفـــا يـــا أرض اجـــدادي — جاييـــكِ اليـــوم اسْتِشْـــهَادي
فـــدِائي مـــن أرِض بْـــلادي — رَافِـــع رَايـــة الإِسْـــلاَمْ

ومجد الزجال الفلسطيني أبطال الاشتباكات المسلحة والعبوات الناسفة ومنهم "عاهد فارس" و "فادي سماعنة" فقال:

نـــابلس جبـــل النـــار و مخـــيم العـــين — ماتنسوا بيت ايبا وما تنســـوا راس العـــين
جبالـــك بيـــت ايبـــا وصـــلوها الأبطـــال — والله فدائيـــة ولعوهـــا نـــار
بيت ايبا الخضرا والله قصفوها الأوغـــاد — قامت القيامة يـــا خيـــي يـــوم الاستشـــهاد
اســـمك محفـــور بقلبـــي يـــا عاهـــد — وقلبـــي يـــردد ويقـــول
فلســـطين الحلـــوة الحـــرة إم الملايـــين — ست احروف بقلبي محفـــورة مـــن ســـنين
شـــارون وربعـــو والله يشـــهد للأبطـــال — والقائـــد مزهـــر اللـــي رد ع الأنـــذال
عاهـــد الفـــارس وأبـــو عمـــر الأبطـــال — وفـــادي والله يشـــهدهم ونقـــول
إحنا كتائـــب إحنـــا كتائـــب علـــى طـــول — إســـمع يـــا غاصـــب ولا تلـــف ولا تـــدور

*****

عاهـــد نـــزل والثّـــار بِـــدُو يزْرَعُـــو — عبّى الْقَلـــب بِرْصّـــاص وفَجَّـــر أَضْـــلَعُوا
لأَجْلِـــك يـــا ياسِـــر هَـــالطَّرِيق نْكَمّلُـــه — ظَلـــم الْعَـــدو والـــذُل مـــا نِتْحَملُـــوا

وقالوا في أبطال الإنتفاضة "أبو هنود" و"السركجي" و"إبراهيم بني عودة" و"مرشود"و "الحنبلي":

يـــــا كتائـــــب يـــــا كتائـــــب بِســـــــــم أَبـــــــو هَنّـــــــوْد
فـــــي سَـــــاحَة الْـــــوطَن أُســـــوَد بنـــــــي عـــــــوده ومرشـــــــود
قَسّـــــامي دايمـــــــاً يْصُـــــول لِلأقْصَـــــــــى والأَرضْ جْنُـــــــود
يـــــا ثـــــورة علـــــى اليهـــــود وأعلناهـــــــــا إســـــــــلامية
والســـــركجي ضـــــحّى وقـــــال سِـــــيرُوا وسِـــــيرُوا يـــــا رِجَـــــال
حـــــيّ رِجَالِـــــك يـــــا حَمَـــــاس جنُـــــودِك للأَقصْـــــى حُـــــرَّاس
فَجِّـــــرُوا نـــــار الثَّـــــورَة لا تَهـــــــــابُوا المنِّيـــــــــهْ
والحنبلـــــي ضـــــحى وقـــــال يـــــا كتائـــــب ســـــيروا يـــــا رجـــــال
دوِّي يـــــا رَصَـــــاص القسَّـــــام اِزْرَع فَجِّـــــــــر هَالأَلَغـــــــــام
ولا تنســـــوا يحيـــــى عيـــــاش ردوا علـــــى الضـــــربه بميـــــه

وهتف الشعب الفلسطيني لمنفذي العمليات الاستشهادية:

محمـــــد القاسِـــــم والمنصُـــــور وأبـــــو علـــــي وأبـــــو النُّـــــور

*****

وصِّـــــل وصِّـــــل ســـــلامات للكرمـــــــــــي وعبيـــــــــات
والله أكبـــــــــــــــر الله *** والشـــــــــهيد حبيـــــــــب الله**

ولا ننسى ما قامت به الأم الفلسطينية، التي ضحت، وما زالت تضحي، بأعز ما عندها وهو مهجة قلبها، وأروع مثل على ذلك أم الشهيد والاستشهادي "محمد فرحات". حيث هتف الشباب بذكراه قائلين:

يمـــا ودعينـــي يمـــا لاحـــق الجنـــات ما يهاب الموت والله محمد الفرحـــات
لا سَـــــــلام ولا اسْتسِـــــــلام خَليِّـــــه يـــــرُد فـــــي الْأَلغـــــام

وقالت "ماريا أبو واصل":

قَـــــالوُا الإبِـــــن غَـــــالي قُلْـــــت الـــــوَطَن مـــــا غْـــــلاَه
مـــــا فـــــي إشْـــــي فـــــي عينـــــي يـــــا يُمَّـــــه عـــــن الـــــوطن محـــــلاه

3- الإبعاد والتهجير القسري. حيث لم ينسَ المبعد وأهله التعبير عن همومهم وألم الفرقة والبعد بأشعار وكلمات محفورة في الوجدان والفؤاد، مملوءةً عداءً لكل مَن ساهم في تنفيذ سياسة التهجير والإبعاد فقالوا:

موج البحر موّاج ... ينْدَه على أَحْبابه
قَلب الْوَطَن ما مات ... يشتاق لإصحابه
بالله يا موج البَحَر ... خُذلي مكتوب
من مَوْج البَحر ... معطر من ترابه

وقالوا على لسان الفلسطيني في الشتات واصفاً صعوبة الغربة وقساوتها:

إلغُرْبِهْ صَعْبهْ، والأَصْعَبْ فِيهْا ... أتْرُكْ بلدنا واتغيَّبْ عنها
الشَّمسِ الغَربيهْ بيدي لَو إنْها ... عَتَمِهْ بَلدْنا أفظَلْ بتْكُونا
على دلعونا إحنا تغَرَّبنا ... يُمَّا الله يعينكْ على غُربَتنا
ويوم تُقُعْدي تجيبي سيرتنا ... وبِحْصُل لِبالِكْ زَعَل لِهمومَا

4- الحصار وكيفية اختراقه، فمنذ اندلاع الانتفاضة والجيش الإسرائيلي يشدد الحصار على الشعب الفلسطيني حيث انتشرت الحواجز بين كل المدن، بل بين المدينة وقراها ومخيماتها، وأصبح الناس يسلكون طرقاً إلتفافية وترابية في فصول السنة كلّها وخاصة فصل الشتاء. وأخذوا يطلقون على تلك الطرق أسماء ومسميات مختلفة تُعرف الآن بتلك المسميات ويشار إليها بالبنان.

زاواتا والإلْتفافي ... رجالك بيت ايبا إللّي ما تْخافِي
يا ويل الْجَيش ... الْليل يعادي

5- القصف الاحتلالي، فلم يتوقف القصف الاحتلالي من الطائرات والدبابات لحظة منذ بداية الانتفاضة، ولم يسلم منه أحد، ولم يستثن شيخاً أو طفلاً أو إمرأة. فقد تحدى المقاومون الطائرات والمدفعية بكل ما لديهم من أسلحة.

رمانـــــــــــــه رمانـــــــــــــه علـــــــى خصـــــــري كلاشـــــــكوف

بيدي والدنيا شعلانه

طيـــــارة ترمـــــي مـــــن فـــــوق غضبانه علينـــا ترمـــي والعـــون مـــا جانـــا
ردينـــــــا يلـــــــي بنـــــــرد قابلنـــــــا المـــــــدفع بـــــــالفرد

تشهد جبال النار علينا

حاصـــــرنا الجنـــــود وكبـــــر الهـــــم وصـــــرنا أكبـــــر مـــــن عصـــــف المـــــوت

وكل المواقع تتفجر

شـــــو جـــــابوا مـــــن جنـــــود أو جـــــابوا طـــــاوبير وعســـــكر
أو قصـــــــــف البيـــــــــوت كتائـــــــــب عمّـــــــــال بتكبـــــــــر

6- الاغتيالات التي كانت أحد أهم أحداث الانتفاضة وأكثرها بشاعة، تلك السياسة التي لجـــأت إليها إسرائيل بمساعدة العملاء والمندسين.

فقامت بعمليات اغتيال واسعة النطاق في مدن فلسطين وفي جميع الفصائل والأحـــزاب، ولم يغفل المبدعون الفلسطينيون تصوير حادثة الاغتيال تصويراً تخر له قمم الجبـــال الشـــاهقة. فوصف الكاتب "توفيق عمارنة" هؤلاء العملاء بالغدر والنفاق فقال:

يا بني ترى طبع النذل لو صادق غدّار
خليك قليل لعهودك وَفِي حتى الزمن لو دار
ما من حدا يبني أبد عاش العمر عمرين
يا بني ترى الدار اللي يحكمها العدو ويحميها الخون مش دار

ورد الشعب الفلسطيني على تلك الإغتيالات بالعمليات الاستشهادية وزرع العبوات الناسفة:

ولما زرعنا العبوات دمرنا كل الباصات
وع الإغتيالات هذا هو الرد

وقد تنوعت عمليات الإغتيال التي نفذتها قوات الإحتلال من قصف وإطلاق نار أو زرع قنابل في أماكن يرتادها المقاومون، فها هو الشاعر يمجد الشهيد "أسامة جوابرة" الذي اغتيل في حارة "القريون" في نابلس وذلك بزرع قنبله في هاتف عمومي كان يستعمله الشهيد "أسامة":

أُسامَه جـوابرِه فـي القَريـونْ غَـدَرونا بـــالله يـــا رْجَـــال بـــدَمّو تِثأرونـــا
دَمَّـــك أُســـامَه وَالله ديـــنْ علينـــا هـــذا قَسَـــمْ والله عهِـــدْ علينـــا

7-تدمير المعالم الأثرية فلم يسلم شيء من الدمار، دمار الأرض والبنية التحتية والشجر حتى الآثار التاريخية، حيث إن قوات الاحتلال دمرت أجزاء كبيرة من الآثار التاريخية الفلسطينية في مدينتي نابلس وبيت لحم، فهدمت أجزاء كبيرة من الحارات التاريخية في المدينتين المذكورتين.

وتبين أن الدمار الذي لحق بالآثار الفلسطينية يكشف عن مدى همجية قوات الاحتلال الإسرائيلي والروح الشريرة لدى جنوده الذين قاموا بجريمة التدمير والحصار والتنكيل، حيث دمروا بروح انتقامية المساكن والدكاكين والنصب التذكارية في بيت لحم، كما مارسوا أعمال الإهانة والإذلال فهتف الشعب الفلسطيني مستنكراً تلك الأعمال الوحشية قائلاً:

ما بيـذْلْنِا صَـهْيُوني نتنيـاهو أو شـارون خَلينـا بـاراك يْهُـون قُـدّام الصِـبيان

ووصف الشاعر أكرم البوريني القدس وكنيسة القيامة بامرأة تستصرخ وتناجي وتطلب المساعدة من أبنائها:

وِالْقُـــدس بتصُـــرخ وتْنـــادي والأَقصـــى مَأســـورْ
وكنيســـة لقِيامـــة شْـــهادِة عـــالحق المهـــدورْ
والْمَســـيحي جنْـــب الْمُســـلِم روحُـــه للأوطـــان يقـــدِّمْ
شـــعبي مـــن الْمولـــد مِـــتْعَلِّم يتْحـــدَّى الطُغيـــانْ

الفصل الثاني

الانتفاضة ومضمون الأدب الشعبي

المبحث الأول : الحكاية الشعبية والانتفاضة

المبحث الثاني : الأغنية الشعبية والانتفاضة

المبحث الثالث : الشعارات أو الكتابة الجدارية

المبحث الرابع : الهتافات

المبحث الخامس: الأمثال الشعبية والانتفاضة

المبحث السادس:

أ- نداءات الباعة والانتفاضة

ب-الطرفة الشعبية والانتفاضة

الفصل الثاني

الانتفاضة ومضمون الأدب الشعبي

"يمثل الأدب الشعبي بالنسبة لأية أمة الخيار الوحيد، لكي تعبر عن تلقائيتها المطلقة بكل حرية وتجرد، وبدون أي قيود، فالأدب الشعبي هو التعبير الفطري الصادق لأحلام الأمة، وآمالها وبؤسها وشقائها[1] "ولما كان الأدب مقياساً لوجود الأمة بشكل عام، فإن الأدب الشعبي واحد من فروع تراث أية امة من الأمم، فهو العمود الفقري في الموروث الشعبي"[2].

إن التمسك بالموروث الشعبي ظاهرة صحيحة، وقد قيل "منْ لا تراث له، لا وطن له" وكثيراً ما استخدمت عناصر التراث لتدعيم قضية صراع وطنية وكسب حقوق، ونحن اليوم في مواجهة سارقي الحضارات، وقد تكالبت علينا الأمم لدعم الصهيونية العالمية، تسرق الأرض والزي والحكاية وحتى المأكولات الشعبية. ويشمل الأدب الشعبي الفنون القولية مثل الأغاني الشعبية، والحكايات الشعبية، والطرائف، والألغاز، ونداءات الباعة، وشعارات المظاهرات، والهتافات.

ولفهم تأثير التراث في المجتمع لابد من العودة إلى تعريف التراث، فالتراث يدل على ما يصدر عن الشعب من إبداع ما يمارسه من شعائر ومراسيم، وما يصدر عنه من عادات وتقاليد، فلو جردنا أي شعب من إبداعه وشعائره ومراسيمه وعاداته وتقاليده، فهل يبقى شيء بعد ذلك يعبر عنه؟ والتراث يعطي صورة واضحة عن الأخلاق السائدة في المجتمع، وتكمن أهميته في نشر قيم أسلافنا بعد مسايرتها لأوضاعنا وتعبيرها عن قيمنا.

الأدب الشعبي يخطو اليوم خطوات حثيثة بفضل من أولوه العناية والاهتمام من كتاب مبدعيين تخصصوا فيه باعتباره واحداً من أنواع الفولكلور الشعبي، وذلك من خلال اهتمامهم بالنتاج الأدبي الشعبي، واستقائه من مصادره ومنابعه الأصيلة المتمثلة بهؤلاء الشعراء الشعبين والكتّاب، فجاء الأدب الشعبي سجلاً كاملاً لحياة هذا الشعب المليئة بالكفاح.

---

(1) نمر، عمر،الملحمة الشعبية الفلسطينية، منشورات الجمعية العلمية الفلسطينية، الدار الوطنية، نابلس، 2000م، ص 5.

(2) دهني، محمود، الأدب الشعبي العربي، مفهومه ومضمونه، (د.ط) مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، 1972، ص92.

وهكذا "بات الأدب الشعبي مرآة تعكس أمنيات الأمة وأمانيها، وانتماءها الوطني وتفاعلها مع الأحداث القومية، فالقصائد والأغاني الشعبية تحث قادة الأمة وأبطالها على استلهام الماضي المجيد، وإعادة الوحدة، للتخلص من الواقع الراهن الأليم"[1].

الانتفاضة والحياة الفلسطينية العامة:

جاءت الانتفاضة في الأرض المحتلة نتيجة حتمية لتطوير الأوضاع في الساحة الفلسطينية والعربية والدولية، "وولدت الانتفاضة في الحضن الدافئ للوحدة الوطنية الفلسطينية"[2].

لقد كان تأثير الانتفاضة على الحياة العامة للفلسطينيين تأثيراً مباشراً وقوياً، ومن الجدير بالذكر أنَّ الانتفاضة الفلسطينية بشقيها (الأولى والثانية) قد أصابت كافة جوانب الحياة وعملت على إحداث تحولات جذرية في مختلف نواحي الحياة عند المواطنين الفلسطينيين في الضفة والقطاع، وتركت آثاراً عميقة على الجانبين الاقتصادي والاجتماعي سواء أكان من الناحيتين الإيجابية أم السلبية، "وعلى الرغم من أن الدافع السياسي كان هو المحرك الأول للانتفاضة، إلا أنَّه حدث تشابك بين الأحداث السياسية والاقتصادية وبالتالي الاجتماعية"[3]، إذ إن الانتفاضة ألزمت الفلسطينيين بمطالب اقتصادية عديدة تمثلت بالامتناع عن شراء السلع الإسرائيلية والأجنبية التي تتوافر في الأسواق، كما طالبت العمال الفلسطينيين بالانقطاع عن التوجه إلى العمل في إسرائيل، إضافة إلى تحديد أيام الإضرابات الشاملة، وتحديد مدة فتح المحال التجارية في الأيام العادية، ودعت مختلف القطاعات الاقتصادية للامتناع عن دفع الضرائب لسلطات الاحتلال.

لقد أحدثت الانتفاضة الأولى و الثانية تغيرات جذرية في العديد من جوانب الحياة اليومية للمواطن الفلسطيني على صعيد السلوك اليومي مثل تخفيض أجور البيوت والمحلات التجارية،

---

(1) أبو عليوي: حسن الشعر الشعبي الفلسطيني، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني مج4، ط1، بيروت، 1991، ص67.
(2) حبيب الله، غانم والمدني، رشاد، فلسطين والانتفاضة، ط1، الناصرة، شباط 1990،ص10.
(3) أبو عمشة، عادل، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الضفة الغربية قبل وأثناء الانتفاضة، 1989، ص 134.

والمواصلات و بيع السلع. مما أحدث نقله نوعية في سلوك المجتمع الفلسطيني و نقل نمط حياته وتفكيره عما كان سائداً قبل الانتفاضتين، كما تركتا بعض الآثار الإيجابية على الجانبين الاقتصادي والاجتماعي تمثلت في ترشيد الاستهلاك عن طريق تقليصه ومقاطعة السلع الإسرائيلية التي لها بديل محلي أو أجنبي، وانتشار الاقتصاد المنزلي، وظهور روح التعاون والتعاضد داخل الأحياء والقرى والمدن والمخيمات، "إضافة إلى العودة إلى الأراضي الزراعية، وتقليص تصدير القوة العاملة إلى إسرائيل"[1] مما ألحق أضراراً مادية في الاقتصاد الإسرائيلي وبخاصة في قطاعات البناء والزراعة وصناعة المواد الغذائية.

وقد تأثر القطاع الزراعي الفلسطيني تأثيراً كبيراً من جراء الإجراءات الإسرائيلية، حيث كان جنود الاحتلال يلحقون الأضرار ويوقعون الخسائر بالمزارعين وأراضيهم باعتبار ذلك نوعاً من أنواع الضغط عليهم لإيقاف الانتفاضة، وذلك عن طريق إغلاق الأسواق المركزية للخضار والفواكه في بعض المدن لمدة طويلة، أو منع دخول الشاحنات المحملة بالخضار إلى الأسواق، كما كانت تقوم بحرق الأراضي الزراعية بما فيها من محاصيل وخاصة في مواسم الزيتون والحصاد ومنع المزارعين من الوصول إلى حقولهم، وتجريف البيارات وقطع الأشجار وتدمير الدفيئات، ومزارع الدجاج والحيوانات.

كما أن سياسة منع التجوال التي اتبعتها السلطات الإسرائيلية ضد بعض القرى أضرت بالمزروعات بسبب عدم تمكن أصحابها من ريّها أو قطفها في الوقت المناسب.

وللمزيد من إلحاق الأضرار كانت تلجأ السلطات الإسرائيلية إلى فرض العقوبات ومنع التجوال على مناطق معينة وخاصة حينما يبدأ قطف المحصول الذي تشتهر به وتعتمد عليه تلك المناطق كما حدث مثلاً في قرية "تل" الواقعة غرب مدينة نابلس، فقد قامت السلطات الإسرائيلية بفرض حصارٍ عسكري على القرية منعت بموجبه إخراج أي شيء من محاصيلهم الزراعية وخاصة "التين" والألبان" إلى خارج القرية. وقد نجم عن ذلك خسائر فادحة وجسيمة.

(1) الشنار، حازم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في ظل الانتفاضة، ص38-39.

وكانت وما زالت تلجأ إلى قطع المياه عن بعض مزارعي الأغوار وغيرهم، هـذا ولـم تقتصر العقوبات التي فرضتها على مزارعي الخضروات والفواكه. وإنما طالت مربي الأغنام، سواء بقتل بعضها أو احتجازها أو تغريم أصحابها مبالغ طائلة، بحجـة الرعـي فـي منـاطق عسكرية مغلقة. وكذلك عانت مزارع الدواجن من نقص في الأعلاف وعدم تسويق الإنتاج بسبب الحصار الذي كان يفرض على بعض القرى.

أما في قطاعي الصناعة والسياحة فإن العقوبات الاقتصادية التـي فرضـتها السـلطات الإسرائيلية على سكان فلسطين والمتمثلة بمنع التصدير شلّت عدداً من القطاعـات الصـناعية، ومنها صناعة الصابون التي تعد من أهم الصناعات في مدينة نابلس، مما أدى إلى إغلاق بعض المصانع أو تقليص عدد العمال فيها.

ولقد كان قطاع السياحة من أكثر القطاعات تأثراً بالأحداث، حيث تضاءل عدد السياح الذين يأتون إلى فلسطين خوفاً من أن يلحق بهم الضرر.

"ونظراً للتغير الذي طرأ على كثير من العادات الاجتماعية من ناحية والرغبة في توفير النفقات وضغطها لمواجهة الأوضاع الاقتصادية الصعبة من ناحية أخرى، فقد ضعف كثير مـن القطاعات التجارية مثل قطاع المطاعم وصالات الأفراح والمتنزهات، كما قـل الإقبـال علـى محلات الأثاث والسجاد وأدوات التجميل، وتقلصت مبيعات الأجهزة الكهربائية مثـل الثلاجـات والغسالات"[1].

وكان للانتفاضة آثار على الناحية التعليمية فقد فرضت العديد من الإجـراءات القمعيـة ضد المعلمين والطلاب، وكان من ضمنها إغلاق المدارس في محاولـة للتخفيـف مـن شـدة الانتفاضة، التي كان وقودها الطلبة على اختلاف أعمارهم، ومراحلهم الدراسية.

"لقد ترك استمرار إغلاق المدارس والجامعات آثاراً سلبية على مجتمع الضفة الغربيـة وغزة وأحدث خللاً في جهاز التربية والتعليم، وهكذا أضافت سلطات الاحتلال ضـربة جديـدة

(1) أبوعمشة، عادل: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الضفة الغربية قبل وأثناء الانتفاضة، ص 135.

للمواطنين الفلسطينيين وكانت أكثرها ضرراً وشمولاً، لأنها أرادت أن تحارب المواطنين بفلذات أكبادهم لعلّها بذلك ترغمهم على التراجع عن الانتفاضة"[1].

وبذلك نرى أنَّ الانتفاضة بشقيها: الأولى وما تلاها من أحداث والانتفاضة الحالية المباركة، قد كان لهما التأثير المباشر على جميع جوانب الحياة بشكل عام، سلباً وإيجاباً هذا على الجانب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، أما على الجانب الثقافي، فقد كان لها تأثيرها المباشر في الأدب بنوعيه الرسمي والشعبي.

فقد كان للانتفاضة التأثير المباشر في صياغة الحكاية والتدخل في أحداثها، وعملت على تغيير مضامين الأغنية الشعبية وتدخلت في قوالبها اللحنية ومواضيعها، وحولت الشعارات والهتافات لتخدم أحداث الانتفاضة، وقد دخلت الانتفاضة في الحديث العام وفي السلوكيات الشعبية، لأنها كانت وما زالت في نظر المنتفض الفلسطيني هي المنقذ والمخلص من الاحتلال فهي تمثل آلام شعبها وآماله وطموحاته.

(1) المرجع السابق نفسه، ص 136.

المبحث الأول:الحكاية الشعبية والانتفاضة:

جاءت الحكاية الشعبية تعبيراً عن حياة الشعب في السراء والضراء، توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل بطريقة المشافهة في الأغلب، فقامت بمواكبة ظروف الانتفاضة وأحداثها المتلاحقة والمتغيرة باستمرار. فالانتفاضة أبدعت قصصاً قصيرة طريفة وحزينة، ساهمت في رفع معنويات الشعب الفلسطيني.

جاءت الحكاية الشعبية في الانتفاضتين، سرداً لقصة استشهاد أو وصفاً للحظة اغتيال، وهي كثيرة ومؤلمة. فكان أهم مَنْ اشترك في الانتفاضة وأحداثها وسرد تلك الحكايات الأطفال ذكوراً، ويليهم الأطفال إناثاً، ومن ثم الشباب وتليهم النساء الكبيرات في السن، وفي انتفاضة 2000 وما تلاها من أحداث فقد صار للشابات دور واضح. فنراهن تارةً يقفن بمحاذاة الشاب الرجل يقمن بقذف الحجارة على الجيش الإسرائيلي وتارات أخرى كثيرة يشاركن في المسيرات والمظاهرات يطالبن فيها برد الحقوق الضائعة أو يشاركن بتشييع جنازة شهيد، وتنفيذ عمليات فدائية.

لقد لعبت الانتفاضتان دوراً مهماً في تغيير توجيه الحكاية الشعبية إلى مسارات مختلفة عما كانت عليه في السابق، مع أنها بقيت محافظة على ملامحها الأساسية وتركيزها على الفكرة المرتبطة بالبداية والنهاية مع تغير في الأحداث والشخصيات.

فنجد الطفل البطل يلعب دوراً بارزاً في صياغة أحداث القصة الشعبية، فهو المحور الرئيس فيها، وهو يشبه إلى حد كبير تلك الشخصيات في الحكايات الخرافية، فهو صغير السن والحجم، وقد يكون مظهره مضحكاً، ولذلك قد يوصف بصفة بارزة فيه فيقولون "نص انصيص" أو "اقريعون"، أو "السلطان الأعور"، وهذا تحقيق للمقولة الشعبية "إنَّ الإنسان الكامل ليست لديه من الدوافع الخاصة ما يؤهله لأن يكون بطلاً. لكن حسنات الأحوال المعاكسة عند الأعور والأكتع والإنسان الناقص تخلق لدى كل منهم قدرات خارقة ترفعه إلى مصاف الأبطال"[1].

(1) سرحان، نمر، الحكاية الشعبية الفلسطينية،د.ط، آبار 1974، ص46.

لذا يظهر البطل "الطفل الفلسطيني" بأسماء ومسميات طريفة مثل "القُجّة" و "الشَّبر". وهو عادة يستهزئ بالجنود ويسخر منهم، ولا يهابهم ويدوخهم بأعماله. ويكاد يخلو هذا البطل من أية ذاتية محققة فهو خلاصة نقية للجماعة، وهو بطل متجاوب مع روح الجماعة أو الطبقة التي ينتمي إليها.

ومن الأمثلة التي توضح دور البطل "الطفل الفلسطيني" في التصدي للأعداء ومن ثم قهرهم.(أخذت بعض هذه القصص من كتاب الأدب الشعبي في ظل الانتفاضة تحت عنوان: أثر الانتفاضة على الحكاية الشعبية).

*** حكاية "الشبر":**

"شبل في مخيم بلاطة أطلق عليه "الشبر" لقصر القامة كان يدخل إلى سجن الجنيد باستمرار من خلال فتحة في الأسلاك الشائكة، ويأخذ معه "سجاير" وطعاماً وجرائد للمعتقلين ويمضي معظم الوقت معهم يسمع أخبارهم وينقل لهم أخباراً من خارج السجن، وفي إحدى المرات جاء موعد عدّ المساجين، وهو موجود، فعدو عدة مرات وكل مرة يكون العد زايداً، وأخيراً اكتشفت إدارة السجن وجود الشبر، وبعد ذلك زاد العدد الفعلي واحد".

وفي حكاية أخرى يظهر "الطفل البطل" شجاعاً، قاهراً للأعداء، مصمماً على الانتقام لشعبه فها هو خالد العراقي من "جنين" الملقب ب "القجة" كان "مغلّب[1]" السلطات الإسرائيلية حيث كان الجيش الإسرائيلي يبحث عنه، جرت عدة مرات ولكن ما "قدروش[2]" يمسكوه، وشافوه اليهود وطخوه بس[3]ما قدروش يمسكوه وأخذوه الشباب إلى المستشفى واضطروا إلى قطع الطحال، ولما شالوا[4] الطحال الأول لاقوا[5] طحال زغير[6]تحت الطحال الأول وظل عايش وروح ورجع يشترك بالمظاهرات.

---

(1) مغلب السلطات الإسرائيلية، أتعبهم وضايقهم.

(2) قدروش: لم يستطيعوا

(3) بس: لكن

(4) شالوا: أزالوا.

(5) لاقو: وجدوا.

(6) زغير: صغير.

*** حكاية "محمد من الجلزون":**

وفي حكاية أخرى من الجلزون ظهر "البطل الطفل" جريئاً، لا يخاف الأعداء، حتى إنه قد تعلم حب الوطن ورمي الحجارة منذ الصغر.

"كان طفل من الجلزون يرمي الحجارة على الجنود، فمسكوه فسألوه مين اللي بيعلمك على حذف الحجارة؟ فقال لهم أخوي محمد، فأخذوه وذهبوا إلى البيت حتى يعتقلوا أخاه محمد، وإذا به رضيع صغير عمره شهر واحد في حضن أمه".

*** حكاية الفتى المتسلق:**

وفي حكاية أخرى "طلب أحد الضباط من رجل كبير السن أن ينزل علماً مرفوعاً على شجرة، فجاء طفل يبلغ من العمر تسع سنوات وقال لهم: أبي لا يستطيع أن ينزل العلم، أستطيع أنا أن أنزله، وصعد إلى الشجرة بسرعة، وكانت الشجرة عالية جداً، فأنزل العلم وعندما سلَّم العلم إلى ضابط الدورية قال له الضابط، سأنزع أشرطتي مشيراً إلى رتبته العسكرية إذا لم تكن أنت نفسك الذي وضع العلم".

لم يكن الطفل البطل في انتفاضة 2000، أقل حظاً من غيره بل كان أكثرهم شجاعة وجرأة، كان بطلاً خارقاً لكل ما هو عادي ومألوف، ساحراً بكلماته وأفعاله وحتى بكيفية استشهاده أو موته، متغلباً على اليهود الذين يقفون في وجهه، فلا يغيب عن مخيلتنا قصة الشهيد البطل فارس عودة، الذي تصدى لدبابات الاحتلال بالحجر معتقداً لبراءته بأن هذا الحجر قد يوقف دبابات العدو ويعطل عمل مدافعها، ويمنعها من قذف حممها على الأهالي والمواطنين الأبرياء. وقد يكون رميه للحجر على الدبابات الإسرائيلية تعبيراً عن رفضه للبطش الإسرائيلي النازي ضد السكان العزل ورفضه لسياسة القوة والقهر.

فجاءت قصة استشهاده مثالاً يحتذى، فأصبحت تقال في الشوارع وفي المدارس وحتى بين الشعوب العربية، فنسجت قصص كثيرة عن ذاك البطل الذي تفوق بشجاعته وجرأته على خصومه.

*** حكاية "فارس عودة":**

"أراد الطفل فارس أن يتصدى للدبابة، ويقف أمامها صامداً شجاعاً. فقال لرفاقه: "أريد أن ألقي بالحجر على الدبابة ومن ثم أختبئ، فضحك منه رفاقه لقصر قامته، وسخروا منه وقالوا له: "كيف بدك توقف أمام الدبابة، وإنت طولك طول الشِبر"؟ فلم يردَّ عليهم، ونفذ ما يريد وكانت النتيجة إطلاق الرصاص عليه ومن ثم خرّ شهيداً، ولكنه قبل استشهاده رسم لنا صورة مليئة بالتضحية والتحدي رغم صغر سنه وقصر قامته كما كان أصحابه يقولون له. ورسم للعدو أروع الصور لحب فلسطين المغروس في قلوب أطفال فلسطين. وبقيت تلك الصورة وغيرها مرسومة في مخيلة الأعداء، مبهورين بالبطل الطفل.

وجاء الطفل البطل متصفاً بالشجاعة ولأن القوة هي سبيل الطبقة المظلومة للحصول على ما تريد لذلك نراه شجاعاً دائماً، وقادراً على التغلب على خصومه حتى لو ألقوا به في قرار الأرض وحرموه حقه في العيش.

أمّا الشاب البطل من الذكور، فهو أنضج من الطفل البطل، أكثر منه صرامة فبدل أن يقوم بأساليب صبيانية "يغلّب" بها جيش الاحتلال، يقوم بعمليات عسكرية جدية ومؤثرة في الجيش العسكري، وقد يقضي حياته مطارداً، أو مشرداً، أو يموت شهيداً، أو تحت أنقاض الردم والهدم، أو يصبح أشلاء من اللحم المتناثرة في جميع الاتجاهات بسبب تنفيذه عملية استشهادية.

*** حكاية "مغارة إذنا":**

ومن حكايات هذا البطل حكاية شاب من قرية "أذنا" الخليل، أعتقل بتهمة حيازة أسلحة وخلال التحقيق صمم على تنفيذ فكرة معينة، فاعترف للمخابرات أنَّ لديه أسلحة، وذهب مع دورية ليدلهم على مكان الأسلحة، وقادهم إلى إحدى المغارات في منطقة الخليل، ودخل المغارة كي يحضر الأسلحة ولم يعد طوال اليوم فما كان من الجيش إلاّ أن قام بنسف المغارة ولكنهم اكتشفوا بعد ذلك أن للمغارة باباً خلفياً على مسافة بعيدة من الباب الأمامي "ويقال إنه بقي مطارداً وأسهم في عدة عمليات إلى أن استشهد في عملية بيت أولا".

*** حكاية الزواج بالمراسلة:**

وفي حكاية أخرى من مخيم الدهيشة، "شاب أراد الزواج من فتاة في المخيم نفسه، كان الشاب مطارداً مطلوباً للقوات الإسرائيلية، كان يأتي كل يومين، وقد يمر أسبوع ولا يأتي لرؤية أهله، ولمّا قرروا الزواج كتبوا على الحيطان، موعد الزفاف ليقرأه ويأتي ليحضر حفلة زفافه، مرت ساعتان على موعد الزفاف ولم يأتِ العريس ومن ثم جاءت مجموعة من الشباب الملثمين، شافوا[1]من هو موجود في القاعة ولمّا تأكدوا أنه لا يوجد أحد غريب، عملوا زامور خطر، ودخل العريس وكتبوا الكتاب".

إنَّ الحكايات التي نسجت في الانتفاضتين كثيرة ومتنوعة وكلّها ذات مغزى واضح وهو أن الشعب الفلسطيني بجميع فئاته وفصائله ضحى بكل ما يملك وحتى بكل مغريات الدنيا وملذاتها من أجل وطنه فلسطين، فكانت الحكاية الشعبية أو القصة الشعبية ترجمة لتلك التضحيات، فصورت لنا الشاب الفلسطيني بطلاً غير عادي وأخذت تصنع الأساطير، وتصور حياته من يوم ولادته إلى يوم وفاته واستشهاده تصويراً فيه من الخيال الشيء الكثير، وربما هذا البطل واحداً من الشعب، عاش حياته بين أبنائه، فقد سمعنا عن غرابة أعماله الشيء الكثير والتي تجعل منه بطلاً أسطورياً، فسمعنا الكثير من القبور التي تحركت من مكانها، والأصوات التي سمعت عند قبور الشهداء والرائحة الجميلة الزكية الطاهرة التي كانت تبعث من جثث الشهداء.

*** حكاية " جعفر التلاوي ":**

ومنها حكاية جعفر من قرية "تل" الذي خرج من السجن بعد مئة يوم من استشهاد أخيه محمد ريحان وأصر على فتح القبر ومشاهدة جثة أخيه، ويقص أهل القرية الحكاية التي تقول: "خرج الأسير جعفر من السجن وكان قلبه مليئاً بالحزن والأسى على استشهاد أخويه محمد ريحان وعاصم ريحان منفذ عملية " عمنوئيل" البطولية ثأراً وانتقاماً لاستشهاد أخيه محمد ريحان، وكان جعفر متوجهاً للقرية فطلب من أهله أن يفتحوا له قبر أخيه محمد فرفضوا مدّعين

(1) شافوا: رأوا وشاهدوا.

حرمة ذلك العمل، فأصر على رؤية أخيه: فقال لهم أريد رؤية وجه أخي محمد ولو هذا حرام ! فردوا عليه لا يجوز ذلك، فطلب منهم رؤية شيخ ليعطيهم رأيه فأجاز ذلك، وذهبوا لفتح القبر فوجدوا هيئته كيوم استشهاده ورائحته معطره وبدا العرق على جبينه من التعب ولحيته طويلة".

لقد سمعنا الكثير من الحكايات التي حدثت في ظل الانتفاضة الحالية عن "الشاب البطل الذي تخر له الجبال وتنحني له الرؤوس إجلالاً وإكباراً لتضحياته الجليلة العظيمة، وهي حكايات عن الشهيد وعن الاستشهادي وعن المطارد والمطلوب، وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى، ومنها حكاية الشهيد البطل هاشم أبو حمدان ورفاقه.

*** حكاية " هاشم أبو حمدان ":**

" في 2004/5/2 اشتاق الشهيد هاشم لرؤية والدته والاطمئنان عليها وعلى إخوته وليسمع أخبارهم، فعندما دخل البيت، سلّم عليها وقبل يديها، وقال لها والدموع في عينيه: "اشتقت إليك يا يَمَّا" فردت عليه. "لسه من اسبوع جيت وشفتني، برضاي عليك يا أمي ما ضلك تيجي على المخيم لأن إولاد الحرام إكْتار" فرد عليها وقال:"بسْتُرها الله"، وفي أثناء الحديث سمعا أذان المغرب، فخلع حذاءه وقام للصلاة ولكنه سمع صوت الأطفال ينادون –يهود يهود–، فهب ولبس حذاءه قبل أن يصلي، وقبّل يدي والدته وقال لها: ارضي عليّ يايما، وإن متِتْ ما تبكي عليّ لأني شهيد والشهيد ما بموت: "وتقول والدته عندما سمعت تلك الكلمات "شعرت أني آخر مرّة بشوفو فيها" وفعلاً عندما خرج من البيت والتقى برفاقه عند أول المخيم وهم "نادر أبو ليل ونائل حسنين ورفيق دربه وابن عمه محمد أبو حمدان،أخذوا سيارة وتوجهوا إلى دوار المدينة، ومن ثم توقفوا قليلا ليصلوا صلاة المغرب، وبعد الانتهاء من الصلاة صعدوا للسيارة فإذا بصاروخ يهبط وبسرعة من طائرة تحلق بالسماء، فانفجرت السيارة بمن فيها، فسقط الأبطال الأربعة شهداء بعدما أرعبوا الجنود الإسرائيليين".

"كان هاشم من الأبطال المؤسسين للسواعد السمراء التابعة لكتائب شهداء الأقصى "فتح"، والمخططين لعدة عمليات استشهادية، فهو الرجل الذي أقض مضاجع السلطات الإسرائيلية

وقادتها، فكان من أوائل المستهدفين، فلجأ إلى الجبال وإلى السهول لتأويه. فكانت السماء غطـــاءً والتراب فراشاً له.

أما المرأة الفلسطينية / البطل، فبرزت في الحكايات على أنها امرأة قروية، أو تسكن في مخيم من أصل قروي، بسيطة تلبس الثوب الفلاحي الواسع، وهي في منتصف العمر واثقة مـــن نفسها جريئة، طيبة النفس، فاضلة ومكافحة في سبيل الوطن ومستعدة للتضحية لدعم النضـــال، ويظهر أهم دور لها في مجابهة الجنود، والالتحام معهم في صراع جسدي، من أجل إنقاذ طفـــل أو شاب من بين أيديهم ومن الأمثلة على ذلك.

*** حكاية " عريس بدون ميعاد ":**

"في نابلس القديمة داهم جيش الاحتلال إحدى الحارات مما أدى إلى هروب شاب إلـــى إحدى بيوت المدينة، لم يكن فيه سوى امرأة وابنتها التي كانت نائمة في غرفتها، وعند إغلاقهـــا الباب كان جنود الاحتلال خلف الشاب يطرقون الباب، فقالت المرأة للشاب ادخل هـــذه الغرفـــة وغير ملابسك والبس هذه "البيجاما"، ونم بجانب ابنتي، أرجوك لا تتردد، وذهب الشـــاب ونـــام بجانب ابنتها، فتحت المرأة للجنود الباب فقالوا لها: أين الشاب الذي دخل عندك؟ فقالت: لا يوجد أحد في البيت سواي أنا وابنتي وزوجها ادخلوا وانظروا، دخل الجنود وفعلاً كان الرجـــل فـــي السرير نائماً، فخرج الجنود وبعد ساعة خرج الشاب وشكر المرأة كثيراً، وبعـــد يـــومين عـــاد الرجل خاطباً يد الفتاة من أمها قائلا ً"انتي أمنتيني على بنتك وأنا كنت قدر الأمانة، لذلك أنا جاي أخطب بنتك لتكون زوجة لي".

*** حكاية " أم للجميع ":**

وفي حكايةأخرى اعتقلت دورية جيش أحد الشبان في مدينة رام الله، وكانت هناك إمرأة تشتري، وحينما رأتهم رمت بنفسها على الدورية وأخذت تبكي وتصرخ، وهي "تقول إنه إبني وما عمـــل شيئاً" بس كان ماشي معي في السوق، وسحبت الشاب من الدورية، وبعد أن أمسكت بيده ومشت قليلاً، سمعها أحد المارة تقول "إبن مين إنتا يا خالتي؟".

وما زالت المرأة البطلة تلعب دوراً مهماً في أحداث الانتفاضة الحالية، ولقد برزت المرأة الشابة أكثر من المرأة الكبيرة في السن، جاءت المرأة البطل في الانتفاضة الحالية، إمرأة متعلمة ومثقفة، وجريئة ومتدينة ولعل الطابع العام لتلك المرأة الاحتشام، فنسجت حكايات وقصصاً بسيطة، كانت المرأة البطل الشابة والفتاة تقود أحداثها وتسيّرها حسب إرادتها.

وكثرت تلك الحكايات عند الحواجز العسكرية بين فئات المجتمع من طالبة جامعة أو معلمة مدرسة أو طبيبة أو مهندسة، ولعلنا سمعنا عن حكاية المعلمة التي كانت تعمل في قرية "بيت فوريك" الواقعة شرق مدينة نابلس، عندما أجبرها جنود الاحتلال على خلع الحجاب والاستهزاء بها ومن معها من المعلمات والمعلمين.

المبحث الثاني: الأغنية الشعبية والانتفاضة:

تعرَّف الأغنية الشعبية بأنها أغنية تعتمد على لحن شعبي قديم، وتمتاز باعتمادها اللهجة العامية، والوصول بمضمونها الشعبي إلى أعماق الناس، وانتشارها بينهم سواء في ذلك أعُـرف مؤلفها أم لم يعرف. وللأغنية الشعبية خصائص تميزها عن غيرها منها اللحن الشعبي الجماعي، وأنها لا تنسب إلى قائل معين أو زمن معين محدد، مع أنها قد تنسب إلى عبقرية شـعبية فـذة، ولها خصائص أخرى منها. الطابع الشفهي، أي انتقال اللحن من إنسان إلى آخر، ومن جيل إلى جيل آخر، ومن مكان إلى آخر بالطريقة الشفهية والعفوية وصدق التعبير ومواكبة الحدث.

تحتل الأغنية الشعبية الوطنية مساحة كبيرة من الأغاني الشعبية، وتتداخل مـع معظـم أغراضها، وهي في مجملها تمجد الوطن وتدعو إلى التمسك بترابه، والـدفاع عنـه وحمايتـه وتخليد مَن قضى مدافعاً عنه، وتذم الغربة، وتوضح ويلاتها.

" لقد استطاعت الأغنية الشعبية بما تحمل من مضامين التعبير الصادق والـدقيق عـن المشاعر الشعبية آمالاً وآلاماً، وعن الماضي العريق الضائع. واستطاعت أن تعبر عـن الـدور الذي يسعى إلى تأديته أصحابها من النضال والفداء والتضحية والبذل والعطـاء. وكـان ذلـك برسمها للحدث ومواكبته مثلها مثل "شعر المقاومة" الذي ساهم مساهمة رائدة في معركة النضال الوطني والتحرري، فقد استطاع الشعر الشعبي مثل شِعر المقاومة أن يرسـم بدقـة الصـورة الحقيقية لحياتنا في ظل الاحتلال، وعبر بأمانة عن تاريخنا النضالي العريق، وارتبط ارتباطاً لا تنفصم عراه بجميع النكبات التي حلت بشعبنا عبر سني نضاله المديد المعمد بالتضحيات الجسام، فعالج هموم شعبنا وعبر عن طموحاته وأمانيه بلغة بسيطة مليئـة بـالرموز والصـور الفنيـة الرائعة[1]".

"لقد تطور الشعر العربي في أساليبه وفنونه وفقاً لتطور الواقـع الفلسـطيني وتطـور الأحداث على الساحة حتى وصل مرحلة معينة كانت بمثابة نقطة تحول في شـكله ومضـمونه على حد سواء، حيث تخلص من بعض الأشكال والمضامين والأساليب القديمة، وأبـدع قوالـب

(1) برزاوي، باسل، الشعر الشعبي والواقع الموضوعي، مجلة التراث والمجتمع، عدد 37، ص 101.

جديدة أكسبته حيوية وحداثة، فبعد أن كان الشاعر يصف الغربة ويهيم في الحزن والأسى، أخذ يعالج قضايا اجتماعية هامة مثل قضية الغربة وقضايا الحرية والاستقلال[1].

وقد جاءت الأغنية الشعبية مواكبة لتلك الأحداث، وكان لها تأثير مباشر فيها، وكذلك أثرت الانتفاضة في الأغنية الشعبية من حيث المضمون والشكل وسنعالج في هذا المبحث أثر الانتفاضة في الأغنية الشعبية من حيث المضمون.

وقد أثرت الأحداث الصعبة التي مرت بها فلسطين في حياة الشعب الفلسطيني وبخاصة في احتفالات الأعراس والأفراح المختلفة، فكيف لبيت فلسطيني أن يقيم أفراحه بينما يكون بجانبه بيت مليء بالأحزان لفقده شهيداً أو شهيدة أو إصابة جريح، وكان لهذه المواقف تأثير عميق في أغانينا الشعبية.

فلقد ألغيت معظم المناسبات العامة التي كانت قبل الانتفاضة، والتي كان يمارس فيها الغناء الشعبي، وكثرت المظاهرات والمسيرات، أو مواكب الجنازات الخاصة بالشهداء، وكان لمجريات الأحداث تأثير كبير في الأغنية الشعبية وبرز ذلك بروزاً واضحاً في أغاني الأعراس والحصاد وقطف الزيتون.

ألقت حرب الخليج التي تزامنت مع الانتفاضة الأولى 87م. وما تبعها من إجراءات عسكرية في الضفة الغربية والقطاع بظلالها على مجريات الحياة بشكل عام وعلى إقامة الأفراح بشكل خاص ومن هذه الإجراءات:

أ- منع التجوال الليلي.

ب-البطاقة الخضراء وتصاريح الدخول.

ج-المداهمات المستمرة للمدن والقرى.

فقد أثرت تلك الإجراءات في مراسيم الأعراس، فمنع التجوال سواء أكان في الليل أم في النهار كان يؤثر على مجريات العرس، حيث أجلت أعراس كثيرة وألغيت أخرى بسبب استمرار

(1) المرجع السابق نفسه، ص 101.

منع التجوال لأكثر من يوم أو حتى أسبوع، وهذا أدى إلى إلغاء معظم مظاهر العرس الفلسطيني وطقوسه، إذ امتنع الرجال والنساء عن الغناء، وألغيت السهرات والزفات.

واكتفى الناس بالأغاني الوطنية والدينية في البيوت وليس في قاعة الأفراح، فكانوا يقيمون أفراحهم وغناءهم في فناء بيت العريس أو العروس، وكذلك في أثناء الذهاب لحناء العروس أو لإحضارها من بيت والدها حيث تبدأ النساء بالغناء والمهاهاة.

وكانت العروس في أكثر الأحيان تزف إلى عريسها وهي بلباسها العادي وليس عليها مظهر من مظاهر العرس.

ونلاحظ مثلاً أن المهاهاة للعروسين وأقاربها، كانت أول فجوة فتحت في بناء الامتناع عن الغناء والمهاهاة لمرة أو مرتين من خلال العرس كله وبخاصة عند خروج العروس من بيت والدها وكذلك عند دخولها بيت عريسها، وكانت تقوم بها النساء المقربات من العريس والمهاهاة من الفنون الزجلية الخاصة بالنساء وزغاريدهن في الأعراس، ومثل ذلك قول النساء "هِييْ، آ، يِيْ، ها، آويها"، وتكون المهاهاة بخروج صوت غنائي متذبذب وسريع النغمة من فم المرأة بتوقيع منتظم على حافة الشفة العليا أو بحركة أفقية تتذبذب بين مُلتقى الشفتين والفم المفتوح.

والمهاهاة تقال من النساء في شخص قدم للعرس أو أي فرح ويقال في الأشخاص البارزين المرموقين من أفراد العائلة أو العشيرة، وتقال في أشخاص خرجوا من السجون أو أيَّ مناسبة تبعث السرور في نفوس الحضور، واستخدمت المهاهاة في الانتفاضة للأسرى المحررين فالأم تستقبل ابنها السجين المحرر بزغرودة ومهاهاة مشيدة بصمودة وصبره داخل سجون الاحتلال متحملاً برد الشتاء وحر الصيف صابراً على الجوع والعطش فتقول:

هيي يا فلان سبع الرجالي هيي و لاظنت ترضخ[1] لصهايني
هيي والدرب الصعب عندك بليني هيي واسمك محفور فوق جبيني
لولولولولو

(1) ترضخ:تخضع.

والابنة تفتخر بوالدها المطارد، فتطلق الزغاريد والمهاهاة، عند سماعها خبر استشـــهاده والدها وهدم بيتها وإخراجه من تحت الأنقاض أشلاء من اللحـــم والعظـــام. معبـــرة فـــي تلـــك الزغرودة عن افتخارها وتمجيدها لوالدها.

هـــا إي: يـــا أُمْـــي قـــومي زَغرتـــي ها إي: مـــن دَمـــهْ إنْســـجي وســـام
هـــا إي: يـــا أخْـــوتي ويـــنْ العـــربَ هـــــا إي: وأُمّـــــة الإِسْـــــلاَّم
لولولولولو

والأم تزف ابنها الشهيد بزغاريد ومهاهاة فكأنها بذلك تزفه لعروسه بثوب جديد ورائحة زكية طاهرة:

ها إي: زِفُّوا الشَّهيدِ دْخَلُّوا الزّفَّـــهْ عالسُّـــنَّهْ هاإي:زِفّوا الشَّهيد الْبِيتُو الثَّاني في الْجَنَّهْ
ها إي: جُرْح الشَّهِيد بْريحَـــهْ حِلْـــوَهْ يتْفَجَّـــرْ ها إي:جُرْحِ الشَّهيدِ عْطورَهْ الْمِسِكْ والْعَنْبَرْ
لولولولولو

وقولهم:

أويهـــــا:"يـــــوم الْأَقصـــــى صَـــــاح أويهـــــــا: عَمَّرهـــــــا السَّـــــــلاح
أويهـــــــا: مِثْـــــــل السَّـــــــبِع رَاحْ أويهـــا: يْقاتـــــِل مـــا هَـــمّـــه
لولولولولو

لقد بدأت مراسم الأعراس التي ما زالت تعود شيئاً فشيئاً، وخاصة في مرحلة التسعينات، ولكنها قلَّت في بداية الانتفاضة الحالية وسرعان ما عادت تلك المراسم في الســنوات الأخيــرة منها، حيث عادت مراسم الزفة للعروسين ومراسم ليلة الحناء أو "التعليلة " أو الســهرات التـــي يقوم بإحيائها أحد الشعراء الشعبيين.

فأخذ صوت المؤيدين لمنع الغناء يخفت وإن كنا لا نزال نسمعه حتى فـــي أيامنـــا هـــذه وخاصة ذوي النزعة الدينية، والذين اعتبروا الغناء انتهاكاً لحرمة الشهيد أو عدم الشـــعور مـــع الآخرين وإن قد قل هذا الصوت إلى درجة كبيرة وخاصة في الانتفاضة الثانية. فنرى الأغـــاني في العرس أخذت تذكر عمر بن الخطاب وصلاح الدين التي ترى فيهما مثالاً للخلاص

والحرية، وتذكر بعض الشهداء، وخاصة الأطفال منهم، وفيها صرخة استغاثة موجه إلى الدول العربية والإسلامية من أجل الوقوف إلى جانب الفلسطينيين. ولا يغيب عنّا تلك الأغاني التي غنت في الأعراس التي تدعو إلى التمسك بالدين الإسلامي والعودة إلى القرآن الكريم وذكر أسماء الأنبياء مثالاً للتضحية والتصميم.

وعلى الرغم من الابتعاد عن بعض الممارسات والتقاليد في الأعراس إلاّ أن بعض الناس يرون أن العودة إلى الأعراس في أطر معينة أمر ضروري حتى لا يؤثر على مشاعر الناس، وقد رأينا وسمعنا مواقف في الانتفاضة الحالية تتعلق بالعروس أو بالعريس أو بكليهما، فكان سببه في الأغلب كثرة الحواجز العسكرية فحدت تلك الحواجز من زواج شباب المدينة من فتيات القرية والعكس تماماً، وإذا اضطر العريس أن يتزوج عروساً من إحدى قرى فلسطين، كان يتحمل مشقة الطريق، وصعوبة اجتياز الحواجز، فكان في أغلب الأحيان يسلك طرقاً التفافية. وقد يجد على تلك الطرق "حاجزاً طيّاراً"[1] فيُحجز ساعات طويلة هناك في ظل برد الشتاء وحر الصيف.

وقد أدى هذا الوضع إلى اختفاء بعض الأغاني ومنها الأغاني الغريبة مثل:

إنْ كَنّكْ غَريبة هِيلي[2] من الدَّمع طَاسّهْ
يا اهلِ الْغَريبة يْدوسُو بِالسّنَه فراشِ

وقالوا:

سَجّل يا قاضي سَجّل واطْلعوني غَريبي
وإمِّي في الْبيت بتْعيِّطْ وأَنا أَقول يا نَصِيبي
بَسَّك[3] يابُور[4] تِزْعَك[5] جَوزُوني غَريبة

---

(1) حاجز طّيار: هي حواجز غير رسمية، تتواجد على الطرق الرئيسية أو الفرعية.

(2) هيلي: زيدي من الدمع.

(3) بَسَّك: يكفِك

(4) بابور: القطار.

(5) تزعك: يصدر صوت المنبه.

وإِمـــي فـــي الْبَيْـــت تْعَـــيط[1] وأنـــا أَقـــول يـــا نصـــيبي

كما اختفت أغاني النساء في الزفة وما كان يصحبها من ذكر للأسلحة والبارود مثل:

لمَّـــا نِزَلُـــوا علـــى الزَّفـــة زَي الْعَسْـــكَر إلْهـــمُ هَـيـــهِّ[2]
وأَولْهُـــم أبـــو فْـــلان وفْـــرُودهِم في الْدَّيـــه
لمَّـــا نِزّلـــوا علـــى الْزَّفِـــة زي الْعَسْـــكَر إلْهُـــم هِيبـــاتْ[3]
وأَولهَـــم أَبـــو فـــلان والْفـــرُودِه فـــي الـــدَّيات

وكثيراً ما كنّا نزف عريساً لعروسه بفرح وزغاريد، وبعدها بعدة أيام أو حتى ساعات ينقلب هذا العرس إلى عزاء ومواساة لأهل العروسين، وأفراح كثيرة انتهت بمداهمات عسكرية للصالات والبيوت، حيث كانت تقوم باعتقال العريس مثلاً أو أقاربه أو أقارب العروس كما حدث في مخيم الأمعري عندما داهمت القوات العسكرية قاعة الأفراح وقامت باعتقال العريس وبعض من أقاربه.

ولا ننسى صورة الشهيد العريس، عريس الأقصى الذي زف لعروسه يوم الأربعاء في 2000/9/29 وزف لربه شهيداً يوم الاثنين في 2000/10/4.

والعروس التي طلب منها أن ترقص وتغني على حاجز قرية ديرالحطب قضاء نابلس من أجل السماح لها بالمرور والذهاب إلى بيت عريسها في القرية المجاورة لقريتها.

ب- أغاني الزراعة:

أمّا أغاني الزراعة فهي الأخرى تراجعت نظراً لتغير نوع العمل، ففي فترة السبعينات توجه الناس نحو العمل في داخل الخط الأخضر، وبالذات حقل البناء، وهاجر الفلسطينيون إلى دول الخليج وخاصة الكويت للبحث عن فرص عمل هناك. مما أدى إلى ترك ديارهم وقراهم فأصبحت أعمال الزراعة في طور الانقراض، يضاف إلى هذا كله ماكان يفعله الاحتلال مثل

(1) تعيط: تبكي.
(2) هيّه، هيبة وشأن
(3) هيبات، قيمة وشأن.

تدمير المزروعات ومصادرة الأراضي الزراعية لإنشاء المستوطنات فانقرضت الأغاني الزراعية معها، مثل أغاني الحصاد وقطف الزيتون وحتى أغاني الحطابين وصيادي الطيور، ومن الأسباب المباشرة لتراجع تلك الأغاني وخاصة في ظل الانتفاضتين استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة في الحصاد والزراعة، لاختصار الوقت وإنجاز العمل بسرعة وخاصة في هذه الانتفاضة، حيث كانت القوات العسكرية تعطي وقتاً معيناً للفلاحين لإنجاز أعمالهم في تلك الفترة، وإلاّ تلقوا العقوبة على ذلك التأخير، فلم يعد هناك مجال واسع ليقوموا بأعمال الزراعة كاملة ويغنوا ويمرحوا طوال النهار.

فمن أغاني الحصاد التي تراجعت ولم يعد لها ذكر إلا القليل هذه الأبيات:

هَبْ البَرادِ وبرّدْني يا سَعِد مِنْ حَضَّرني
هَبْ الطَّيْاب وبَرّدْنِي يا بَخْت مِن حَصَّدني

وها هو الفلاح يتغنى بزرعه وقد أقبل على الحصاد براحة ومن غير خوف أو قلق من هجوم عسكري عليه وعلى أهله.

الزَّرع بِدْوه هِمْه بِدْوِه شبابْ تْلِمُهْ
تْمايلُوا وخُذوها بِيض الْعمَايم حِلّوها
صِبْيان لا تخَلوها وتْمايلوا وخُذوها
يا مْعَلِّم لا تْخاف زَرْعَك كُلُّهْ انظاف

كما اختفت أدوات الحصاد والزراعة القديمة، وبخاصة المنجل ومنها قول الحصاد يتغنى بمنجله:

مِنْجَلِي يا مِنْجلاْ رَاح لِلْصَايغ جَلاَه
ما جَلاَه إلاَّ بِعِلْبِه رِيْت هَالْعِلْبِه دَواه
مِنْجَلِي يا ابو رَزِّه يا اللي اشتريتك من غزِّة
منجلي يا أَبُو الخَراخِش يا اللِّي في الزَّرْع طَافِش[1]

(1) طافش:يسير فيه ويقطعه.

كما اختفت الأغاني التي تذكر الجمّال وطريقة حمل الزرع المحصود على الجمال كما في قول الحصاد:

وْانْتَ يا جَمَّالْنا يا شَيّالْ حْمالْنا
زَرِعْنا وْاحِنْا اَصْحابِه بالْمِناجِل ما نْهابُه

وعندما كانت تهل مواسم قطف الزيتون كان الفلاح يفرح ويستبشر بالخير. فكان يغني ويقول معبراً عن فرحته بهذا الموسم:

يا زَيْتون الْحَواري صَبَّح جَدادَك سَاري
يا زَيْتون إِقْلِبْ ليمون إِقْلِبْ مْسَخنْ فِي الطَّابون
والْمَلِيص زْيتُه طَيِّبْ أَمّا أَلْقاطُه بغَلِّبْ
زَيْتونتي يا حَبْها بَلَحْ بَلَحْ لَو يدْرِي بهاْ القَاضِي سَرَحْ
زَيْتونتي يا حَبْها جَرْجير لَو يدِرْي بهاْ القَاضِي الْخَنْزِير

وغنوا للون الزيتون دائم الخضرة لأنه يرمز إلى الحرية والجمال. فقالوا:

زيتُونِه يا مَخْضَر وَرَقها زَيْتونِه يا مَخْضر وَرَقْها
يا فلانه سُبحان مَنْ خَلَّقْها يا فلانه سبحان من خلقها
زيتوني أَطيَّب عَرُوس ما بْتِثْمّن بالْفُلوس
تحِمْيني الْفَقِر وْالْبُوس ومِنْ شَر يوم عَبُوس

وهكذا نرى أن مواسم الحصاد ومواسم الزيتون كانت حافلة بالفرح والسرور، وهذا ما لاحظناه في أغانيهم وزغاريدهم، ولكنّ سرعان ما اختفى ذلك الفرح، ولعل السبب المباشر لذلك هو الاحتلال وأعماله. فلاحظنا قطع أشجار الزيتون وتجريف الأراضي الزراعية ومصادرتها وضمها للمستوطنات لزيادة مساحة الدولة الصهيونية كما في اعتقادهم. فلم يعد هناك مواسم للحصاد أو لقطف الزيتون، حتى لو تركوا لنا القليل من الأراضي الزراعية، فالفلاح يحاول حصد حقله أو قطف ثمار أشجاره بسرعة كبيرة في الوقت المحدد له ولعائلته. وهذا ما دفعه إلى تجاهل الغناء والابتعاد عنه.

وبالرغم من كل هذا إلاّ أن الفنان الشعبي ما زال بشعره ومواويله يعبر عن البيئة التي يعيش فيها، فها هو يعكس لنا صورة الواقع مترجمة إلى عمل فني ذي قدرة على التأثير والاستمرارية في البقاء، فالشعر يعكس ما يعانيه الناس من ظلم وقسوة وظروف صعبة، ولم يقف عند هذا الحد، بل تجاوز ذلك إلى رفض هذا الواقع المفروض عليه وعلى شعبه، وانتشار الأغنية الشعبية في ظل الانتفاضتين وبهذا الشكل ما هو إلا تحدٍ للواقع، في ظل هذه الظروف التي تعصف بالشِعر من أجل القضاء عليه وإزالته من الوجود، فنراه يعزز وجوده ويقوي جذوره في الأرض كي يحمي نفسه، ويحيي القديم الأصيل منه.

فأخذت الأغنية الشعبية تصف لنا حادثة قصف لبيت أو تدمير حي من الأحياء السكنية الفلسطينية، فشاهدنا صوراً حية لكثير من البيوت المهدمة على أهاليها، فسياسة الاجتياحات التي كانت السلطات الإسرائيلية تلجأ إليها بين الفينة والأخرى، كانت تجر الويلات والدمار على البيوت السكنية وحتى على المساجد والكنائس والمدارس والجامعات.

فتغيرت مواضيع الأغنية الشعبية وفقاً لتغير الواقع الفلسطيني، فلم يعد هناك أغان للعمل والعمال، ولا أغان للغربة والحب، بل أبدعت الانتفاضة مواضيع ومضامين وقوالب جديدة أكسبت الأدب الشعبي حيويةً وتجديداً.

فجاءت الأغنية الشعبية واصفة للحظة اغتيال، ومستنكرة لأعمال الجيش الإسرائيلي، تدعو الشعب الفلسطيني للانتقام. وخير مثال على ذلك عملية اغتيال القائد أحمد ياسين واغتيال المجاهد البطل الرنتيسي بقولها:

نادُوا عَلَيّ بِصُوْت ... اسْتَشْهَد يَاسِين الْبَطْل
نادُوا عَلَيّ بِصُوت ... اسْتَشْهَدْ الرَّنْتيسِي الْبَطْل
يا زَارْعِين الْعَزِم ... يا مْجَّدِيْن الأَمَل
يا ابْن الْكَتائِب في دارَكْ ... وْخُذ الْبَيارِق عَلى الْجَبَل

وها هم يخاطبون أسوار القدس التي " تنطر " أبناءها لينقذوها من براثن الاحتلال:

يا سْوار الْقُدس اسْتَنْيْن[1] ... عَلى بُوابِك جُنْد الْقَسَّام

حامِـــــل سْـــــلاَحُه وِجْراحُـــــه جَابِيـــكَ عَلـــى وسْـــطُه حْـــزَام

ويبين أبناء الشعب الفلسطيني طريقة الرد على اغتيال المجاهدين وذلك من خلال العمليات الاستشهادية:

وإِنْـــتَ يـــا إِبِـــن شـــارون خَاسِـــر مِثْـــل بَـــارَاك
جـــاي عَلـــى وسْـــطِي حْـــزَام مُحَصَّـــــنْ بالأَلْغَـــــام

وجاءت العمليات الاستشهادية، تحدياً للواقع، رافضة كل حل استسلامي محذرة من العملاء والمندسين.

فأشادت الأغنية الشعبية بمنفذي العمليات الاستشهادية ذاكرة أسماءهم على أنهم أبطال وأنهم باستشهادهم يحبون الأمة والشعب:

بمْوتنِـــا تحْيـــا أُمَـــمْ وإِحْنَّـــا عَلَيهـــا شْـــهُود

ومجدوا الفتيات الفلسطينيات اللواتي قدمن أرواحهن وأغلى ما يملكن من أجل الأقصى.

آخِرْ خَبَرْ الْيُـوم مِـنْ بَعـدِ الْعَصِـر أُخْرى صَـبْيَهْ اتفَجَّـرَت فِـي الْقُـدْس
لَعْيونْهَّـــا كُـــلْ الْـــوَطَن آيَّـــات قُـــرْآن وذِكْـــر

وقالوا في أغنية أخرى:

آخِـــر خَبَـــرْ آخِـــر خَبَـــرْ اسْتِشْـــهادِي مِـــنْ شَـــعْب انْفَجَّـــر
أَرْضِ الْعَـــرَبْ بِـــزْرَعْ رُعُـــبْ فَجَّـــرْ فِـــي يُـــوم الْنَّصِـــرْ
آخِـــرْ خَبَـــرْ آخِـــرْ خَبَـــرْ الْيُـــوم مِـــنْ بَعْـــدِ الْفَجِّـــرْ
اسْتِشْـــهادِي فـــي حيفـــا انْفَجَّـــر فـــي مَجِـــدُّو بْلَمْـــحِ الْبَصَّـــرْ

جاءت الأغنية الشعبية تدعو إلى التمسك بالحقوق الفلسطينية، وبالهوية الفلسطينية وبالدولة المستقلة وحدودها من البحر إلى النهر.

مِـــنْ الْبَحْـــرِ مِـــنْ الْنَّهْـــرِ جُمْلَـــه كُـــلْ الأَجيـــال تْغَنّيهَـــا

بِـــــــدْنا كُـــــــلْ حُقُوقْنَـــــــا مـــــا بِـــــدْنا كَـــــاني ومَـــــانيْ
يكْفينَـــــا حَكّـــــي وكَـــــلام بِكفّينَـــــــــا أَمـــــــــانِي
واللِّـــــي بِـــــدُو يْعَادِينـــــا فِـــــي الْميـــــدَان يَلاقِينـــــا

وقالوا:

أَقْصَـــــــــانا أَقْصَـــــــــانا حُبْـــــك عَـــــايش جُوانـــــا
نِفْـــــديك بِـــــالْروحْ الْغالْيِّـــــة تِرْخَصْـــــــــلَك دِمانَـــــــــا

وبرزت التضحية بكل ما يملك الفلسطيني، بالمال والولد وحتى النفس والروح فقالوا في ذلك:

كِرْمَـــــالْ عْيـــــونِ الـــــوَطَن أَرْضِ المِعْـــــــــرَاجْ نِفْـــــــــديها
شَـــــبّ وشَـــــايبْ والولَـــــدْ عَـــــا أَكْفَـــــافِ العِـــــزّ نْعلِّيهَـــــا

وبدلاً من أن تغنى الأغنية للحبيب الذي طالت غربته، أخذت تنشد وتغني للثوار والمناضلين الذين ينتقلون بين الجبال والكهوف بحثاً عن مأوى لهم ولرفاقهم.

يَـــــا مُطَـــــارَدْ يـــــا مَطْلُـــــوبْ يَـــــــــــا قَسَّـــــــــــامِيِّه
اِسْـــــمَكْ فِـــــي العَـــــالِي مَكْتُـــــوبْ حَرَكِـــــــــــةْ إِســـــــــــلاَمِيِّة

وقالوا على لسان طفلة قد طارد الجنود والدها وهي تتساءل عن مكانه وأين يختبئ:

سَـــــألوُني عَـــــنْ أَبَـــــوُيي ويْنُـــــو[1] يَـــــا يَسْـــــميني
قُلْـــــت إِلهُـــــم إِنّـــــو مْطـــــارَدْ مَـــــا بِتْشُـــــوفُو عِينِـــــي
يـــا بُـــويي هاظَـــا[3] خـــامِسْ عيـــد مَـــــا جِيـــــتَ تعيِّـــــدنِي
بَـــــآجِي[1] تَنـــــدرُس بتْصـــــوَّرْ إِنَّـــــكْ فِـــــي المْغَـــــارَة
تَفْكِيـــــــرك سَـــــــرْحَانْ فِـــــي قْيـــــودِ السَّـــــجَّانْ
بَـــــآجي تَتْعشّـــــى بَتخيَّـــــلْ كِيـــــفْ إِنـــــتَ بِالْقِلِّـــــهْ[2]

(1) وينو: أين.
(2) القلة: قلة الطعام والراحة.
(3) هاظا: بمعنى هذا.

قَاعِـــــدْ حَـــــزِين بتأمَّـــــلْ فِـــــي بْنَـــــاءِ الدُّولِـــــة

ولم تخلُ الأغنية الشعبية من ذكر العملاء والرؤساء والقادة العمـلاء والعـدو الأكبـر إسرائيل. فقامت بوصفهم الوصف اللاذع ونعتهم بالخراف المنقادين.

يَـــا خَـــاين قَلْبَـــكْ قَـــاسِ خلَّـــي عِنـــدك إحســـاسِ
لاَ تِرضَـــــى بالأَلْمَـــــاسِ تْبَـــدِّلها بـــذرَّةْ طِـــيْن

وقالوا:

يَـــــا خَـــــاين آن الأوان نِفْصِـــل جِسْـــمَك عـــن راسَـــكْ
حَـــذَّرناك زْغَـــارِ كْبَـــار بِكفِّـــي خِيانِـــة يَـــا سِمْسَـــارْ

وشرعت الأغنية تمجد سلاح الفدائي، وتندد بسلاح الجيش الاسرائيلي الذي كان يفـوق سلاح الشعب الفلسطيني، فقالوا[2]:

بَلَـــدَك فِـــي اللِّيـــل أحرُسْـــها خـــوف الصـــهيوني ينجِّسْـــها
جيـــل الـــدَّار نـــارْ نـــارْ دبّابِـــهْ مقابِـــل أحْجـــارْ
خَلّـــي أعصَـــابَك قويِّـــهْ إِوعَـــا يْهمَّـــك نَسْـــف الـــدار

وغنى الشعب الفلسطيني[3]:

واتحَـــدِّينا الرّاجِمـــات بالبَلطَـــهْ والشِّـــبْرِيِّهْ
مَـــا تِرهِبْنَـــا الْمَـــدافِع ومِـــنْ غَـــازَك شَـــعْبي مـــا يلـــينْ

أمّا الحجر والإطارات المشتعلة فكان لهما النصيب الأوفر في الأغنية الشعبية:-

مَلِّينَـــا الطَّريـــق حْجَـــارَ أُولَّعنَـــا لِعْجَـــال

---

(1) باجي: آتي.

(2) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبيه، ط1، 97م، ص101.

* خوف: دلالة على التحذير. * ينجسها: تصاب بنجاسة وسوء. * إوعا: وخذ حذرك.

(3) المرجع السابق نفسه، ص287.

* غازك: القنابل المسيلة للدموع.

وقالوا عن أجيال الحجارة:

بِـــدْنَا نِحْكِـــي عـــن أَجيَـــالْ تِكْتُـــب بِـــالحَجَر عَـــالرِّيح
مَـــرَّ للبلـــدِه مَـــوّال مَـــرَّه للبشَـــر تَفـــرِيح

****

يَـــا حْجَـــارَه يَـــا حَجَـــارَه اِوعِـــي تْرُوحِـــي مِـــنَ الحَـــارَة
أَنـــا وايَّـــاكِ اِربِينَـــا مِثْـــل البَحِـــر ومْحَـــارَه

وكثر في الأغنية الشعبية الحديث عن الشهيد ومكانته في الجنة، وعن أمه وكيف تزفه لربه بأجمل الملابس.

يللـــي بتســـألني شـــو صـــار ثَـــوْرَه، وفجّرهَـــا الثُّـــوار
واللِّـــي مِنّـــا بِسْتَشـــهِدْ مِـــنْ دَمُّـــو بَعطِينـــا حْجَـــارْ
مِـــنْ دَمُّـــوا الـــوَرِدْ مَنْحنـــا إِصْـــرَار وفـــتح وثُـــوَّار
عَلّـــتْ زَغَـــرُودِة إمُّـــو لأن الـــوَطن ضَـــمُّو
يَللَّـــه يَـــا رفَـــاقُوا التمُّـــوا تَنكمِّـــلْ بِعْـــدُو المِشْـــوَارْ

للأغنية الشعبية أغراض متنوعة، فهناك الغزل والفخر والهجاء والوصف والرثاء ولكن معظمها تراجع في عهد الانتفاضتين على الرغم من أهميتها واستبدلت بأغراض تتحدث عن الواقع بطريقة مباشرة، فهل يعقل أن يكون هناك تشييع جنازة شهيد ويقف الفنان الشعبي ليقول موالاً في الحب والهيام؟ أو يعقل أن يكون هناك بيت مدمر على أهله والشعب يغني و ينشد؟ أو يعقل أن يكون في مكان ما شجر يقلع من جذوره ويقف الفنان الشعبي يصف كيفية لقاء الحبيب مع المحبوبة؟.

ولعلَّ الرثاء أكثر الأغراض الشعرية الشعبية استخداماً في الانتفاضة ولأنَّه تعبير عن " معنى الألم والأسى، سواء قيل الرثاء في عزيز فقد، أو في إنسان ترك من الآثار المعنوية ما

يجعله شيئاً مذكوراً، وغالباً ما ينتزع الراثي في رسمه للصور الباكية الحزينة، تشبيهاته وأخيلته من واقع الأحداث المرتبطة بمن يرثيه أو يتفجع عليه"[1]

ولعل أقدم صور الندب والنواح في الشعر العربي هي صورة ندب الأهل والأقارب والنواح عليهم. ويمكن وصف البكائيات أو المراثي الشعبية في الانتفاضتين بأنها أبيات شعرية تمزج بين الوصف والندب، ولها قوالب بيانيه تقليدية متعارف عليها، وتهتم بالحديث عن الموت والحياة، وقلما تتجه هذه البكائيات نحو الانطلاق واستخدام الرمز أو تلجأ إلى المواقف المتخيلة وذلك لأنَّها تقوم بتسجيل الواقع الذي يشكل مادة أساسية في مضامينها العامة.

وكل بكائية في الشعر الشعبي الوطني في عهد الانتفاضتين تمثل موضوعاً منفصلاً أو قضية محددة، فلكل بكائية غرض تسعى إلى تحقيقه، ومبدأ ترى أنه لابد من ترسيخه، وقد كان الموقف وما يزال سيد البكائيات. ويتجلى جمال البكائيات الشعبية في عهد الانتفاضتين في هدوئها، وتتغلب رنة الحزن العقلي فيها على رنة الحزن العاطفي، خلافاً للبكائيات الشعبية التقليدية، فإن البكائيات الشعبية الوطنية لا تستجدي الدمعة، بل تحاول اظهار المحاسن المعنوية والمادية للميت، وهذه المحاسن هي التي تستدرج النفس لتبكي وتستبكي. ومن البكائيات التي ظهرت في الانتفاضة قول الشاعرة ماريا أبو واصل[2].

أَنَــا لاَبكــي وَبَكِّــي كُــلْ جيلــي على ما صابني ومــا صــاب جيلــي
هِيلــي يــا دْمُــوع الْعِــين هِيلــي علــى إللِّــي رَاح ومــا وَدْع حَــدا

فإن شاءت النفس البشرية بكت، وإن شاءت أعجبت بحال التعبير عن الحزن. كل ذلك بعيداً عن التهويل والمبالغة.فقالت أيضاً:

ولَــكْ يــا مُــوْت شُــودَلَّك عَلينــا أَخَــذِت زْغِيرنــا[3] الْغَــالِي عَلِّينــا
بَقُوا في حضُونا وفَّــرُوا مــن أيــدينا مِثْــل عَصْــفور بِرصــاص الْعِــدّا

(1) العمد، هاني، المراثي الشعبية الأردنية، البكائيات، ط1، دائرة للثقافة والفنون عمان، 1984م.
(2) شاعرة شعبية من مدينة الناصرة.
(3) زغيرنا: صغيرنا.

حيث كثر البكاء على المباني والأحياء المدمرة في المدن مثل جنين ورام الله ونـــابلس، كما بكى الناس الأقصى الأسير، فقال أكرم البوريني:

تِبْكـــي القُـــدِسْ بِـــدْموع التمنّـــي ومعاهـــــا تِنْتِحِـــــبْ حِيفـــــا ويافـــــا

كما وصف الفنان الشعبي بكاء القدس على أسرها وطلب نجدتها من اخواتهـــا المـــدن العربيـــة الأخرى مثل بيروت، ومن الجيوش العربية.

ياقُـــــــدْس لا تِحزنـــــــي وأذِّن معـــــــي يـــــــا صُـــــــوت
الله أكبَـــــــــرْ علـــــــــى قَسْـــــــــوة أعادينـــــــــا
يـــــا قُـــــدْس كـــــافِ دَمِـــــعْ نـــــادي علـــــى بيـــــروت
نـــــــادي جْيـــــــوشِ العَـــــــرَب تُعْبُـــــــرْ بوادينـــــــا

تتشابه مواضيع الأغنية الشعبية وأغراضها في الانتفاضتين، ففي انتفاضة 87م تحـــدثت الأغنية عن الشهيد ومكانته، وعن الأسلحة المستخدمة، ووصف الحدث وصفاً دقيقاً كمـــا فعلـــت الأغنية في الانتفاضة الحالية مع فارق بسيط في الكم والعدد، فمجموع ما قيل فـــي الانتفاضـــة الأولى وما تلاها من أحداث يفوق ما قيل في الانتفاضة الحالية؛ لعل السبب هـــو قصـــر المـــدة الزمنية منذ بدء الانتفاضة حتى الآن، فإذا استمرت الانتفاضة فإن المبدعين الشـــعبيين ســـتجود قرائحهم بالعديد من الإبداعات الفنية الغنائية.

ونجد أن الشعور الديني والإسلامي كان بارزاً وواضحاً بل إنه طغى علـــى مواضـــيع الأغنية الشعبية في ظل الانتفاضة الحالية أكثر منه في ظل انتفاضة 87م وما تلاها من هبـــات وثورات. ولعل الشعب الفلسطيني وجد في الإسلام والقرآن الكريم الحل الوحيد لنيل ما يتمناه من حرية واستقلال.

ومن ألوان التأثير في مضامين الأدب تحوير مضمون الأغنية الشعبية القديمة بما يتلاءم مع الوضع الفلسطيني والحالة الفلسطينية في الانتفاضتين، فهناك أغان شعبية بدّل الناس كلماتها،

وحوروا في دلالاتها مثل أغنية " سجل يا قاضي سجل "، أخذوا لحنها وضمنوه كلمات جديدة كما في:

سـجِّل يـا قاضِـي سـجِّل حُكْمَـك مـا فيـه عَدَّالـه
سـجِّل يـا قاضـي سـجِّل وقُـولِّي شُـوإللِّي سَـوْيتُه
لـيش الجُنـدي المسـلح بسـلاحه قتـل رامـي

وكذلك في أغنية " سبل عيونه ":

سبّل عُيونـو ومَـدِّ ايـدُو يحَنُّونُـو خَصـرُه رِقَيّـقْ وبِالْمَنْـديلْ يلفُّونُـو

وعند غنائهم أيضا في مناسبة إعلان الدولة:

يـا وْلاَد حَارتْنـا دُولـهْ
مَجلِـسْ أعْلَنْهـا دُولـه
والْكُـلِّ بيْهتِـفْ دُولـه
دولِتْنـا المُسْـتَقِلِّه خَلَّـتْ نـار الثَّـورهْ تِعْلـي

وقد حورت الأغنية السابقة عن الأغنية الشعبية التالية:

يـا وْلاَد حَارتْنـا يـويـا
ضَـرَبُو جارتْنـا يـويـا
سَـرْقُوا جاجاتهـا يـويـا

وقولهم أيضا:

إمْـوه يَـا إمْـوه يَـا فَرْحِـةْ إمْـوه
زَفْيَنَـا الشَّـهيد واِسْـلاَحوه مَعُـوه
وعلـى الزَغاريـد يـا إمِ الشَّـهيد شُـفْنا هِـلال الْعِيـد طَـالِع مِـنْ دَمُـه
امْـوه يـا إمْـوه يـا فَرْحِـة إمْـوه
أَقْسَمْنا ما بِتْهون لَـو حَبِـةْ زَيْتُـون بِالْقَلَـب الْحَنُـون ادْعُـي لُـو إمْـوه

كما حور الأطفال الفلسطينيون في أغانيهم الكثير، فها هي ألعابهم تحولت إلى حمل البندقية والحجر فجاءت أغانيهم معبرة عن هذا فبدلاً من قولهم:

طـــــاقْ طـــــاقْ طاقيِّـــــهَ طـــــاقْ طـــــاقْ طاقيِّـــــهَ
رِنّ رِن يـــــــا جَـــــــرْسْ "فـــــلان" رَاكِـــــب علـــــى الْفَـــــرَس

قالوا:

طـــــاقْ طـــــاقْ طاقيِّـــــهَ وأنـــــــا بـــــــلا هَوِيِّـــــــهْ
رِنّ رِن يـــــــا جَـــــــرْسْ خَنْجَـــــرْ فـــــي ظَهْـــــري انَغَـــــرَسْ
طـــــاق طـــــاق يـــــا بُـــــو الطّـــــوقْ لـــــبْلادي أنـــــا كُلِّـــــي شُـــــوقْ
عِـــــنّ عِـــــنّ يـــــا جُوعـــــان إِنْـــــتَ الصّـــــامِد وغِيَـــــرِكْ خَـــــانْ

أمّا القوالب الشعبية المشهورة فكانت من العتابا والدلعونا واغزيل وغيرها. أي لم تتغير في قالبها اللحني بل بقيت على ما هي إلاَّ انَّها غيرت من مواضيعها. ومضامينها فلم تعد " العتابا" تقال في موضوع الغزل والمدح أو الرثاء كما كانت قبل الانتفاضتين، بل أصبحت تقال في الوطن وتمجيد الشهداء والأسرى.

حَبَسْـنا الْهَـمّ فـي الصَّـدْر وحَجَرْنـا[1] وْضَـــــوِّينا شَـــــوَارِعْنا وْحُجَرْنـــــا
أَفـــاق الْكـــونْ عاضَـــرْبِة حَجَرْنـــا بِإِسْـــــــمِ الانْتِفاضَـــــــهْ والْفِـــــدَا

ولون الدلعونا الذي كان ينافس لون العتابا والميجنا من حيث شعبيته وشيوعته خلال الستينات من القرن الماضي، لايزال كذلك في الثمانينات والتسعينات وحتى الألفين، فبقي لون الدلعونا على ما هو إلاَّ أنَّه تغيرت مواضيعه في الألفين، فصارت مواضيع وطنية خالصة ومكرسة لخدمة أغراض الانتفاضة فمنها:

عَلَـــى دَلْعونـــا ورُوحـــي عَـــاكَفِّي فِـــدَا الْجَلِيلـــل وغَـــزِّة والضَّـــفِّهْ
وَاللَّـــه مـــا أنْســـاها لـــو دمّـــي يْصـــفِّي حِنّـــا بِحَتِّـــي احْبَـــالا وعْيُونـــا

(1) حَجَرْنا، حُجَرْنا، جمع حُجْرة وهي الغرفة وهنا جناس تام وهذا ما يميز العتابا.

ثم تلا تلك القوالب قالب يا ظريف الطول فعند استقراء الكثير من أبيات هـذه الأغنيـة، نجد انَّها تكرس ذاتها لموضوع عام واحد وهو الغزل بالمحبوب والتغنـي بـه وقـد تتعـرض لموضوع الهجرة والاغتراب ومشاكل اجتماعية كغلاء المهور وتكاليف الزواج وما يترتب على ذلك من حرمان ومعاناة، ومع بداية الانتفاضة الأولى بدأت تلك الأغنية تحول مواضـيعها إلـى موضوع الوطن و المعاناة. فقالوا في الانتفاضة الحالية:

يا زريـفِ الطـولْ ضَـرْبِ الْحَجَـرْ شِـدّ فـي الْمُظـاهَراتْ ظَلَّـكْ مُسْـتَعِدّ
في وَسْـطِ الشَّـارِعْ جِيـبِ حْجَـارُ وسِـدّ وَلِّـعْ لَلِعْجَـالْ وصُـدّ أَعْـدائِنا

وكذلك جاءت مواضيع السحجة واغزيل في ظل الانتفاضة مقتصـرة علـى القضـايا الوطنية.

أَوَّلْ كلامـي بَحَيِّـي شَـعْبي وحْجَـارُو عُمّـالو وْطُـلاَّ بُـو وفْـلاّ حِينـوو تُجْـارُو

ومن أغاني الإغزيل:-

يَ اغْزَيِّـلْ يَـابُو الْهِيبَـهْ يـا بُـو حَجَـرْ فـي جِيبَـهْ
الصَّـهْيُوني انْصـابِ بْخيبَـهْ وْهَـرَبْ زَيِّ الأَرْنَبَـا

وهكذا جاء القصيد أيضا... بمواضيع وطنية ومن أمثلتها:

نِزْلُـوا صَـبَايا وْشُـبَّانْ يتْحَـدُّوا لَدَوْرِيِّـهْ
شَـعْلاني الضَّـفِّهْ بْنِيـرانْ الإِنْتِفاضـا الشَّـعْبِيِّهْ

وأكثر ألوان انتشار وتميزاً في الشعر الشعبي في ظل الانتفاضة هي الطلعات بأنواعها. مثل المربع والمخمس والمثمن... وأكثرها استخداماً المربع.

المبحث الثالث: الشعارات أو الكتابة الجدارية:

"هناك مقولة تؤكد أن الشعارات أو الكتابة الجدارية هي ظاهره إنسانية، وممارسة يومية قام بتوظيفها الفرد العادي للتعبير عن أمنياته الخاصة. والتراث الإنساني على تنوعه أضفى على الكتابة نفسها خصائص مجتمعاتها الفردية والجماعية لتشكيلها بعد ذلك شكلاً جماعياً للتجربة الإنسانية العامة في تفاعلاتها مع الواقع، وفي توقها لإفراغ مكنوناتها الذاتية على الجدران العامة والخاصة"[1].

ونحن نعلم أنَّ الانتفاضة: ثورة على الاحتلال الإسرائيلي. يعمل بكل الوسائل لقطع الصلة بين الشعب الفلسطيني والعالم أجمع فهو لا يسمح لوسائل الإعلام بنشر أية معلومات تناهضه.

فلا بد من وسيلة أخرى تصل بين الشعب وقيادته، أو بين الشعب وأحزابه ومؤيديه. فكانت النداءات المطبوعة والمناشير التي تطبع وتوزع سراً، والشعارات التي تكتب أيضا سراً على الجدران في كل مكان. وقد حارب الجيش الإسرائيلي هاتين الوسيلتين بكل قوة، إذ كان يلجأ إلى إحداث الفوضى وتفكيك الصف الواحد، بكتابة شعارات مزورة، كما قام باعتقال من يضبطهم يوزعون النداءات أو يكتبون الشعارات.

ويعرف الشعار: "بأنه جملة أو عبارة تستعمل من قبل شخص أو جماعة؛ لتعبر عن موقف مميز أو هدف أو موقف في قضية صراع أو هدف يسعى إليه[2]".

وقد صدرت الشعارات عن تنظيمات وجهات كان لها دور في تحديد مسار الانتفاضتين، فكانت هناك شعارات لحركة فتح، أو الجبهة الشعبية أو الكتلة الاسلامية. وغيرها من

(1) محمد: إبراهيم و محمد، طارق، شعارات الانتفاضة دراسة وتوثيق، ط1، لندن، 1997، ص 27-28.
(2) المرجع السابق نفسه، ص 28

التنظيمات، ولكل تنظيم مجموعة من الشعارات تختلف عن شعارات التنظيمات الأخرى. ولكــن هناك شعارين تجمع عليهما جميع التنظيمات باستثناء الجهات الاسلامية[1].

وهما:

1- لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة.

2- نعم للمؤتمر الدولي كامل الصلاحيات.

وحركة المقاومة الإسلامية والجهاد الإسلامي تتفقان حول شعارين رئيسيين أيضا وهما[2]:

1- لا صوت يعلو فوق صوت الله أكبر

2- نعم للحجر لا للمؤتمر.

ورغم كثرة الشعارات وتنوعها إلاَّ أنَّ مضمون الشعارات يدور حول ما يلي:

1- التأكيد على عروبة فلسطين، والتصميم على استرجاعها وجعل القدس عاصمتها الأبدية مثل "فلسطين عربية".

2- كانت الشعارات تتحدث عن فلسطين والحث على تحريرها والتمسك بهــا وعاصــمتها القدس الشريف، والمحافظة على الهوية الفلسطينية دون استبدالها بأية هوية أخرى مهما كانت المغريات المادية.

" عاشت فلسطين مستقلة "

" القدس عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة "

" عاشت فلسطين العودة، فلسطين تقرير المصير، فلسطين دولة مستقلة "

" دولة فلسطين أولاً، وثانياً وإلى الأبد "

" لن نقبل إلا بدولة فلسطين وعاصمتها القدس الشريف "

---

(1) البرغوثي، عبد اللطيف، هتافات الانتفاضة وشعاراتها الانتفاضة. شعارات في ظل الانتفاضة، مركز إحياء التراث، الطيبة، ص130.

(2) المرجع السابق نفسه، ص132.

" لا بديل عن الدولة المستقلة "

" القدس عاصمة فلسطين ولا مكان للصهاينة فيها "

وأمَّا الشعارات التي تحدثت عن هوية فلسطين فهي كثيرة ومنها:

" لن نبدل هويتنا إلا بالهوية الفلسطينية "

" الأرض هي الهوية "

كما تضمنت الشعارات الفلسطينية التعبير عن كره الشعب الفلسطيني للعملاء والخونة، والتحذير من الوقوع في شباكهم، واصفة كيفية محاسبتهم وما هو جزاؤهم، وكيف يتم قتلهم وذلك بتعليقهم على أعمدة الكهرباء في الساحات العامة.

ومن الشعارات التي فيها تهديد للعملاء ووعيد لهم بالويل والموت وتحذيرهم من نشر الفتن.

" احذروا العملاء "

" الويل للمندسين "

" الويل للخونة والعملاء "

" الويل لمن يحاول كسر الوحدة الوطنية "

" الويل لمن يحاول بث الفتن وخلق النعرات الطائفية "

ولم تنسَ الشعارات توضيح كيفية طريقة محاسبة هؤلاء العملاء، وقبل محاسبتهم كانت الأحزاب الفلسطينية تمنحهم فرصة للتوبة والنجاة، فإن لم يفعلوا تقوم بقتلهم وتعليقهم على أعمدة الكهرباء وفي الساحات العامة، وتشويه جثثهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم، حتى أنَّ السلطة الفلسطينية أصدرت قراراً بإعدامهم شنقاً؛ ليكون العملاء عبرة لمن اعتبر.

" كل عميل سينال جزاءه ولكن في الوقت المناسب "

" أيُّها العميل هذه الفرصة الأخيرة لتوبتك "

" أيُّها العميل قف وفكر واعلم أنَّ يد الشعب والثورة طويلة "

" البندقية الفلسطينية مصير كل خائن "

" لكل ملثم خطة ولكل عميل بلطة "

" الشمس لا تغطى بغربال والعميل لا تغطيه سلطات الاحتلال "

" لكل بيت باب ولكل عميل حساب "

" أعمدة الكهرباء بانتظار العملاء "

" النصر عشر رصاصات، تسع منها للعملاء وواحدة للاحتلال "

وصف العملاء بأوصاف قذرة وبذيئة، منهـــا أنهـــم شـــياطين وحثالـــة ومتســـاقطون، ومتخاذلون خونة، وجراثيم تدخل على المجتمع وتنتشر بسرعة كالبكتيريا في صفوف المجاهدين وحتى الشعب بأكمله.

" كل النبذ الاجتماعي للخونة والمتساقطين "

" لنعاقب العملاء والحثالات على اعتدائهم على ممتلكاتهم الوطنية "

" أيها الخائن مهما طال لسانك اعلم أنَّ عمرك قصير "

" لقد حان الوقت للقضاء عليكم أيَّها الجراثيم "

" الموت للمتساقطين "

وتطرقت الشعارات إلى السجن والسجناء، فتحدثت عن الزنزانة وما فيهـــا مـــن عتمـــة وظلام وجوع وعطش وقلق وخوف وخلوها من النور والطمأنينة وأنَّها مدرسة تعلـــم الصـــغار والكبار مبدأ واحداً وهو حب فلسطين والتضحية من أجلها، وسرعان ما يخرج السجين حتى يعيد الكرة مرة أخرى يقاتل ويدافع عن فلسطين بكل ما أوتي من قوة، وقد يعود سجيناً مرة أخـــرى وقد يحضنه تراب فلسطين شهيداً، وفي كلتا الحالتين هو القائد والناجح.

فكتب الشعب الفلسطيني على جدران أسوار المدارس والشوارع العامة:

" علمني وطني أنَّ السجن لي سكن والقيد لي خلخال والمشنقة أرجوحة الأبطال "

" تحية إلى أبناء شعبنا في سجون الصهاينة "

" سأقبل أرض زنزانتي لأنها جزء من فلسطين "

" الموت لي شهادة والنفي تفكير وسياحة والسجن لي خلوة وعبادة "

كما أكثرت الشعارات من ذكر أسماء المعتقلين، ووصف مدة اعتقالهم فمـــنهم المحكـــوم عليه بمدى الحياة، ومنهم المحكوم عليه بالمؤبد، أو الذي تحت وقف التنفيذ أو الموقوف ادارياً.

" خالد خديش حاضر في عقولنا وقلوبنا "

" تحية من الكتائب لمؤسسها ناصر عويص صوت الانتفاضة الحر حسام خضر "

" عشت حراً وسجنت حراً وما زلت داخل القضبان حراً يا مروان البرغوثي "

وتغنت شعارات الجدران بأسماء الشهداء، إذ كان لهم مساحة أوسع وحظ أوفر، فذكرت أسماء الشهداء، وكيفية استشهادهم من خلال تصميم الشعب، كما بايعهم وتوعد بالانتقام لهم لتحقيق آمال الشعب في الحرية والاستقلال ومن ذلك:

" حماس تحتسب عند الله شهداء الانتفاضة "
" المجد والخلود لشهداء الانتفاضة "
" إلى جنات الخلد يا شهداءنا الأبرار "
" لقد علمتنا شهداء الزنازين الدرس. وهو الصمود أو الشهادة الأبدية "
" تحية للشهداء الأبرار "
" سأواصل التصعيد حتى أسقط شهيداً "

جاءت الشعارات تدعو إلى التماسك والالتحام وتنظيم الصفوف على هدف واحد

ووحدة واحدة ضد أحزاب الشيطان.

" حماس تدعو إلى ضرورة التلاحم قدماً على درب الانتفاضة المباركة "
" عاشت الوحدة الوطنية ووحدة مناضلينا في المعتقلات الصهيونية "
" لنفتح ذراعينا للجميع بدون استثناء من أجل الوحدة الوطنية "
" ستبقى فتح المحافظة على الوحدة الوطنية "
" لتتوحد صفوفنا، الدين لله والوطن للجميع "
" كلنا للحرية إسلام ومسيحية "
" حماس+فتح= فلسطين "

ولتعميق الوازع الديني، أصبح المنطلق الرئيس للأحزاب السياسية من حماس وفتح وجبهة وغيرها، هو تحرير المقدسات الإسلامية والمسيحية من براثن الاحتلال، وكأنهم وجدوا أن القتال ضد الجيش الإسرائيلي وكل من يقف وراءه هو الحل الوحيد.

لجأت السلطات الإسرائيلية إلى ممارسات عنيفة ضد الشعب الفلسطيني، فشرعت في سياسة التجهيل، وعملت على تعطيل المدارس والجامعات فترات طويلة وصلت إلى أسابيع بل أشهر.

وكما عملت على هدم وتدمير بعض المدارس وإغـلاق الجامعـات و إقامـة حـواجز عسكرية تمنع المعلمين من الوصول إلى مدارسهم، فجاءت الشعارات رافضة للوضع وتدعو إلى الإضراب والاعتصامات.

ومما كتب في تعطيل المدارس والجامعات وتدميرها:

" لا لسياسة التجهيل النازية، نعم لفتح الجامعات لا للهجرة إلى الخارج "
" المدارس أمانة في أعناقكم وإنَّ تعطيلها وتخريبها خيانة وجريمة "
" كل محاولة للتخريب على امتحانات الثانوية سنقاومها بشدة "
" جهاد+تعليم= إنجاز عظيم "

لقد وجد في الانتفاضة الحالية نوع جديد من التعليم وهو التعليم الشعبي، التعلـيم داخـل البيوت السكنية وخاصة في عمليات الاجتياح التي كانت القوات العسكرية تقوم بتنفيذها وتعمـل على منع الطلاب من الوصول إلى مدارسهم وحتى معلميهم الذين لاقوا القبول من الشعب نفسه. وفي الانتفاضة السابقة كان طلاب الجامعات يدرسون في البيوت أو في بعض الأمـاكن العامـة كالمساجد والكنائس فجاءت الشعارات تعبر عن ذلك:

" نعم للتعليم الشعبي وتعويضنا للطلاب "

لقد جاءت الشعارات تدعو إلى الإضرابات في مناسبات وطنية وذلك رفضاً لحادثة ما.

" 6/9 إضراب شامل "
" 6/5،4 تصعيد مميز بذكرى العدوان 67 واجتياح لبنان 82 "
" 11/2+10/21 إضراب شامل "

دعت الشعارات إلى عدم التعامل مع الاحتلال والإدارة المدنية مثـل دفـع الضـرائب ومقاطعة البضائع الإسرائيلية وتغيير الهويات.

فتوعد الشعب الفلسطيني مروجي البضائع الإسرائيلية، وكل مـن يتعامـل مـع الإدارة المدنية.

" نحذر مروجي البضائع الإسرائيلية على أن يتخلصوا منها خلال شهر "

" يجب مقاطعة المنتوجات الإسرائيلية الأمريكية "

" سنحرق كل مكان تدخله قدم الحاكم العسكري "

" فلنقاطع الصرافة، والمتجولين في الشوارع "

ومما قيل في الامتناع عن دفع الضرائب للاحتلال:

" لا تدفعوا الضرائب للاحتلال "

" فلنقاطع الإدارة المدينة "

جاء الجيش الإسرائيلي بوسائل متعددة ومتنوعة لقمع الشعب الفلسطيني واستخدمت الأسلحة المتطورة والفتاكة، فجاءت الشعارات مستنكرة استخدام تلك الأسلحة، ومفتخرة بأسلحة الشعب المناضل، ومؤكدة على وسائل المقاومة ومنها الحجر والبندقية والسكاكين والمولوتوف.

" لولا الحجر يا سادة ما كان لنا سيادة "

" ما في خوف ما في خوف الحجر صار كلاشنكوف "

" لا تلعب بالنار شباب فتح بالبلطة تزيحك[1]"

" لنعانق بندقية الانطلاقة "

" بالرصاص انطلقنا وبه سننتصر "

وكان للقائد الرمز الشهيد "أبو عمار" نصيب وافر من هذه الشعارات، مؤيدة له –رحمه الله– وتشجيعاً له ولصموده رغم الحصار، فكان هو الباعث للأمل والمخطط، والمدبر الصابر و"الختيار".

وسواء أكان حياً أم ميتاً. فهو باق في النفوس في آرائه وأقواله، فكانت أقواله بمثابة شعارات دونت و تناقلها الناس لتكون حافزاً ومشجعاً على الاستمرار في طريقه.

" يريدونني إما أسيرا وإما طريدا وإما قتيلا "

" أنا بقلهم شهيداً شهيداً شهيداً "

" القائد صرَّح تصريح يا جبل ما يهزك ريح "

" يوم ميلاد أبو عمار يوم ميلاد الثورة "

" الله ربي والإسلام ديني و أبو عمار قائدي "

---

(1) تزيحك: تبعدك.

" فلسطين يا محلاها ياسر نجمة في سماها "

" الانتفاضة سفينة في بحر السياسة تحية لقبطانها الأخ القائد أبو عمار "

" عرفات تزوج فلسطين وأبناؤه كل الشعب الأحرار "
" بعدو[1]عاش أبو عمار رمزاً للحرية والإصرار "
" هيك علمنا الختيار أنا نهجم على النار "
" أبو عمار يا حبيب دخل جيشك تل أبيب "

وحتى عندما انتقل إلى رحمته تعالى لم تنسَ فلسطين أنْ تعبر عن حزنها بسبب فقـــدانها الأب الحنون والمعلم وأن تؤيد الرئيس أبامازن محمود عباس.

" أبو عمار رحلت جسداً ولم ترحل فكراً في أذهاننا "
" أبو عمار كنت نجماً تضيء به سماؤنا "
" فلسطين قالت نعم لـــ أبو مازن"
" أبو عمار كنت الرقم الأول وأبو مازن هو الرقم الثاني "

وبالرغم من الاتفاق على بعض الشعارات إلاَّ أنَّ لكل حزب شعاراته، فجميع الأحـــزاب تفتخر بانطلاقتها وتمجد قادتها، وتحتفل بهم وتفتخر بمقاومتها للاحتلال.

فها هي – فتح– مثلاً تفتخر بقادتها وتحتفل بتاريخ انطلاقها وتمجد أعمالها.

" 65/1/1 انطلقت فتح أم الملايين "

لقد بدأت الشعارات في الانتفاضتين منسجمة مع أحداثهما مواكبة لتلك الأحـــداث، فهـــي تخاطب شرائح المجتمع، وتدعو إلى الأخلاق، والتمسك بالقيم الإيجابية في المجتمع مـــن حـــب الوطن، وكره العدو، والعملاء وتمجد البطولات فما هي إلا دروس وعبر تكتب على الحيطان و الجدران ليقرأها المارة من الناس.

(1) بعدو: ما زال.

المبحث الرابع: الهتافات:

أمّا الهتافات فإنها تجمع بين الفرد والجماعة إذ يكون "القوال" هو قائد المجموعة كلّهـا، يهتف، ويردد الناس من ورائه ما يقول، وقد ينقسم الناس إلى عدة مجموعات، وتردد كل منهـا المقطع، شأنها شأن "السحجة" إلاّ أنها أسهل، "حيث يتطلب من السحجة مجموعات تحفظ الكثيـر من الأبيات الشعرية، وتكون متسلسلة حسب مواضيعها التي لا تسمح بابتداع شيء جديد يتناسب مع الحدث"[1]. ولكن في الهتافات قد يقول "القوال" أشياء جديدة يبتدعها في اللحظة نفسها لتناسب الحدث والموقف.

وكثيراً ما تتردد الهتافات والدموع تنسكب من أعين الهاتفين، لأن معظمها يقال لتعبيـر عن رفض أمر أو حدث ما، أو عند تشييع جثمان شهيد، أو عند حادثة اغتيال أو قصـف بيـت وتدميره على أهله وسكانه، فنجد الهتافات تنوعت بتنوع الأحداث التي تقف وراءها والمناسـبات التي تقال فيها.

ويمكن القول إنَّ الهتافات التي ظهرت في الانتفاضة الشعبية في وقتنا الحاضـر وفـي انتفاضة 87م، كانت مختلفة عن الهتافات التي ظهرت في الثورات والهبات السابقة وذلك بسبب اختلاف الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، ففي حين كانت أشـهر الهتافـات آنذاك تدعو العربي إلى بيع أعز ما يملك من أجل شراء البارود.أصبحت الهتافـات فـي ظـل الانتفاضتين تدعو إلى ضرب الجيش الإسرائيلي بالحجارة والمولوتـوف إضـافة إلـى تمجيـد الشهداء والاستشهاديين، واستنكار أعمال الصهاينة من قصف وتدمير وعمليات الاغتيـال التـي تحدث كل يوم في جميع المناطق بالضفة والقطاع.

(1) مجلة التراث والمجتمع "الهتافات" العدد 37 تموز 2001، ص90.

ومن أشهر الهتافات التي استخدمت في انتفاضة 87م[1]:

تَحِيِّتْنـــــــــا بِحَـــــــــرارَه لَضِّـــــــــــرِيبةْ الحِجَـــــــــارة
تَحِيِّتْنـــــــــا بِـــــــلاَ خُـــــــوف لِلِّـــــــي يُضْـــــــرُبُ مُولُوتُـــــــوف

لقد استعان الشعب الفلسطيني بالهتافات التي قيلت في المناسبات السابقة:

دَبّرْهـــــــا يـــــــا مِسْـــــــتِر بِـــــل بَلْكِـــــي علـــــى ايـــــدَك بِتْحِـــــل
يـــــا ويـــــل الْلِّـــــي نْحارِبُـــــه بِالسِّـــــيف نْقطَـــــع شَـــــارْبُه
يـــــا ويـــــل إِللِّـــــي يْعادِينـــــا إِنْ لاَحَـــــت مَواضِـــــينا

لقد لجأ الشعب الفلسطيني في الانتفاضة الحالية إلى أشكال متنوعة من الهتافات، كانوا يستخدمون الهتافات نفسها التي تتناسب مع المواقف المتشابهة، كما في الهتافات السابقة، وقد كانوا في أحيان كثيرة يلجأون إلى تغيير كلمة بدل كلمة وقد يلجأون إلى استبدال كلمتين أو أكثر حسب الحدث. وهذا ما يسمونه التحوير كما في:

يا صهيوني صَبْرك صبرك، قرب ينتهي أمرك

وهذا هو الأصل في الانتفاضة 87، فأصبح في الانتفاضة الحالية:

يا باراك صبرك صبرك، في رام الله نحفر قبرك.

وقد يدخل بيت جديد في الأقوال الأصلية:

إطلـــــع يـــــا قمرنـــــا وهـــــل وضـــــوي الكـــــرة الأرضـــــية
مـــــا خلقتـــــا تنعـــــيش بـــــذل خلقـــــنا نعـــــيش بحـــــرية

وهذا أصل الهتاف الذي قيل في 87.

فأصبح في الانتفاضة الحالية:

اطلـــــع يـــــا قمرنـــــا وهـــــل وضـــــوي الكـــــرة الأرضـــــية

---

(1) البرغوثي، عبد اللطيف، الأدب الشعبي في ظل الانتفاضة. "هتافات الانتفاضة وشعارها، د. ذياب عبـوش، ص122. مركز إحياء التراث الطبية.

* بلكي، كلمة تركية وتعني يمكن.

مـــا خلقتـــا تنعـــيش بـــذل خلقتـــا نحمـــل رشاشـــات
وبناضـــل حتـــى الممـــات حتـــى نعـــيش بحريـــة

ويمكن أن يلجأ "القويل" إلى تغيير "الاسم" فقط، فيستبدل اسم شخص معين بدلاً من شخص آخر، وذلك لتشابههما في الحدث أو المناسبة، كمناسبة إفراج عن أسير أو تشييع جثمان شهيد. ورغم كثرة الهتافات في الانتفاضتين 87 و 2000، إلاّ أن مضامينها متشابهة مع التغيير البسيط. فهناك الهتافات التي كانت تقال في تشييع الشهيد والسير وراء جثمانه، فهي تذكر بطولاته ووالتصميم على الانتقام له، وتوضح مكانته في الجنة، ومعاهدته على مواصلة الطريق من أجل تحرير الأقصى، والانتقام له:

يـــا نـــاس حيـــوا الشـــهيد وعـــن دربنـــا مـــا بنحيـــد
دم الشـــهيد غـــالي غـــالي مـــش بضـــاعة مـــش تســـالي
يـــا شـــهيد ارتـــاح ارتـــاح إحنـــا انواصـــل الكفـــاح

ولم ينس الهاتفون أن يهنئوا أم الشهيد، ومطالبتهابأن ترتاح لأن ولدها في جنات الفردوس مع الأنبياء والصديقين.

زغردي يا أم الشَّهيد، "فلان" إِنْولَد من جديد، ابنك على الجنة أكيد
خلي الشَّهيد بدمه ألف تحية لأمه
يا أم الشهيد زغردي كل الشباب إوْلادك
يا نيالك يا شهيد، في جنة عدن خالد

لقد عملت الهتافات التي قيلت في الشهيد على رفع معنويات الشعب الفلسطيني وحثه على القتال، فكثيراً ما كنا نرى بعد تشييع جثمان شهيد مسيرات تتجه حول الحواجز العسكرية، تتدد بأعمال الجيش الهمجية، وتلقي الحجارة، فيتساقط الشهداء مرة أخرى وهكذا تعاد الكرة من جديد.

جاءت الهتافات لتؤجج الانتفاضة وتقف معها وتدفع باستمرارها، فكانت ملازمة لها ولأحداثها. تستقي مفرداتها من تلك الإجراءات والأحداث اليومية. تحثها على الاستمرارية في

النضال من أجل نيل الاستقلال وعودة الأقصى محرَّراً كريماً عزيزاً، موضحة أن الانتفاضة هي الحل الوحيد لنيل الاستقلال والهوية.

الانتفاضة الاستقلال، الانتفاضة للسيادة.
الانتفاضة طريق القدس، الانتفاضة هي الوحدة.
لا تنسى ولا تتناسى، الانتفاضة لأجل الأقصى.
الانتفاضة المجيدة، درب الثورة تضويها.

وتؤكد الهتافات التي قيلت في الانتفاضة، أنها جاءت من أجل تحقيق الدولة المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، والاعتزاز بالهوية الفلسطينية وأنها هي الطريقة الوحيدة والصوت الأقوى من أجل تحقيق المبتغى؛ وأنها الرد الوحيد على الظلم الذي يمارسه الاحتلال من قتل وغدر واغتيالات. وأنها مستمرة حتى النصر.

الانْتِفاضَّة مُسْتَمِرة — الانتفاضة مستمرة
انتفاضِتْنا الشَّعبِية — بِدْها دَولِة وهَوِيَّة
الانتفاضة هي العودة — الانتفاضة هي الوحدة
الانتفاضة هي الصُوت — فوقها أبَداً ما في صوت
انتفاضة ومواجهات — هو الرَّد على الاغتيالات
نحن الشَّعب الفلسطيني — نحن شَعب الانتفاضة

كما مجدت الهتافات أسلحة الفلسطيني، تلك الأسلحة البسيطة في موادها الصعبة والمعقدة في تأثيرها على العدو. والحجر أكثرها انتشاراً واستخداماً لسهولة حمله وتوافره بين الناس وفي جميع الأماكن، فهتف المنتفضون بهذا السلاح وبغيره من الأسلحة، كالشبرية والمولوتوف والنقيفة، والعجل المولع.

يا أرضي زيدي زيدي، حجارة وصلت لإيدي — شعب بيطلب حرية، بالقنينة بالشبرية
بنقيفة ومولوتوف، الكل يقاوم والشبرية — سمعت صوت الرشاش ورصاص البندقية

احمل حجر ولع نار ما بدها من انتظار

وافتخر الهاتفون بحاملي السلاح، ومجدوا فيهم الجرأة والثبات وعدم الخوف حتى لو وقفوا أمام دورية جيش أو مركبة جنود.

يا فدائي عالحدود، سمعنا صوت البارود

يا فدائي سير سير، إحنا معاك للتحرير

ليش الخوف ليش الخوف، الحجر صار كلاشنكوف

شبل الثورة هالصنديد، ما بيركع رغم التهديد

كبسنا على الدورية، فرت من حجارتنا

وجاءت الهتافات مؤيدة للعمليات الاستشهادية، ذاكرة اسم الاستشهادي على أنه بطل أسطوري تفوق على أقرانه بالقوة. فعند حدوث عملية استشهادية يهب الشعب الفلسطيني بجميع فصائله يهتف مستبشراً متفائلاً بالنصر والحرية.

فَخّخنـــــي اعْمـــــل مَعْـــــروف وَدِّينـــــي عَلـــــى دِيزْنَغُـــــوف[1]

فَخَّخنـــــي فـــــي دِيزْنَغُـــــوف مـــا فـــي خُـــوف مـــا فـــي خُـــوف

فَجِّرنـــــي بتِعمـــــل مَعْـــــرُوف وعَالْعفُولِّـــــــــة[2] **وَدِّينـــــــــي**

حِـــزْب الله هـــي يـــا عيـــوني فَخِّخنـــي فـــي كريـــات شـــمونه[3]

وحين نتأمل هذه الهتافات نجدها انعكاساً لرؤية الشعب الفلسطيني وتعبيراً عن أمانيه وآماله وتطلعاته، في تحقيق مطالبه الشرعية في إقامة الدولة المستقلة والتحرير أسوة بالشعوب الأخرى.

وقد عملت تلك الهتافات شأنها شأن الشعارات على تغليب الانتماء الوطني وحب الوطن وأن هدف جميع الفصائل واحد وهو الاستقلال والحرية.

---

(1) ديزنغوف: اسم شارع في تل أبيب.

(2) منطقة في شمال فلسطين.

(3) مستوطنة يهودية.

المبحث الخامس: الأمثال الشعبية والانتفاضة:

المثل الشعبي: هو خلاصة التجارب، ومحصول الخبرة، وهو يحتوي على معنى يصيب التجربة والفكرة في الصميم، ويتمثل فيه الإيجاز وجمال البلاغة، وهو جملة قصيرة رصينة تحمل معنى مكثفاً.

ولذلك سنجد الأمثال والأقوال الشعبية متضمنة أحداث الانتفاضة وخاصة الأولى، وأمّا انتفاضة 2000، فقد تكررت الأمثال ذاتها التي استخدمت في الانتفاضة الأولى كما في: "الكف ما بواجه مخرز". فهو يقال في مناسبات كثيرة. قد تتناسب مع أحداث الانتفاضة وقد لا يكون له علاقة بالانتفاضة، فهو يضرب للمظلوم الذي لا يستطيع الوقوف أمام الظلم وتحديه.

أمّا الأمثال التي قيلت في انتفاضة 87م فكانت بمثابة حكم وعظات تصدر عن مجربين في الحياة، وبخاصة كبار السن، كانت تحمل معاني كثيرة منها الدعوة إلى التمسك بالسلاح البسيط المستخدم والحجر الذي قد ينقلب بقدرة الله إلى سلاح مدمر ومثال ذلك:

شعبي هَبْ وما فيه خُوف الْحَجَر صار كلاشنكوف

ففي قولهم: الحجر صار " كلاشنكوف"، مثل شعبي صالح لكل زمان ومكان، صالح لانتفاضة 87م ولانتفاضة 2000 وحتى في السنوات المقبلة، فتأثيره على النفوس معنوياً ونفسياً أكثر منه مادياً، فقد لا يتحول فعلاً الحجر إلى سلاح " الكلاشنكوف "ولكنه بقوته وتأثيره على العدو يكون فعلاً صار " كلاشنكوف ".

وفي قولهم:

في غزتنا الأم الحُرّة قالت: يا مستعمر بَرَّه
لو تقتلْ إبني كذا مرّه إيدي مُش راح تُلطم خَدْي

ففي قولهم: "إيدي مش راح تلطم خدي"، مثل شعبي فيه تأكيد على الاستمرارية مهما طال الزمان ومهما كانت صعوبة الحياة ومشقاتها. وتصميم الشعب الفلسطيني بكل فصائله

وشرائحه، الطفل والشاب والأم والأب على مواصلة الطريق وحتى لو قتل اليهود جميع أبناء الأم الفلسطينية، فلن تركع ولن تذل أمامه. ولن تقرأ في عيونهم نظرة الشماتة.

ومن المعاني التي حملتها تلك الأمثال التأكيد على أن النصر قادم لا محالة، ففيها الأمل والتفاؤل بالنصر، وأنّ الدنيا مهما ضاقت وأن المصيبة مهما تأزمت ستنفرج. فكانوا يقولون وما يزالون ليومنا هذا: **اشتدي أزمتي تنفرجي**

وقالوا أيضاً:

ظلّي يا دنيا تفرّجي ع نسورنا ما شعب ثار بيوم إلا وانتصر

هاهم هنا يؤكدون على ضرورة الانتفاضة وأنها السبيل الوحيد للنصر.

وتغنت الأمثال ببطولات الشهيد وضربت أروع الأمثال على بطولاتهم وتضحياتهم، فدفعت شبان الشعب الفلسطيني إلى السير على طريقتهم في النضال والتضحية من أجل فلسطين، فنعتوهم بالأسود في ساحة المعركة، وأنّ الأعداء هم خراف يفرون من الغابة، تاركين وراءهم الغنائم جارين أذيال الهزيمة. فقالوا:

أَطْفَال ما بِهَابُوا وكل ما رمُو صَابُو
أَسَد كَشَّر عن نَابَو شَو بيعمل الخروف

أمّا في قولهم:

لو بسقط منّا مليون بعد اللّيل بيجي نهار

فهو تأكيد على قول الشعراء بأن الليل سوف ينجلي مهما طال، فالظلم سيزول ويحل محله العدل، فالظالم له نهاية والأعداء مصيرهم الموت والطرد من البلاد وحتى لو قدمت فلسطين ملايين الشهداء والسجناء والجرحى. ففلسطين ستعود وإن طال الزمن وطال الليل، فلا بد من بزوغ الفجر.

فنرى في الأمثال دفعه للمستقبل، ودعوة للنضال، فقد يأتي النصر من شبلٍ من أشـــبال الأقصى، يقف على أبوابه رافعاً علم فلسطين مرفرفاً على أسواره.

هذه الأمثال وغيرها قيلت في انتفاضة 87م، ولأن الأمثال في الانتفاضة الحالية ما زالت في فترة المخاض والمثل بحاجة إلى وقت ليقال وينقح ليصدر، فقد لجأ الشعب الفلســطيني إلـــى الأمثال السابقة وغيرها، والتي تنطبق وتناسب أحداث الانتفاضة الحالية.

إلاّ أنّ هناك أمثالاً قد قيلت في مناسبات مختلفة، قد استخدمت في هذه الانتفاضة ومنهـــا أمثال عامة:

"**الباب أو "الشباك" اللّي بيجيك منه الريح سده واستريح**"

فهو يضرب للإنسان السلبي، الذي يرضى بكل شيء مهما كان أثره الســـلبي والســـيء عليه وعلى وطنه. فهو مسلوب الإرادة، ومهما كان تأثيره علـــى مســـامع النـــاس مـــن ســـلبية وانهزامية إلاّ أنهم استخدموه ولكنْ ذلك عند شعورهم باليأس والتشاؤم وفقدان الأمل بالحرية.

وفي قولهم:

"**الدار دار أبونا وأجو الغرب يطحونا**"

يوضح هذا المثل، أن أرض فلسطين للفلسطينيين وحدهم ليس هناك من يشاركهم فيهـــا، إلاّ إنَّ مجيء اليهود قد حول أرض فلسطين إلى أرضهم وأقاموا عليها دولتهم، وقـــاموا بطـــرد الشعب الفلسطيني من أرضه و هجروه إلى خارجها وأصبح لاجئاً ينتظر قرار العـــودة، وكثـــر استخدام هذا المثل في الانتفاضتين بشكل واضح.

وها هي المرأة الفلسطينية التي شهدت استشهاد أبنائها أمام عينيها، تصرخ وتقول:

"**إن كنت كبير فالله أكبر**".

والشيخ العجوز الذي حجز على الحاجز العسكري حاملاً مشاق الطريق وحر الصيف وبرد الشتاء، مثقلاً بالأمراض، يصرخ ويقول أيضاً:"إن كنت كبير فالله أكبر" مهدداً بأن لهم نهاية وأنهم سينقلبون إلى قردة وخنازير بإذن الله. فقالوا:

كل شجرة بتشب لربها بتيجي الرياح وتهبها.

وقالوا:

مَهْمه هَالغاصِبْ لَلْحقِّ اتْنَكَّرْ إِلْحَقِّ بِيظْهِرْ لَوْ طالِ الْيُومَا

فسيظهر الحق مهما طال الزمن ويسود على الظلم وينشر العدل.

وهكذا نرى أن الانتفاضة أثرت في الأمثال الشعبية، فدفعت الشعب الفلسطيني إلى التعبير عن مأساته وآلامه بقول أمثال شعبية جديدة، أو تحويل الأمثال المعروفة إلى أمثال تناسب الحدث الفلسطيني.

المبحث السادس:

أ- نداءات الباعة والانتفاضة:

يتواجد الباعة في الأغلب الأعم في مناطق التجمعات العامة في المدن مثل محطات الباصات المركزية، وأسواق الخضار، وبعض الأحيان يشكلون أسواقاً خاصة يطلق عليها "بسطات"، وتكثر في مناطق تجمعات الناس في المناسبات كالاحتفالات والمهرجانات.

إن نداءات الباعة المتجولين خاصة، ذات مضمون واحد تبين فوائد ومنافع وجودة بضائعهم، ويبيع هؤلاء في عربات خشبية تسير بالعجلات يدفعها البائع أمامه أو تكون بصناديق من الخشب للأطفال الذين يبيعون "العلكة" والسجائر والأشياء خفيفة الحمل. وفي القرى يتجول الباعة على حيواناتهم يحملون عليها بضائعهم وأحياناً على ظهورهم بشنط خاصة، حتى إنَّ الأهالي أخذوا يكنونهم ب "أبو الشنطة"، ونتيجة تطور وسائل المواصلات أصبحت السيارات اليوم تقوم مقام الحيوانات، كما شرعوا يستخدمون مكبرات الصوت في سياراتهم.

لقد أثرت الانتفاضة في نداءات هؤلاء الباعة، فأخذوا يستخدمون مصطلحات سمعوها من الإذاعة أو شاشات التلفاز، التفتت حولها فئات المجتمع، فها نحن نسمع أصوات الباعة ينادون، خبر عاجل، "صارت البضائع بسعر التراب، فها هو بائع التفاح يقول: خبر عاجل خبر عاجل " يا بلاش كيلو التفاح بشيكلين بدل من خمسة، ويرد عليه بائع الموز، خبر عاجل يا ناس صار كيلو الموز بشيكل بدل من ثلاثة، وهكذا، ويبدأ الناس بالشراء، ولم يقتصر هذا المصطلح على بائعي الخضار فقط، بل ما زلنا نسمع بائعي الملابس الذين ضاقت عليهم الدنيا وخاصة بعد الحصار، وأخذوا أماكن خاصة في المدينة يجلسون حولها يبيعون وينادون خبر عاجل خبر عاجل. "البيجاما الستاتي بعشرة شواقل" "تعال وشوف واتفرج"...

وحتى أصحاب المحلات التجارية، يأتون في نهاية الموسم ويعلقون لافتة مكتوب عليها- خبر عاجل- تنزيلات اليوم، ومن المصطلحات التي استخدمها الباعة عندما ينادون على بضائعهم. "الحصار ومشتقاته"، فها هم ينادون "اتحدى الحصار" يا عالم وتعالوا شوفوا البضايع

بسعر التراب" فيهب الناس من كل جانب ليروا البضائع "رخيصة الثمن. وينادون على المارة في الطريق ويقولون "أتحدى شارون يا ناس وتعالوا شوفوا البضايع المستوردة" وهكذا.

وعندما يأتي الخبر باجتياح قادم، يبدأ الباعة بالنداء " غيمت " "اشتري قبل الاجتياح" "الطحين ببلاش" "والتفاح ببلاش" ويقولون:"الله يزلك[1] يا شارون البضاعة صارت بشيقل".

ب- الطرفة الشعبية والانتفاضة:

الطرفة: هي "نتاج أدبي ينبع من دافع نفسي جمعي، شأنها شأن الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية والأسطورة واللغز إلى غير ذلك، ولكنها تتميز عن هذه الأشكال بأنها قد تعين في تحديد الزمان والمكان اللذين نشأت فيهما"[2].

"فالنكتة" خبر قصير في شكل حكاية تثير الضحك، وهي تلاعب بالألفاظ من شأنه أن يصنع معنى مزدوجاً، فهناك المعنى الظاهري الذي يثير الضحك إذا استعمل استعمالاً مألوفاً والمعنى الخفي الذي لا يثير الضحك إلاّ لكونه مرتبطاً بالمعنى الأول"[3].

ومع أنه ليس هناك زمن من الأزمنة أو مكان من الأمكنة لم تعش فيه النكتة، سواء في الحياة أم في الأدب، إلاّ أنَّ الشعب الفلسطيني بما فيه من هموم وآلام من ناحية وآمال وتطلعات من ناحية أخرى، لم يجد المجال والوقت المناسبين لقول الطرفة أو إنتاج طرائف جديدة تناسب الحدث.

فالمجتمع بما فيه من دموع وأحزان لا يستطيع أن يضحك ويفرح، ففي كل يوم نودع شهيداً ونواسي جريحاً ونشد من عضد أسير وأهله، فكيف يعقل أن نجلس ونتسامر ونقول الطرفة ومن ثم نضحك.

---

(1) يزلك: بمعنى الله يميتك.

(2) إبراهيم، نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي. ط3، دار المعارف، 1981، ص 245.

(3) إبراهيم، نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي. ط3، دار المعارف، ص 245.

ولكن لا يعقل أن يكون كل الوقت بكاء ودموعاً فلا بد للشعب أن يضحك. فسمعنا حكايات كثيرة تثير الضحك وفي الوقت نفسه تشعرنا بالحزن لما فيها من أحداث محزنة ولعل المثل "شر البلية ما يضحك" ينطبق على الشعب الفلسطيني.

فهناك حكايات حدثت بين الأطفال والجيش العسكري. أثارت الضحك فمنها:

"كان هناك طفل لم يتجاوز الثانية عشرة، كان يعاني من مشاكل في عينيه وكلما أراد الذهاب إلى المدينة عبر الحاجز الإسرائيلي، اختلق حجة مرضية تتعلق بعينيه، فتارة يغمض إحدى عينيه ويفتح الأخرى، وتارة يتظاهر بالمرض، وكانت تنطلي هذه الحيل على الجنود الإسرائيليين وفي أحدى الأيام كان الحصار مشدداً فقام الطفل بالتظاهر بالعمى النهائي. فأمسك بأحد أقاربه وسارا معاً نحو الجنود الذين كانوا قد سئموا من ألاعيبه، وعندما وصلا إلى الحاجز قال القريب للجندي الإسرائيلي "إن هذا الطفل ضرير وبحاجة ماسة لمن يمسك بيده ويقوده إلى المدينة "فضحك الجندي ساخراً وقام بحركة بيديه سريعة أمام وجه الطفل فارتعد وخاف، وأخفى وجهه بيديه، فقال الجندي: كيف خفت وأنت ضرير؟ فاكتشف خدعته ووضعه في مكان الحجز الذي يطلق عليه " الجورة "[1].

وفي حكاية أخرى علىٍ إحدى الحواجز الإسرائيلية المنتشرة على مداخل المدن الفلسطينية، كان يقبع جندي أحمق وكان لا يقول إلا كلمتين وهما ممنوع وعد إلى حيث كنت، وفيما كان أحد الأطفال ينوي التوجه إلى المدينة برفقة والدته، شاهد ذلك الجندي واستحضر حلية فاقترب من الحاجز وقال للجندي أريد أن أعود إلى القرية وصرخ به الجندي قائلاً ممنوع عد إلى المدينة. وهذا ما كان يريده فمشت عليه الحيلة.

وفي حكاية أخرى حدثت مع امرأة فلسطينية كانت ذاهبة للمستشفى لتضع مولودها، ولكن الجنود منعوها من التوجه ومع إصرارهما على ذلك وضعت المرأة الفلسطينية مولودها فأسمته "معبر".

وهناك حكايات حدثت مع الحيوانات والجنود الإسرائيلية كانت تبعث في النفوس الضحك والاستهزاء بهم فمنها:

---

(1) الجورة: مكان لاحتجاز أبناء الشعب عند الحواجز الاسرائيلية.

"أراد رجل عجوز الذهاب لبيع اللبن والتين في المدينة وكان يمتطي حماراً، وعند وصوله الحاجز طلب منه الجنود أن يظهر الهوية فعندما تأكدوا أنه رجل عجوز لا حول له ولا قوة. سألوه باستهزاء لا تمر عن الحاجز إلاّ إذا رأينا هوية الحمار فأرنا هويته.

ولقد اعتاد الفلاحون وفي مواسم قطف الزيتون أن يأخذوا معهم الدواب لحمل الأثقال على ظهورها، وفي يوم من أيام الاجتياح جاءت عجوز إلى أرضها وأرادت أن تساعد أبناءها وأحفادها في قطف الزيتون، وفي أثناء وجودها في الطريق شاهدها مجموعة من اليهود. فسألوا عن مكان توجهها، فردت عليهم " إلى قطعة الأرض يا خواجا " فقالو لها:"معك ساعة واحدة تذهبي وتعودي وسوف نحتجز هذا الحمار هنا حتى تعودي بأبنائك وأحفادك بسرعة" فرفضت العجوز ذلك. فقام الجنود باحتجازها مع الحمار وأطلقوا سراحهما بعد خمس ساعات".

لقد أخذ بعض الصبيان يكتبون على لوحة كرتون شارون أو باراك، ويعلقونها على رقبة الحمار.

وهناك شعارات حملت في مضمونها الطرفة والضحك.

فعندما دخل المدرس غرفة الصف وكان موضوع الحصة قصيدة "فتح عمورية، وأثناء تجوال المدرس بين التلاميذ لاحظ أن أحدهم قد شطب كلمة (فتح) وكتب فوقها (ج د) بهذا الشكل (ج دعمورية).

كُتِبَت فتح في منطقة البيرة Fateh 4 Ever فتح إلى الأبد، حيث جاء رقم (4) بدل كلمة (For).

في إحدى مخيمات نابلس عوقب تاجر لمخالفته الإضراب، فأرسل يتوسط للمعنيين يرجوهم أن يكتبوا على الجدران شعارات توضح أنه عوقب لمخالفته الإضراب وليس لأنه عميل.

وهناك شعارات اتخذت مكاناً واحداً للكتابة عليها وهي "حاويات النفايات" فمما كتب عليها:"هنا بيت شارون" و "اجتماع شارون والكنيست هنا ".

الفصل الثالث

الانتفاضة وشكل الأدب الشعبي

المبحث الأول : اللغة و الانتفاضة

المبحث الثاني: الصورة في الأدب الشعبي في ظل الانتفاضة

أولاً: الحركة

ثانياً: اللون

ثالثاً: الصوت

المبحث الثالث: الموسيقى

الفصل الثالث

الانتفاضة وشكل الأدب الشعبي

المبحث الأول: اللغة والانتفاضة:

" يرى الدكتور "نبيل أبو حلتم" أن لغة الشاعر تخضع في كل زمان ومكان لذوقه وتكوينه الثقافي وتأثير العصر فيه، كما تخضع أيضاً لعبقريته وتجربته الشعرية، فاللغة التي نعنيها ليست مجرد ألفاظ تقال، ولكنها بناء حي وتعبير كامل عن المضمون"[1]

واللغة هي المادة الأساسية في الإبداع الفني، يشكلها الأديب بالطريقة التي يتوقع تأثيرها في المستمع، معتمداً في ذلك على ما يمتلك من محصلة لغوية خاصة تمكنه من استعمال الألفاظ في مواضعها ومناسباتها تبعاً لنوعية المتلقى، فالأديب يصب أفكاره في قوالب لغوية تعتمد اعتماداً كلياً على قريحته المتفتحة.

وحيث إن الفنان والأديب الفلسطيني، ابن البيئة الفلسطينية التي يعيش فيها، وينهل من معينها، ويستمد أفكاره وألفاظه من عناصر تلك البيئة، وما يحيط بها من ظواهر مادية ومعنوية، فلا عجب أنَّ نرى لغة ذاك الفنان مفعمة بالبساطة و الحيوية التي نجدها في روابي فلسطين وسهولها وهضابها وأنهارها، وفي الوقت نفسه نجدها قوية ملؤها العنفوان والتحدي المرسوم على جباه الثوار والمقاومين المنتفضين، إنها اللغة الثورية التي ارتوت بدماء الشهداء فملأت الكون عزة وكرامة وشموخاً.

وعندما نتأمل الأدب الشعبي بفنونه المختلفة، نجد أنَّ الانتفاضة أثرت في هذه اللهجة، فأكسبتها قوة وجزالة بسبب الحدث المراد وصفه، والعواطف الجياشة التي دفعت المواطن الفلسطيني أنَّ يعبر عن ذاك الحدث، إمّا بالغناء أو بالهتاف أو بالخروج في مسيرات رافضة للواقع، فكانت العواطف ملؤها الفخر والإعجاب بالبطولات التي يقوم بها أبطال فلسطين في كل

(1) أبو حلتم، نبيل، اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، د. ط، دار الثقافة، قطر 1985، ص358.

لحظة من لحظات الزمن العابر، عواطف دينية ملأت النفوس الفلسطينية فأثرت تلك العواطف في صياغة اللغة.

جاءت اللغة عامية، وهي اللهجة المتعارف عليها في الأدب الشعبي، فهي لغة الكلام والتخاطب والتعامل والتعبير عن الحياة، مع أنَّها ما زالت وثيقة الصلة باللغة العربية الفصحى، فاللهجات الدراجة بين أبناء فلسطين هي في الواقع قريبة إلى حد كبير من اللغة العربية الفصحى، مع حدوث بعض التغيرات تكفي لتسهيلها وتطويعها إلى درجة تجعلها خفيفة على الألسن الشعبية.

لجأ الشعب الفلسطيني في حالات كثيرة إلى التسكين على مبدأ "سكِّن تَسْلَمْ"، حيث أصبح الميل إلى التسكين ظاهراً في ألوان الأدب الشعبي وبخاصة الأغنية والحكاية، في حين نرى أنَّ لغة الشعارات والهتافات هي في الأغلب لغة فصيحة، فها نحن نجد التسكين ماثلاً في مفردات الأغنية الشعبية الوطنية، فكأنهم أرادوا اللجوء إلى التسهيل في النطق ليفهمها القارئ والمتلقي.

الأمـــلْ المعقـــوْد عزمـــو بالقضـــيِّهْ مـــا رَدِّ الْحـــقّ غيـــر الْبندقيّـــهْ
بغيـــر العنـــفْ مـــا نحقـــقْ نتيجـــةْ وبغيـــر ســـلاحْ مـــا ننـــزعْ قضـــيِّهْ

قد غلبت الكلمات المسكنة على الكلمات المتحركة،وذلك ليفهمها أبناء الشعب الفلسطيني فتكون سهلة على مسامعهم. وسهلة في تناولها والتغني بها. فقالوا[1]:

يـــا شَـــبابْ يـــا بَنـــاتْ عِنـــد الحـــارَهْ والرَّوحـــاتْ
بـــالتعميمْ والارداةْ بتخلـــقْ عنـــدي الشَّـــهادةْ
إِتبعْنـــا هَالْقِيـــادِة وْصَـــفينا كُـــلِ النّيّـــاتْ

واللهجة العامية الفلسطينية شأنها شأن بقية اللهجات العربية الدراجة هي لغة الكلام والمشافهة والتعامل بين أهلها أينما وجدوا، و هي غير مكتوبة هي وليدة اللحظة والحدث فهي حية تستقي معظم مفرداتها من اللغة العربية الفصيحة فهي ابنة هذه اللغة، في جوهرها و في

(1) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الإنتفاضة الشعبية، ط1. ص99.

مفرداتها وطرق اشتقاقها و صيغها وتراكيبها وأساليبها في التعبير والبلاغة، ولعل الفرق الواضح بينها وبين اللغة الفصيحة هو ظاهرة الإعراب والاهتمام بالقضايا النحوية، فلم تلتفت الى القضايا النحوية وما يتعلق بها من تقديم وتأخير أو رفع ونصب وغيرها من الأساليب النحوية، هذا ماثل وواضح في الأغنية الشعبية في ظل الانتفاضتين. قال الشاعر الشعبي:

يَـــا طيـــرِ يللّـــهَ وَدِي سَـــلامي لاَمَّـــي وَلابُـــويي وأَهْلِـــي وأَعمـــامي
خَبِّـــرهمُ إِنْـــي بخِطِّـــي الأَمـــاني جُنـــدي مِتْطَّـــوع لِفْلَسْـــطينا

ففي كلمة طير خطأ نحوي، حيث جاءت كلمة طير منادى مبني على الضم وذلك لأنَّه نكرة مقصودة، إلا أنها حُركت بالكسر وهذا لا يجوز في اللغة العربية الفصيحة أنْ يأتي المنادى مجروراً بالكسر. أما الأساليب النحوية التي أخطأوا فيها، فهي كثيرة ومنها أساليب الشرط الجازم وغير الجازم. ففي قولهم:-

لَـوْ تُقِتـلْ مِـنهم عُمَـركْ مـا تِنـدَم وبـدَمٍّ شـارون يـا زيـنِ تحمَّـم
علـى الفِـردان هَالنَّـذِل تقـدَّمْ خـلاَّ موطَّنـا ببكـي بنونـا

لو: من حروف الشرط غير الجازمة أي أن الفعل الذي يليه يأتي مرفوعاً وليس مجزوماً وأمَّا في قولهم:

إِسْـأَلُو عنّـا بِـأَرظ بيـروتُ شَـباب الثَّـورهْ مـا ظنِّـي يمُـوتْ
وإِحنْـا مـا بْنرظـا هـذا السُّـكوتُ ومـا نْبنـي أرظـك يـا فلسـطينا

ونلاحظ أن الفعل المضارع السابق "نرضى" سبقه حرف الجر الباء وهذا لا يجوز في اللغة العربية، أن يدخل حرف الجر على الأفعال. فلغة الأغنية الشعبية لا تراعي حركات الإعراب على نحو ما تفعل الفصحى بل تميل إلى تسكين أواخر الكلمات ما أمكنها، ولا تظهر على أواخر الكلمات إلاّ في حالات محدودة تقتضيها ضرورة تسهيل اللفظ، حتى إذا ظهرت فتكون ضمن مواقع خاطئة.

لقد خالفت الأغنية الشعبية الوطنية اللغة العربية الفصيحة، حيث لا يجوز في اللغة العربية الفصيحة البدء بساكن، لأنَّ السكون تعتبر حركة ضعيفة حتى بعض العلماء يعدونها حركة ميته، تضعف الصوت المرسوم، لذلك حاولوا الابتعاد عن البدء بالسكون لأنهم لا يستطيعون ولذا كانوا يسبقون الكلام بهمزة، سميت همزة " مجتلبة" وهي المتعارف عليها بهمزة الوصل. والأبيات التالية توضح ذلك:

إنْ غبتْ عنّكْ بتْسيلِ دْموعي والنّارِ بْتشعِل جوّاه ظلوعي
فْلسطين تْهنّي بْسَاعةِ رجوعي أمّا عَ غيابي ظلْكْ محزونا

فجاءت كلمة فلسطين مبدوءة بساكن وهذا لا يجوز، وكذلك في كلمة تشعل.

كما أنهم حولوا الهمزة في أل التعريف في بداية الأغنية إلى همزة قطع مكسورة فكانوا يقولون[1]:

إلإسِمْ ثوره والعمرْ صِبَاها يا بِنْت هالسطَّعْشْ ما أحلاها
اتْضمِّدْ جَريحُو وعَالوَطَن عَيناها واللِّي يْصيْحْ مِنِ الْجيشِ تْكيْدو

ففي كلمة الاسم قد تحولت الهمزة في أل التعريف الى همزة قطع مكسورة مع أنهما مختلفتان وكذلك في كلمة القدس في البيت التالي:

إلقُدْس بتبكّي صَارِ لْهَا سْنِّين والصَّخْرَةْ مِنْ جَنْبَ الأقصى الحزين

كذلك تحولت الهمزة في أل التعريف إلى همزة قطع مكسورة في وسط الكلام كما في قولهم:

إهتِفْ الله أكبَرْ إلشّعب لازم يتحَرّرْ
إهتِفْ الله أكبَرْ لن يْموت شَعْب فْلسطينْ

****

طوّقوا علينا الدّارْ وانا وإخْواني نايمينْ

(1) البرغوثي، عبد اللطيف، ديون الأغنيةالشعبية، ط1، ص141.

فتّشـــــوا لـــــي كُـــــلِّ ألبيـــــت بِـــــدْهم، قـــــال، كُتْـــــب الـــــدّينْ

لقد أخطأت الأغنية في ظل الانتفاضة في بعض القضايا الصوتية، حيث قلبـت بعـض الأصوات، فمثلاً تقول أرظ بدلاً من أرض، ويقولون "تشنك" بدلاً " من " كِنّك " وهـذه اللهجـة تسمى " الكشكشة "، هي لهجة قديمة و صعبة النطق إلا أنها قد تكون تعبيراً عن الحالة النفسـية الصعبة التي يمر بها الشعب الفلسطيني فهو بحاجة إلى القوة والصلابة والابتعاد عـن النعومـة واليسر والتنغيم في الكلام، وقد تكون تعبيراً عن البيئة التي يعيش فيها الفنان أو الزجـال فكـل قرية في فلسطين وحتى المدن، تتميز عن بعضها بعضاً في لهجتها العامية، فيعرف ابن مدينـة معينة عن غيره وابن القرية عن القرية الأخرى بلهجته. فبرز ذلك التغيـر و الاخـتلاف فـي اللهجات في الأغاني الوطنية، أكثر منه في الأغاني الشعبية الأخرى. وقد غنى الشـاعر أكـرم البوريني قائلاً:

مِـــــن بَعْـــــد محمّـــــد دُرَّة هبَّـــــــــــــــــــــــتْ آلافْ
تِعْلِنهـــــا كَـــــرَّه وْ كَـــــرَّه حـــــــــــرْب اسْـــــــــــتِنزافْ
والثَّـــــــورَة مســـــــــتمرَّه حتـــــــــــى اعتِـــــــــــرافْ
قَـــــامو لـــــلأرْظ يظُمّـــــوا بْســـــــــــواعِدِ الأبطـــــــــــالْ

هذه الأخطاء هي من سمات اللهجة العامية في كل الأوقات، وقد تكرسـت مـن خـلال تمسك الانسان الفلسطيني بلهجته العامية في ظل محاولات التهويد، وسلخنا عن محيطنا العربـي الفلسطيني.

أضافت الانتفاضة ومنذ بداياتها من عام 87م وحتى انتفاضتنا الحالية مفردات جديـدة، مما دفع بعض المهتمين باللغة إلى صنع معجم يحتوي الألفاظ التي دخلت على اللغـة العربيـة بغير ارادتنا والتي صارت تنافس مفردات اللغة العربية في كلامنا اليـومي، فاسـتعارت مـثلاً مفردات معظم اللغات الأجنبية وأضافتها إلى معجمها الواسع، فأصبحت كلمات معربة لا يلاحظ القارئ السريع أنها غير عربية، فاستعارت بعض كلمات اللغات الأجنبية كالفارسية والإنجليزيـة

والفرنسية والإيطالية والتركية وحتى العبرية. فكثر استخدام مصطلح الدوشكا والكلشنكوف وكلاشن مع أنها مصطلحات روسية. فقالوا:

بَطَلْنَا نغني ميجَنَا وأُوفِ بنغني على الدُوشْكا والكْلَشِنْكُوف
إحْنَا بالدِّما سطَرْنا حُروف فِداك فَلَسْطين إِلْغالي يهوَنا

وغنى الشعب الفلسطيني:

بَدْلِتي كَاكَي[1] من الْفوتيكي وسْلاحي كَلاشِن أُوتوماتيكي
واهْجم عَليهم يا دِيْالكِتيكي خَلِّي الصَّهيوني يرْحل من هونا

وهتف الشعب قائلاً:

اضْرُب ولا تْهَاب اضْرب ولا تهاب
يَلِّي عالبر نجن[2] اضرب ولا تهاب

وفي قول الشاعرة "ماريا أبو واصل" ذكر مصطلح التلفون الذي كثر استخدامه بين عامة الشعب:

الْخَاين في بَلادي رِيتُوا ما يسْلَم وتوصِلْني اخبارُو في التَلَفُونا

****

رِيتَك يا شَارُون تُوقَع تِتْكَسَّرْ وتيجينا أَخْبَارك في التَّلفونا

هناك مصطلحات جديدة دخلت على اللغة لم تكن موجودة فكثر استخدام مصطلح الطرق الالتفافية " وأطلقوا عليها مثلاً طريق " طوربورا"، وكثر استخدام مصطلح "الحواجز العسكرية" فأخذ الفلسطينيون يرددون: كلمة مخصوم أو محسوم....

(1) الكاكي: لون من الألوان يميل إلى البني.

(2) البرنجي: كلمة انجليزية تعني سلاح رشاش.

ارتفعت مكانة الشعر الشعبي في ظل الانتفاضتين، حيث وجدوا فيه أقرب إلى التعبير عن الحدث ومسايرته ومواكبته عن غيره من الفنون الأدبية الفصيحة، لانخراط أفراد الشعب في مقاومة المحتل فلا عجب أن نجد من القويلة" مثلاً معلماً أو طبيباً أو مديراً لجمعية أو مركز وغيرهم كثيرون، فأدى ذلك إلى كثرة استخدام بعض مفردات اللغة الفصيحة، وحتى موضوعاتها وأساليبها اللغوية لأنه أصبح الآن يخاطب عقول مستنيرة متفتحة، وقرائح ترنو إلى الخالق من أجل نيل النصر أو الشهادة.

لقد عرفت الأغنية الشعبية بأنها تتجاهل القضايا الصرفية خاصة الإعلال وأنواعه، وهذا ما نجده في الأغنية الوطنية الشعبية أيضاً التي نسجت في ظل الانتفاضتين، فهناك أمثلة كثيرة أبدلت فيها الهمزة في اسم الفاعل إلى ياء، فكانت تقول بايع بدلاً من بائع وقايل بدلاً من قائل وقالت غايب بدلاً من غائب كما في المثال الأتي[1]:

أشْبَالْ أطفال بْعمْر الودَاعَهْ لبُّوا لِلوَطن صُوتِ يْناديهُمْ
بَعْد الطيّار ما علّى بْشِراعُه وعِرفُوا خَيّهُمْ الغايبْ جاييهُمْ

والإعلال بالحذف يكون بحذف إحدى حروف العلة وهي الألف والواء واليـاء، وهذا متعارف عليه في اللغة العربية الفصيحة لكننا نجد حالات في الأغنية الشعبية قد حذف منها صوت الهمزة وهذا ماثل وواضح في الأغنية الشعبية في ظل الانتفاضتين، ولعل السبب في ذلك أنَّ الشعب الفلسطيني قد عبر من خلال الأغنية الشعبية – المتمثلة بكلماتها وما طرأ عليها من حذف أو إضافة – عن النفَّسية المتذبذبة بين الطمأنينة والخوف فلجأ إلى حذف بعض الأصوات وخاصة صوت الهمزة الذي يحتاج المتكلم عند النطق به إلى جهد عضلي ووقت من الزمن أكثر من غيره من الأصوات، ومن أمثلة ذلك[2]:

إحْنا مَعْ بَعْض ارْبينَا عَلَى حُبٍّ فِلْسْطِينَا
واللِّي بِدُّو يْعادينا يجْرَعْ كاسِ الْمَرَارَه

(1) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الأغنيةالشعبية، ط1، ص255.
(2) المرجع السابق، ص 113.

فقد خففت الهمزة في كاس إلى ألف.

وقالوا في حذف الهمزة في أواخر الكلمات[1]:

الْهَوِيَّـــــه الْخَضْـــــرا شِـــــعارْ لَلْمُناضِـــــــــــلْ لَلْثُّـــــــــــوَّارْ
إِبْهـــــا مـــــا يتْغَيَّـــــرْ حـــــالْ ومَـــــــــــا تِهْـــــــــــدا إِرَادي

وهناك مفردات استخدمتها الأغنية الشعبية الوطنية في ظل الانتفاضتين كانت ذات معانٍ دينية أكثر من غيرها، وهي مفردات فصيحة استعارتها من اللغة العربية الفصيحة ولأنها كانت تقال في حدث وطني فلا بد أن تكون الكلمات جزلة وقوية فكانت الألفاظ تحاكي بعضها بعضاً، وتشد بعضها بعضاً لتنصهر في بوتقة توحد لغوي فتعكس التناغم الموسيقي للكلمات والأبيات من خلال المضمون الحماسي الذي يلقي بظلاله على الجو العام للألفاظ فيغدو جواً مفعماً بالقوة المستمدة من تلك الألفاظ والتي تكون في مقاومة المحتمل و الثبات المستمد من الحفاظ على الأرض والوطن، فلا بد إذن أن تأتي الألفاظ لتناسب ذاك الموقف المليء بالثبات والقوة، ألفاظ قوية جزلة وليست ألفاظاً ركيكة ضعيفة البنية، فأخذت من لغتنا الأم ألفاظاً لتناسب الموقف وتصور الحدث أجمل تصوير، فلم تبحث عنها في بطون الكتب ولا حتى في معاجم اللغة بل وجدوها على ألسنة الشعب وأخذت من القرآن الكريم. فمثلاً قال الشاعر محارب ذيب:

حَجَرْنـــا سَـــكَّت رْصَـــاصِ الْبَـــارودِه حَجَـــرْ سِّـــجيل " أَسْـــمُه فـــي الْكِتَّـــاب

من الواضح أن البكائيات في الشعر الشعبي في ظل الانتفاضتين اهتمت كثيراً باستخدام الألفاظ التي لها علاقة بالقيمتين الكبيرتين: الحياة والموت. فلذلك نجد الألفاظ التي تدل على الحزن والبكاء، فهي تتحدث عن الموت باعتباره أهم الأحداث الأساسية في الانتفاضة ومن خلال ذلك يظهر لنا الإنسان بمحاسنة وقيمه ومواقفه وأعماله. وقد ركزت بعض البكائيات على تصوير الفجيعة المترتبة على فقدان الإنسان وزواله عن الدنيا، وذلك من خلال رنّة حزينة باكية متفجعة متألمة.

(1) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الأغنيةالشعبية، ط1، ص114.

لقد تكررت لفظة الموت ومرادفاتها كثيراً في بكائيات الانتفاضة وهذا يدل على الواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، فمن السهل استنتاج ما يعانيه هذا الشعب من تكرار تلك العبارات.

وتحتل الألفاظ الخاصة بالسلاح جانباً ملحوظاً في البكائيات، وتتكرر بعض الألفاظ الخاصة بالسيف وأجزائه أو الحجر ومشتقاته، وقد يكون هذا الترداد لبعض الألفاظ أمراً طبيعياً لميراث يتحدث معظمه عن الصراع و القتال و الحرب.

رَبَّكْ في العالي بارَكْها صارت للناس عْبَادي
ما زَالْ في الأُرضِ حْجَارَه وْسَوَاعِدْ سَمْرا جَبَّارَهْ
إِلِنْتْفاضا دَوَّارَهْ بِالعَزِمْ وَ الْإِرَادي

فغنى الشعب الفلسطيني ممجداً السكين والحجر:

ما بِنْهاب اطْلاق النَّار معروفِه من ماضي سنين
بسكِّين وَحَجَرْ إحنَا بنحارِب حتّا نَحررَّك يا فَلَسْطين

والأغاني الشعبية التي نسجت في ظل الانتفاضتين شأنها شأن الأغاني الشعبية التي قيلت قبل الانتفاضتين والتي اشتهرت بالعديد من الأساليب اللغوية ومن الأمثلة عليها:

1- **العطف:** وهو أسلوب يتكون من حرف عطف والاسم المعطوف والمعطوف عليه. وحروف العطف كثيرة ويستخدم كل منها في موقعه المناسب لأن معناه يختلف عن غيره من حروف العطف نفسها، فمثلاً الواو تفيد معنى الاشتراك والترتيب، وأما ثم تأتي فتفيد الترتيب والتراخي، وهذا ما التفت إليه الزجَّال الشعبي، فاستطاع أن يوضح الحدث على الساحة الفلسطينية بدقة من خلال حروف العطف فقالوا[1]:

كِرْمال عْيُون الْوَطَن وأَرْضِ الْمِعْراَج نِفْدِّيها
شَبْ وشَايبِ والوَلَد على أكْفَافِ الْعِّز نَّعْلِيها

(1) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الأغنيةالشعبية، ط1، ص120.

فلا تتحرر فلسطين إلا إذا اتحد الشعب بأكمله بجميع فئاته وفصائله، فها هو الشب يقف بجانبه الشايب ويقف إلى جانبهما الولد، وعندما نتأمل معظم الأغاني الشعبية التي قيلت في الانتفاضتين نجد أن حرف العطف الواو قد غلب على حروف العطف الأخرى.

ومن الأساليب المستخدمة أيضاً بكثرة:

2- **النفي والنهي**. ولانتشار هذا الأسلوب في الانتفاضتين ما يبرره ذلك لأن هناك أموراً تتطلب الابتعاد عنها فيلجأون إلى النهي كنهيهم عن التعامل مع الأعداء أو شراء بضائعهم ونهيهم التفريط في فلسطين. كما في قولهم:

يا شَعْبي وَحِّد بالشِّدِة صْفُوفَك كرْبَاج الظُّلْمْ قَطِّعْ بِسْيوفِكْ
ولا تهادِنْ خَصْمَك، ما بِدِّي شُوفَك ترْكَع وتْبُوسْ أَعْتَابِ الظلمُونا

قد نهى الزجَّال الشعب الفلسطيني عن الإستجداء والركوع لغير الخالق وعدم التودد للأعداء، وطلب الرضا منهم وذلك باستعماله حرف النهي "لا ".

كما كثر استخدام النفي والنهي في الانتفاضة الحالية، في أقوال الشعب الفلسطيني وأشعارهم وهم يؤكدون على هدف واحد هو نفيهم التخلي عن فلسطين والأقصى الشريف.

يا أقصى لا تِحزَنْ رَاجْعِين والله راجعِين أَعْلَنْهَا الْأَخ الْقائِد رَمْزْ المَلايين
نَابْلِس جَبَلْ النَّارَ ومْخَيَّم الْعِين ما تِنْسوا بيت إيبا ما تِنْسوا رَاسِ الْعِين

ينهى الزجال في البيت الأول الأقصى عن الحزن وأن يثق بعودة أهله وأصحابه بعد طول الغياب. وفي البيت الثاني ينفي نسيان الشعب لمدينة نابلس وما حل بها من جرائم وخاصة في مخيماتها وقراها فيؤكد الشاعر على مواصلة الطريق لنيل النصر.

وكذلك قول الشاعر أكرم البوريني في الموال التالي:

يـــــا قُـــــدْس لا تحزنـــــي وأذِّنْ معـــــي يـــــا صُـــــوت
الله أكبـــــــــرْ علـــــــــى قسْـــــــــوةْ أعَادينـــــــــا
يـــــا قُـــــدْس كـــــافي دَمِـــــعْ نـــــادي علـــــى بَيـــــرُوت
نـــــــادي جْيـــــــوشِ العَـــــــرَبْ بْتُعْبُـــــــرْ بَوادينَـــــــا

3- النداء: ويأتي النداء في الأغنية الشعبية بالاسم مباشرة دون ذكر أداة النداء، وكثيراً ما يكرر الاسم في هذه الحال، لكنه ذكر في الأغنية الشعبية الوطنية فمنه القريب والبعيد، واستخدمت أداة النداء يا وهي لنداء البعيد ولكنه استخدم لنداء القريب أيضاً، فنوديت محافظات الوطن بما فيها قراها ومخيماتها ونودي على الأقصى ونادى الشعب الفلسطيني على صلاح الدين وعمر باستخدام أداة النداء "يا"، ولعل السبب في استخدامه هذه الأداة هو سبب معنوي، وهو قرب الأقصى من القلوب رغم بعده جغرافياً، وقرب صلاح الدين وعمر رغم موتهما من زمن بعيد. فنادى الشعب على الإله ورب السماء والأرض لينجيهم وينصرهم ولأنه قريب يجيب الداعي، وذلك لتعبر عن بعد المنزلة بين العبد وربه:

يـــــا ربِ السَّـــــما العَـــــالي يـــــا موَحـــــد الأيـــــادِي
اخْـــــذِلي جِـــــيشِ الْأعـــــادِي بْجَـــــاه رَبِ الْعَـــــالَمين

يناجي الشاعر هنا " الذات الإلهية فيطلب من الله عز وجل القضاء على جيوش الأعداء، فلجأ إلى الاستغاثة في ندائه، فها هو يستغيث بصلاح الدين وعمر.

ناديـــــتْ بِـــــأَعْلَى الصُـــــوت ويـــــن عَـــــدْلَك يـــــا عُمَـــــرْ
ناديـــــت بِـــــأَعْلَى الصُـــــوت ويـــــن سِـــــيفَك يـــــا خَالِـــــد
ناديـــــت بِـــــأَعْلَى الصُـــــوت ويـــــن شَـــــجاعْتَكَ يـــــا صَـــــلاح الـــــدين
ناديـــــت بِـــــأَعْلَى الصُـــــوت فلـــــم يُجِـــــبْ بَشَـــــرْ

وكذلك لجأو في أقوالهم وأشعارهم إلى التوجع، وهو تعبير عن الشعور بالألم فمثلاً يقولون: يا عيني، يا راسي، يا دموع عيني...

فقالت الشاعرة ماريا:

كُـــــــلْ مـــــــين وْلادُوه بِحُضْـــــــنُه وَأَنـــــــا إِوْلادي رَاحُـــــــوا وِيـــــــن
فُـــــــرق الْحَبايِّـــــــب صَـــــــعْب يـــــــا نُـــــــور عينـــــــا

وقال شاعر شعبي آخر:

يـــــــا ويلِّـــــــي يـــــــا هالصَّـــــــبي مـــــــا أَرْخَصُـــــــوا دَمَّـــــــكْ[1]
لمّـــــــا صَـــــــوَتوا عَليـــــــكْ مـــــــا هِمْلُـــــــو هَمَّـــــــكْ
يـــــــا حَسْـــــــرة قَلْبُـــــــه بَيَّـــــــكْ لمّـــــــا بِحُضـــــــنُه ضـــــــمَّكْ

لقد كثر هذا الأسلوب من النداء، فالأم تصيح وتتوجع على فقدان مهجة قلبها، والأخت تنادي على ضياع توأم روحها، والأب يطيل الصمت ويفكر ويتذكر ويقول "إنا لله وإن إليه راجعون ".

ويغني الأب وينشد متوجعاً، محتبساً الآهات في صدره لعله يأتي يوم فتخرج لتملأ الكون غيوماً من الألم والحسرة على فقدان الغالي.

أُخْتَـــــــك تْقُـــــــول لَأُمْهَـــــــا يامَا صُورِة خَـــيِّ علـــى شَاشِـــة التلْفزْيُـــون
وحياتِـــــــــــك يُمَّـــــــــــا يـــا مُهْجِـــة قَلْبِـــي وجْروحُـــه مِدْمِيّـــة
عَلَـــــــى طَـــــــرَفْ عِينِـــــــكْ حَطُـــــــوا عَلاَّمِـــــــة
يـــــــا حَسْـــــــرِة أَهْلَـــــــكْ يُـــــــومِين شَـــــــافُوك

4- **التكرار**.ومثال ذلك:

قالوا أسْألوا القُدِس وأسْألوا أَسْوارها وأسْـــأَلُوا كُفُـــر قاســـم ثُـــمْ دِيـــر ياســـين

فقد كرر الشاعر الفعل " أسألوا " تأكيداً للمعنى في نفس المتلقي، وهذا الأسلوب موجود بكثرة في الأغاني الوطنية التي نسجت في ظل الانتفاضتين، فقد يقوم الفنان بتكرار الاسم أو الفعل أو الجملة نفسها، وكلها تفيد معنى التأكيد سواء أكان معنوياً أم لفظياً. وهذا ما يحدث عندما تتكرر " اللازمة " الشعرية.

ويـــــــن النَشَّـــــــامى ويـــــــن تِحمـــــــي أَقْصَـــــــانا ويـــــــن " اللازمـــــــة "

(1) إشارة إلى حادثة استشهاد محمد الدرة.

جِينـــــا يـــــا أَقصْـــــى جينـــــا رَغـــــمْ العَتْمـــــة والْمُـــــوت
يـــــا أَقْصَّـــــانا لاَقينـــــا شَّـــــدين الْخيـــــل وَيْـــــن
ويـــــن النشـــــامى ويـــــن تِحمـــــي اقصـــــانا ويـــــن
جِيْنَـــــا يـــــا أَقْصَـــــى جِيْنـــــا رَغْـــــم الْعَتمِـــــة والمُـــــوت.

5- **الترادف.** وهو كثير في الأغنية الوطنية التي حيكت في ظل الانتفاضتين، ففي قول الشاعر:

ولا نغفـــــل ولا نتـــــرك وطنـــــا ولا ننســـــى الـــــذي قـــــد حـــــل فينـــــا

فالترادف في المعنى واضح بين الفعلين "نغفل، وننسى" وهو تأكيد علـــى عـــدم نســـيان الفلسطيني وطنه وعدم تراجعه أو تخاذله عن السير في درب تحرير هذا الوطن.

إنَّ لغة الأغنية الشعبية التي نسجت في ظل الانتفاضتين لغة بســـيطة وســـهلة التنـــاول وأيضاً سهلة الفهم، فهي ليست مركبة أو معقدة، ويعود السبب في ذلك إلى أنَّ الأغنية يتم تأليفها في الأغلب الأعم ارتجالاً وبوحي من المناسبة، وهذه اللغة بأساليبها وأنواعها سنجدها أيضاً فـــي الهتافات والشعارات. فجاءت لغة الهتافات والشعارات لغة قوية، والسبب في ذلك لجوؤها إلـــى الفصحى واستخدام مفرداتها، فهي شعارات فصحية خالية من المفرادات العامية إلا أنه قد تقـــع فيها أخطاء نحوية وصرفية وصوتيه كذلك. وقد وجد في الشعارات محســـنات بديعيـــة وكـــذلك الأساليب اللغوية التي رأيناها في الأغنية الشعبية، فمن الأمثلة على ذلك النفي قولهم:

" **لا للمزايدات على قرارات المجلس الوطني** "
" **ولا لتزوير البيانات والحقائق لكسب الجماهير** "

وظهر النفي أيضاً في قولهم:

"**لا للوجود الأمريكي في أرض الرسول**"

فالشعب يرفض وجود أمريكا على الأرض العربية والمسلمة ويرفض رفضـــاً قاطعـــاً تدنيسها بوجود أمريكا فيها. وأمثلة النفي كثيرة في الشعارات.

وهو من الأساليب اللغوية أيضاً التكرار كما في قولهم:

"اسمع اسمع يا صدام جيل الثورة هب وقام "

ففي جملتي "اسمع اسمع" تكرار للفعل، وفيه تأكيد على وجود جيل الثــورة والانتفاضــة الذي سيعود لا محالة لتحرير الأقصى.

لمسنا في لغة الشعارات التحدي والتصميم على مواصلة الطريق، فهي لغة قويــة، مــع أنها سهلة وبسيطة، وهذا ما امتازت به لغة الشعارات في الانتفاضة، فجاءت واضحة بسيطة لا تحتمل معاني معقدة وصعبة يصعب على المواطن العادي فهمها أو تصورها، بل حملــت فــي طياتها مفردات يتناولها الجميع في حياتهم اليومية.

أما لغة الهتافات فيغلب على معظمها اللغة الشعرية، وقلَّت فيها الهتافات المصوغة بلغــة نثرية. وسواء أكانت لغة الهتافات شعرية أم نثرية فهي تزخر بل تفــيض بالأســاليب اللغويــة السابقة التي تتواجد في الأغنية الشعبية والشعارات. ولعل أكثرها ظهوراً هو أسلوب النفي.

لــــو كـــــل يـــــوم قتلـــــوا ميـــــه مـــــا بنكـــــل ومـــــا بنحيـــــد

ويبرز في لغة الهتافات والشعارات مصطلحات دينية عميقة، فيها دعوة إلــى التوحيــد وقول لا إله إلا الله. محمد رسول الله، فكثيراً ما نسمع في المسيرات والمظاهرات " لا إلــه إلا الله.. أو أنهم يستشهدون بآيات قرآنية من القرآن الكريم، فقرأنا الآية التالية

" و لا تحسين الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون " [1]علــى جدران المدارس أو البيوت أو على الأسوار العامة في الشوارع.

ويرى الأستاذ "عبد العزيز أبو هدبة " في لقاء شخصــي معــه[2]، أن لغــة الهتافــات والشعارات أصدق في التعبير عن الآلام والآمال، وأكثرها دقة من الأغنية الشعبية، وذلك يعــود إلى أن الأغنية الشعبية تقتصر كتابتها على أشخاص يتصفون بقدرة على الصياغة، وهــي قــد تكتب و تنقح مرات عديدة قبل أن تنشر أمام أعين الناس. أما الهتافات فهــي وليــدة اللحظــة،

(1) آل عمران، الجزء الرابع، آية 169.

(2) أجري هذا اللقاء يوم السبت 2005/6/11، في جمعية انعاش الأسرة، رام الله.

فموطنها القلب والإحساس، تخرج عند حدوث الحدث، فهي أكثر صدقاً وتعبيراً، وكذلك لغة الشعارات أصدق في التعبير من لغة الأغنية الشعبية لأن الشاعر يجلس فيفكر ومن ثم يكتب فيمسك عواطفه ويضبط اندفاعه.

إن لغة الشعارات والهتافات تعكس تحدياً وطنياً عنيداً لكل من لا يعترف بالحقوق الوطنية والمشروعة، وهي توضح مكنون النفوس ومخزون العقول، فها هي تظهر لنا عواطف الشعب الفلسطيني، المليئة بالعزة والكرامة والتضحية، تأبى الذل والخضوع في لغة وضحّت للعالم أجمع أنَّ الشعب الفلسطيني بلغته البسيطة والسهلة يستطيع أن يوحد الشعب بأكمله تحت شعار واحد وهدف واحد.

وتبين لغة الهتافات والشعارات التي ظهرت في ظل الانتفاضتين أن هاتين الانتفاضتين ما هما إلا عملية نضالية دينامية لحمتها قيادة وطنية موحدة، وأساسها جماهير شعبية ثائره هدفها الحرية والأمل بالعودة.

لقد جاءت لغة الهتافات والشعارات لتوضح أن الانتفاضة ليست عملاً عفوياً يخلو من الأفكار والأهداف المحددة والواضحة، وإنما هي فعل مبادر يرتبط بفكر الفلسطيني الذي يستطيع بلغته التعبير عن مظاهر الوحدة.

يرى بعض الفلكوريين الفلسطينيين أمثال "عبد العزيز أبوهدبا " أن تسمية الحكاية الشعبية في ظل الانتفاضتين بالقصة الشعبية، لأنها تختلف عن الحكاية الشعبية الفلسطينية في مضمونها وشكلها.

أثرت الانتفاضة في بناء الحكاية الشعبية، ففي حين تعتمد الحكاية الشعبية على المقدمة التقليدية حيث يبدأ الراوي بقوله (صلوا على النبي) أو (كان يا مكان في قديم الزمان إنخرف ولاّ نّام)، زالت هذه المقدمة في الحكاية الشعبية وذلك لأن الحديث ليس عن قديم الزمان وإنما عن الواقع المعاش، ثم إن هذه الحكايات لا تقولها الجدة بجانب الموقد، وإنما يتداولها الناس في كل أوقات اليوم.

وقد دخلت ألفاظ أعجمية في الحكاية العربية، فعندما يريدون وصف حادثه اغتيال فيقولون " هجموا عليه بال " إف 16 " وبالاباتشي أو قاموا باعتقال " فلان " على "مخصوم" معين أو "محسوم".

وامتاز شكل الحكاية الشعبية قبل الانتفاضة بالسجع الذي يعد من ميزات تلك الحكاية أما في القصص الشعبية الفلسطيني التي نسجت في ظل الانتفاضتين فلم يعد للسجع مكان، بل بالعكس تماماً جاءت لغة القصص لغة بسيطة وسهلة تناسب جميع المستويات. فقد يكون الراوي طفلاً وقد يكون شيخاً وقد تكون شابة وكلهم لم يتعلموا فنون الرواية وكيفية قص الحكاية على الجمهور. وهكذا جاءت اللغة في جميع ألوان الأدب الشعبي المنسوج في ظل الانتفاضة سهلة بسيطة ليست عميقة ولا مركبة ولا معقدة. وذلك لتناسب الموقف والحدث.

لقد امتازت لغة الأدب الشعبي المنسوج في ظل الانتفاضتين بالبساطة والعفوية، وذلك لأن الأدب الشعبي صادر في معظمه عن عفوية أصيلة نابعة من سليقة سليمة، وصادرة عن طبع سليم. ولما كان الأدب الشعبي بفنونه المختلفة حياً متطوراً بشكل مستمر، فإن طابع العفوية، والإرتجال والسرعة، يصبح سمة مميزة له، ويترتب على ذلك أن لغته، وتراكيبه، وأساليبه في التعبير، تأتي عفوية، بسيطة، خالية من التصنع والتكلف.

المبحث الثاني: الصورة في الأدب الشعبي في ظل الانتفاضة:

"تعد الصورة الفنية عنصراً أساسياً في الدراسات النقدية الحديثة وهي عبارة عن "تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها"[1].

والصورة في الأدب هي" الصوغ اللساني المخصوص، الذي بوساطتها يجري تمثيل المعاني تمثيلاً دقيقاً ومبتكراً بما يحيلها إلى مرئية معتبرة، أي تحويل غير المرئي من المعاني إلى المحسوس"[2].

والتعبير بالصورة هو لغة الشاعر التي لا تأتيه بالتعلم ولا بالتدريب ولكنها تأتيه بتلقائية، لأنها ناتجة عن شعور الشاعر وانفعالاته العاطفية، فهي جزء من الشاعر، مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً مذهلاً، يغذيها بتجاربه التي من خلالها تنعكس قدراته وإبداعاته. والشاعر المبدع هو الذي يبدع في رسم صوره لأنه "حين يربط بين الأشياء يثير العواطف الأخلاقية والمعاني الفكرية"[3].

ولقد اختلف مفهوم الصورة الفنية عند علماء العصر الحديث عنه عند القدماء، فالصورة في نظر القدماء "تستمد طبيعتها من النظرة الحقيقية فهي تبنى على أساس المشابهة الشكلية أو المقاربة بين طرفيها سواء أكان ذلك في التشبيه أم في الاستعارة أم في أي شكل آخر من أشكال الصورة"[4].

"ولقد أعطى النقد الحديث الصورة قيمة كبرى حين أبرز بشكل جلي قدرتها على كشف أو تجسيم العالم الإنساني المختزن في وجدان الشاعر وأفراحه ممزوجاً بعالم الحس في نظام فريد يعطي الشعر بعداً معنوياً أكمل وأشمل"[5].

---

(1) البطل، علي، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، ط3، دار الأندلس، بيروت، لبنان 1983، ص30.

(2) صالح، بشرى موسى، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت 1984، ص3.

(3) ناصف، مصطفى، الصورة الأدبية، ط ح، دار الأندلس، 1981، ص8.

(4) الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في النقد الشعري، ط1. دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1984، ص61-ص118.

(5) المصدر السابق نفسه، ص118.

لقد عُرِف الأدب الشعبي الفلسطيني أنه زاخرٌ بالصور الشعرية، ولأن الشعر الفصيح والأغنية الشعبية ينهلان من معين واحد، فما ينطبق على الصورة الفنية في الشعر الفصيح ينطبق على الزجل الشعبي خاصة والأدب الشعبي بفنونه الأخرى عامة وسنركز هنا على الصورة في الأغنية الشعبية لأن تواجدها في الأغنية أكثر منه في الفنون الشعبية الأخرى.

مع حدوث الانتفاضة منذ عام 1987م، وحتى أيامنا هذه وتوالي الثورات والهبات التي قام بها الشعب الفلسطيني، انبرى كل فلسطيني يعبر عن آرائه وآماله بالطريقة التي يراها مناسبة فالمعلم في كيفية شرحه للمادة يستطيع أن يعبر عن رأيه وتطلعاته إلى الحرية وإخراج جيل مثقف يعرف ما له وما عليه، والطبيب والمهندس وكل فرد في المجتمع كذلك يستطيع أن يعبر عن حبه لفلسطين من خلال مهنته. أمّا دور الفنان، فهو كبير، فالفنان يستطيع أن يرسم الحدث رسماً دقيقاً، ويرفع من هموم شعبه ويحثهم على القتال والتضحية.

لقد جاءت الأغاني الشعبية الوطنية زاخرة بالصور الشعرية، فقد صاغ الفنان أفكاره بطريقة معبرة نسجها من خياله، فأصبحت ذات تأثير وفاعلية، لأنها تعكس مشاعر المواطن الفلسطيني وانفعالاته. لقد تأثر الشاعر بالواقع الذي يعيش فيه، فجاءت صوره معبرة عن الدم الذي يسيل، أو عن الأم التي تصرخ، أو الطفلة التي تئن وتنادي باحثة عن والديها وأخوتها تحت أنقاض المنازل.

فالصورة في ظل الانتفاضة تمثل الحدث، فإمّا أن تكون وصفاً لحادثة اغتيال أو وصفاً لقصف بيت أو وصفاً لجنازة شهيد، فجاءت مسايرة للحدث ومواكبة له.

لقد أبدع الفنان في نسج الصورة الفنية بخياله الواسع من غير التقيد بالتشبيه أو الاستعارة، ولعل هذا هو المفهوم الجديد للصورة فهي "قد تخلو من المجاز أصلاً فتكون عبارات حقيقية الاستعمال، ومع ذلك فهي تشكل صورة دالة على خيال خصيب"[1].

(1) البطل، علي، الصور في الشعر العربي، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1983، ص25.

"فها هي الصورة عند محارب ذيب، جاءت موحية بالمعاني والـدلالات، مـن خـلال القرائن اللغوية الخارجة على المألوف، و ذلك في قوله:

ويـــن الطُيـــور والْبَلابِـــل ويـــن هالحَسُّـــون الَّتِـــي كَانـــت تُغَـــرِّد عَ دَوالِينـــا

فالصورة مفعمة بالحزن والأسى، حيث تبدل الحال وتغيرت المواقف وساءت أوضـاع الوطن، وقد صاغ الشاعر الصورة في جو نفسي حزين متلهف لمظاهر السعادة التي لـم تعـد موجودة في وطنه.

لقد اعتنى الفنان الشعبي في الأغنية الشعبية في ظل الانتفاضة بعناصر الصورة الحديثة وهي الحركة و اللون والصوت.

أولاً: الحركة:

جاءت الحركة في الأدب الشعبي ظاهرة واضحة في مواقف مفعمة بالحيويـة والنشـاط وفيها حث على الاستمرار والنضال، وجاءت الحركة كذلك واصفة للحدث منذ بدئـه، وكأنهـا صورة حية نابضة بالحياة.

فمثلاً عند حدوث عملية استشهادية، تقوم الأغنية بتتبع مجريات العمليـة منـذ انطـلاق الفدائي من بلدته أو قريته وحتى تخطيه الحاجز العسكري ومن ثم وصوله إلـى موقـع تنفيـذ العملية.فغنى الشعب الفلسطيني [1]:

لَمّـــا تسَّـــمى بِاسْـــمِ اللهْ رَدَّدْ "اللهُ أَكْبَـــرْ
غَيِّـــرْ بِيـــدُو لِسْـــتِيرنْجْ قَلَـــبِ الْبَـــاصْ وتْفَجَّـــرْ
انْقَتَـــلْ مِـــنْهُمْ خَمِسْـــطَعْشْ والسَّـــوَّاقْ لِسَّـــهْ بْخَطَـــرْ
اعْلَـــنْ عَنْهـــا إِلْجِهـــادْ وِصْـــلِ الْعَـــالَمْ واِسْـــتَنْكَرْ

وقالوا أيضاً:

(1) البرغوثي، عبد اللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبية، ط1، ص 208.

شُـــــهَدا الْقَسّـــــامْ أَقْسَـــــمْنا قَتْلَـــــــــكْ بَـــــــــارَاكْ صَـــــــــمَّمْنَا
بالْخمِسْـــــــمِيّهْ[1] اتْحزَّمْنـــــــا جِينـــــــــاكْ نِقْضـــــــــي لِحْســـــــــابَا

وقالوا في الانتفاضة الحالية:

علـــى الجهادِيْـــه علـــى الجهاديْـــه وحْـــزامِ النَّاسِـــفْ مَهـــرِ الْحُوريْـــه
يـــا قَسْـــام إشْـــتَدْ، عِـــدْ إرْجالـــكْ عَـــدْ علـــى الْيَهـــودي إرَّدْ، يـــا حَمْسَـــاويْهْ

فالحركة جاءت واضحة في الأبيات السابقة عند رسمها للحدث. وتتجلى في الأفعال التالية: غيّرَ، قلب وتفجر، وكلّها أفعال تبعث في النفوس حب الثورة والانتقام وهذه الأفعال وغيرها تجعل القارئ يتصور الحدث، فكأنه يجلس أمام شاشة تلفاز تبث الخبر بصور ملونة. حيث نجد تصويراً لكل حركة من حركات العملية أو لقطة من لقطات الصورة الكلية وهذا ما نجده أيضاً في المجموعة الثانية، فجيش القسام أقسم أولاً ومن ثم توعد على الانتقام وقتل الجيوش العسكرية وعلى رأسها القائد باراك، وبعد ذلك تحزموا بالحزام الناسف وهجموا على اليهود وقتلوا منهم أعداداً كبيرة.وهذا واضح أيضاً في قولهم:

رَجْـلِ الْكُومَانْـدو عِينَـهْ مـا اتْنـام يُـــومِ الْعَمَلِيَّـــةِ شَـــدِّ لِحْـــزام
عَبـــى السِّـــلاحُ، وَدّعْ أَحْبَابَـــهْ وبْدَمَّـــهْ صَـــنَعْ أكْبَـــرْ أُسْـــطُورا

******

رَجْـلِ الْكُومَانْـدو اخْتَـرَق الْجِـدارا جُنْـدي النَّازيَّـهْ ظَلَّـهْ مِحْتَـارا
نَجْحَـتِ الْخِطَّـهْ وبلَّـغِ اصْـحابَهْ نِـزل الْبَيَـانُ ومَعَـاهُ الصُّـورَا

تزخر الصورة في الأغنية الشعبية في ظل الانتفاضة بالحركة في تصويرها للحدث، وهي مليئة بالصور المتحركة التي تعمل على لم شتات الصورة ونقلها حية نابضة، فنحس كأننا نلمسها ونشاهدها، كما تتضح من خلال وصف الفنان لعملية تصفية العميل والخائن.

أُرْصُـــدْ راقِـــبْ إهْجـــمْ أُخْطُـــفْ حَقِّـــقْ إعْـــدِمْ
خَلِّـــي السُـــلْطَهْ تْعلِّـــمْ عـــاراسِ الْعَمِيـــلْ

(1) الخمسمية: نوع من الأسلحة الثقيلة.

جاءت "الحركة" واضحة في الأفعال السابقة، والتي جاءت على صيغة الأمر. ففيها دعوة إلى قتل العملاء وتصفيتهم، فعندما نسمع الأبيات السابقة، يرتسم في أذهاننا صورة كاملة من مراقبة للعملاء قبل الحكم عليهم بالموت ومن ثم الهجوم عليهم وخطفهم ومن ثم قتلهم. صور كثيرة تزيد من غضب الفلسطيني مما تدفعه إلى كره كل عميل وخائن قام بتدنيس تراب أرضه ووطنه بأعماله المشينة.

ولقد جاءت الحركة واضحة في الأغنية الشعبية وذلك عندما تقوم بوصف إحدى عمليات القصف والتدمير التي لجأ إليها الجيش الإسرائيلي. فقالوا:

حاصَرْنا الْجُنود وكبر الهمّ وصِرْنا أَكْبَر ... مِنْ عَصْفِ الْمُوت وكُل الْمَواقِف تِتْفَجَّرَ
ولما زرعنا العُبواتْ دمَّرنا كلِّ الباصاتْ ... والاغْتيالاتْ كان هوَّ الردْ
أو قَصْف الْبُيُوت ... كَتَائِب عَمَّالِيْ بْتِكْبَر

وغنى الشعب الفلسطيني في الانتفاضة الحالية:

رُماتَّه[1]ماتَّه ... عَلَى خَصْري كَلاشِنكوف
وْبيدي والدَّنيا شعلانهْ ... طَيَّارة تِرْمي مِنْ فُوق غَضْبانَه

ونرى الحركة واضحة وبارزة في كيفية صياغة الحدث وخاصة عند الغناء وتمجيد أبطال المدن المدمرة بما فيها قراها ومخيماتها.. فكأننا جالسون أمام شاشات التلفاز نرى ونسمع ونشعر بالحدث، وهذا ما حصل في مخيم جنين، مخيم الصمود والتضحية.

هذِه جنين مُطَوَّقة ومْحاصَرَة ... حِلْفَت وقالَت يا عَرْب مَهْمَّا جَرَى
نَادَتْ حَرَسْها كَبَّرَت، اتْوَزَعُوا ... صِيُحوا باسْم الله خَلْيكُم مَعِي
هذه جنين اتْزَلْزَلَتْ لَو تِسمَعُوا فيها ... انْتَفَضْ دِمِ الْغَضَبْ فُوق اِلثَّرى
لَمَّا أَجاهَا الْمَوت ... فَتْحَتْلُه الصَّدر
وتْحَصَّنَت بِرْجَال ... أَقْوى مِنِ الْصَّخِر

(1) رمانة: القنبلة اليدوية.

شُـــــو أَرْعَبَـــــت الْجُنُـــــود ومِنْهـــــــــا اتْحَيَّـــــــــرُ[1]
وْقِفُـــــوا صِـــــفْر الْوُجُـــــوه مـــــن خُـــــوف اتْحجَّـــــرْ

نسمع هذه الأغنية بما فيها من حركة واضحة فنرى أفعالها الزاخرة بالثورة والانتفاضة، ففي قولهم جنين "اتزلزلت" حركة مستمرة وعدم الثبات على الموقف وعدم القبول بالذل، فانتفضت وانتفض معها دم الغضب، دم الشباب الفلسطيني، صورة متكاملة بأفعالها، ووحدة متماسكة في أفكارها لا نستطيع فصل تلك الأفعال عن بعضها بعضاً ومحو هذه الأفكار والرؤى والتوجهات. فإن فعلنا خرجنا بصورة مهتكة ومفككة، وهذا لم يرده الفنان الشعبي قط.

لقد تفنن الجيش الإسرائيلي بأنواع الحصار، فهناك حصار للقمة العيش وحصار للعقول، إلاّ أن الشعب الفلسطيني بشرائحه وفئاته المختلفة تحدى هذا الحصار ونزل إلى الشوارع وهتف وهدد وكتب على الجدران لن نركع.

حاصَـــــــــرْنا الْحِصّـــــــــار وشَـــــــــبينا عـــــــــالطُّوق
وانْزِلْنّـــــــا عالشَّـــــــوارع والرَّايِّـــــــةَ لفُـــــــوقْ
شَـــــــبَاب مُلَّثَمـــــــين وَلَفَلَسْـــــــطين الشُّـــــــوق

وقالوا:

كَتَبْنـــــــا عَالْحِيطـــــــان يـــــا أَهْـــــلِ يـــــا جِيـــــرَانْ
بُكـــــرَا عِنْـــــدْنا إِضْـــــرَاب نِشْـــــعِل النِّيـــــرَانْ
حَضَـــــرْنا الْمُتَـــــارِيس والْعَجَـــــل شَـــــعْلَان

فالحركة واضحة في قولهم، حاصرنا وانزلنا، وكتبنا وحضرنا، فهي أفعال تدل على المقاومة التي لجأ إليها الشعب الفلسطيني الذي رأى أنها الحل الوحيد لنيل مبتغاه، أفعال ينبع من داخلها الشموخ وعدم الرضى بالمفروض، أفعال فيها حركة دائمة ومنظمة، فهم أولاً حاصروا الجنود في داخل حصارهم ولم يسمحوا لهم بالخروج ومن ثم نزلوا على الشوارع يهتفون وهم رافعو الرايات والأعلام يكتبون على الحيطان والجدران أنهم باقون رغم الحصار والجوع.

(1) اتحيروا: أصابهم الحيرة والخوف.

ونلاحظ في هذه الحركة وحدة الصف والجماعة وهذا ما نراه في ضمير للجماعة "نـــا" أي "نحن"؛ وهذا واضح في أغانيهم وأشعارهم التي تعكس وجهات نظر أصحابها فهم في صـــف واحد وعلى مبدأ واحد فكأنهم يد واحدة، وقد تعمق هذا الشعور والإحساس النابع من صدورهم، فهم لم يجدوا سبيلاً إلى النصر إلاّ بالوحدة والتفاف الصف.

إنَّ الشعب الفلسطيني لم يقف صامتاً بل واجه الأعداء وقاتلهم وقهرهم وحتى في مـــوت الشعب أو استشهادهم.فها هو الفدائي ينشد قائلاً:

فُـــــوق دَرْبَـــــك يـــــا مخـــــيَّم دَرَجُـــــــــــوا الْأَطْفَـــــــــــالْ
كبْـــــــرُوا واللّيـــــــل مْخَـــــــيِّمْ صَـــــــــــارُوا أُبْطَـــــــــــالْ
أحْمَـــــــد، محمـــــــود، ومـــــــريم وكُـــــــــــلِ الْأَشْـــــــــــبَالْ
هَتَفُـــــــوا بالصُـــــــوت الْمُلْهِـــــــم ويـــــــــــن الْأَحْـــــــــــرَارْ

تبرز الحركة من خلال الأفعال "درجوا، كبروا، صاروا، هتفوا"، إنها حركـــة منظمـــة ومرتبة ومن ثم متسلسلة، فالفلسطيني وهو طفل يترعرع على حمل الحجر وعلى قول "فلسطين لنا والقدس عاصمتها"،ومن ثم يشب ويكبر ويصبح في منزلة الأبطال حتى لو كان ولداً أو بنتـــاً، وقد تكون نهايته إمّا الشهادة أو المطاردة.

فالزجّال هنا، له نظرة مستقبلية فهو يتنبأ بمستقبل الأطفال، أطفـــال فلســـطين، مســـتقبل يزخر بالتوتر وعدم الاستقرار، مستقبل حزين والليل طويل ولا يزول الليل حتى يصبح هـــؤلاء الأطفال أبطالاً كباراً.

ولم تخل الشعارات والهتافات من عنصر الحركة، ولكنها قليلة بالمقارنة مع الحركة في الأغنية الشعبية.فجاءت الحركة في الشعارات، حركة بسيطة في بعض الأفعال التي نقرأها، ففي قولهم:

"**تموت واقفين ولن نركع**"

ففي الفعل نموت، انعدام الحركة وتلاشيها، ولكن ارتبط الموت بالوقوف، واستحالة أن يكون هذا في الواقع إلاّ إذا تصوره الإنسان المقاتل والمناضل، فهو يهدد الجيش الإسرائيلي المدجج بمقاتليه وجنوده أنه لن يركع وحتى وإن قتل، لأن في الركوع يكون الإذلال والخضوع ولا يكون هذا إلا للخالق الواحد الأحد.

أمّا الحركة في الهتافات فهي أكثر منها بقليل في الشعارات، لأن الهتافات منها الشعري ومنها النثري، فالهتافات الشعرية تصاغ كما تصاغ الأغنية الشعبية.ومن الهتافات التي برز فيها عنصر الحركة:

انتفاضـــــــــــة ومواجهـــــــــــات هـــــو الـــــرد علـــــى الاغتيـــــالات

فبالمقاومة والنضال والاستمرار في المواجهات يكون الرد على الممارسات الهمجية للاحتلال. وقولهم:

مهمـــــا تْكَسِّـــــر مَهْمـــــا تْطُـــــخ فينـــــا تْزِيـــــد الْحَمِيِّـــــة
أبـــــداً أبـــــداً لـــــنْ نَرْكَـــــع رَغـــــم الدَبابِـــــة والْمَـــــدْفَع

مهما زادت وسائل الإرهاب من تكسير للعظام وتدمير للبيوت والمنازل وحتى المدارس والجامعات، ومهما زاد عدد الجرحى والقتلى فأبداً لن يركع الشعب الفلسطيني رغم الخوف المسيطر على أطفالهم ورغم الدبابة الواقفة أمام المنزل.

أما الصورة في الحكاية الشعبية فقد جاءت واصفة للحدث راسمة له، كأنها ريشة فنان تدهش الانسان إمّا لروعة النضال عند الشعب الفلسطيني، أو تدهشه للأساليب الهمجية التي استخدمها الجيش الإسرائيلي للقتل وتدمير ونسف البيوت. وتعتبر الحركة من أكثر عناصر الصورة وضوحاً في الحكاية الشعبية وذلك لإستخدام القاص أفعالاً تدل على النضال والقتال واستمرار المواجهة.

فتكثر في الحكاية الأفعال "هجم، وهرب، وطاح "بمعنى نزل" وغلّب الجنود "بمعنى أتعبهم" وكلّها أفعال تصف الحدث وصفاً دقيقاً، وتصوره كأنه في ساحة المعركة.

ثانياً: اللون

اهتم الشعراء في العصر الحديث بظاهرة اللون وأثره على النفس والروح، وكذلك اعتنى الشعراء الشعبيون بالألوان عند حديثهم عن الانتفاضة.فالقارئ للأغنية الشعبية أو حتى القارئ للفنون الأخرى الشعبية، يجد أنها تحفل بالصورة الملونة المشرقة وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على إفراز الذوق الشعبي. فهي صور رقيقة وإن مستها الخشونة أحياناً، إنها صور تحفل بالألوان والأصباغ، ألوان فاتحة مثل الأبيض والأحمر والأخضر والأزرق. وألوان قاتمة مثل اللون الأسود. وذلك تبعاً لحالة الفنان النفسية.

يفوق تفسير اللون معناه المعجمي، من خلال مجاورته للحدث وتفاعله مع السياق وارتباطه نفسياً بقائله، وأثره على المتلقي. وهذا ما أشار إليه د. يوسف نوفل بقوله:"إن دلالة اللون تتغير تبعاً للسياق والأثر النفسي والتغير والتحول"[1].

وللألوان مصادرها أمام الفنان أعلاماً ملونة تدل عليها وتسترعي الانتباه إليها، حيث الطبيعة بسمائها وبحارها وصخورها ورمالها ونباتاتها وطيورها ونجومها وكواكبها وغروبها، مما جعل للون منزلة في التعبير الشعري.

وأكثر الألوان انتشاراً في الأغنية الشعبية اللون الأحمر. لأنه يرمز إلى الدم الأحمر الجاري على ثرى فلسطين بعدما يسقط الشهيد تلو الشهيد، فكأن الأرض غيرت وجهها واكتست حلة جديدة حمراء، ولعلهم أرادوا من هذا اللون إشارة إلى الثورة والتمرد والحركة والحياة الصاخبة الغاضبة والانتقام والقسوة.

زفُوا جِنين بِثُوبٍ أَحْمَرٍ وَهللُوا أللهُ أكْبَر

(1) نوفل، يوسف حسن، الصورة الشعرية والرمز اللوني، د.ط دار المعارف، القاهرة ص 28.

يؤكد الشاعر هنا كثرة من ماتوا وقتلوا في معركة جنين ومخيمها، وبأنها تشبه العروس التي تزف لزوجها بثوب طويل أبيض ولكن هنّا زفت جنين لزوجها بثوب أحمر.

وقولهم في انتفاضة الدم:

فـــــي المُخَـــــيَّم سَـــــالِ الـــــدَّم وغَنَّـــــــــت الْبُنْدُقِيـــــــــة

فالشعب الفلسطينيين هنا يؤكد على اللون الأحمر وأنه مستمر في السيل، حتى إن البندقية في يد المناضل قد غنت وزغردت فرحاً بمقتل عدد كبير من اليهود في داخل مخيمات فلسطين، فاللون الأحمر يرمز لمقتل عدد كبير من جنود الاحتلال، وقد يرمز إلى استشهاد عدد أكبر من الشعب الفلسطيني، فيحمل هذا اللون كما في الأبيات السابقة تضاداً في نفسية الإنسان الفلسطيني. ففي البيت الأول، نفس مليئة بالفرح للوصول إلى الجنة بسبب قتلهم الأعداء. ويظهر الفرح والسرور من الفعل "غنت" فالشعب سعيد وفرح بمقتل عدد من الجنود.

ويتحول اللون الأحمر في بعض الأغاني الشعبية إلى الشعور بالضعف والشكوى من الواقع المرير، ثم يتحول هذا الشعور إلى تحدٍ وتصميم وعدم استسلام.

لا أَشـــــكو أَجرْاحِـــــي الدِّمَويِّـــــة لـــــــن استَسْـــــــلِم للإِعْصـــــــار
وَهْمـــــومِي إِهْمـــــوم يَومِيـــــهْ سَـــــــأَلْحَقْ يَومـــــــاً بـــــــالأَبرار

ولقد رمزوا باللون الأحمر إلى الحقد والكره اللذين ترعرعا داخل صدر المواطن الفلسطيني، فامتزج ذلك الحقد والكره بالثورة والغضب فحولت الفلسطيني إلى بطل يفوق الخيال. فقالوا:

يَ اغزيِّـــــل حامـــــلْ سِـــــلَّمْ حامـــــــــل قنينـــــــــهْ ملـــــــــثَّم
صـــــوب الدوريـــــة تقـــــدَّم نـــــــارُه الْحُمْـــــــرا يَلهبَـــــا

كما جاء اللون الأحمر متمثلاً بالدماء" تأكيداً وتصميماً على استمرارية الانتفاضة حتى النصر.

انتفاضـــــتنا أنهـــــار دمـــــاء انْتفاضِـــــتْنا شَـــــلاّل ضـــــياء
فِـــــــي ذَاتْ الله ولْلإِسْـــــــلاَّم نْمَـــــــوتْ ونْحيـــــا بإبَـــــاء

امتاز الشعب الفلسطيني في عهد الانتفاضتين بـالجرأة والقـوة والشـجاعة والتصـدي للأعداء رغم تفوق جيش الإحتلال عليه بالعدة والعدد، فهو الأقوى والأقـدر علـى المواجهـة والتصدي، فذكروا في أقوالهم أفعالاً مرتبطة باللون الأحمر المتمثل بالنار والجمر الأحمر دلالـة على عدم الخوف من قوة عدتهم وعددهم. فقالوا:

يَمَّـــا عْيونـــك جَمْـــرة نَـــار يَمَّـــا بِصَّـــدْرِك نْـــرُد الثَّـــارْ
نِحْنـــا بُرْكَـــانْ تفْجَّـــرْ هَـــاتِف الله أكَبْـــرْ

فاستلهمت الألفاظ والألوان لبث الحمية والقتال في نفوس أبطال شعبها، فكانـت تـذكر ألفاظاً ترمز للدم مثلاً أو إحدى مشتقاتها فتدفع الشعب الفلسطيني على الانتقام والثأر.

وجاءت انتفاضة الأقصى لتؤكد الهدف وتتابع المشوار وإن اختلفت في أهدافها الخاصـة وأسبابها إلاّ أنها جاءت لترسيخ مبدأ الحرية ورفض الذل والعيش مثل الشعوب بأمن وطمأنينـة، لنا حقوق ولنا دولة وهوية. وكان أبرز الألوان اللون الأحمر، كما في الانتفاضة الأولـى وهـذا ليس بغريب، فنحن في ساحة قتال وعدد الشهداء يزداد، ليغذي شـلال الـدماء فأخـذ الشـعب الفلسطيني يهتف مضحيّاً بأعز ما لديه من أجل فلسطين فاقترنت التضحية بالدم.

بـــالروح بالـــدم نفـــديك يـــا أقصـــى بـــالروح بالـــدم نفـــديك يـــا شـــهيد

وهتفوا للشهيد الغالي وعاهدوه على الثأر له ولدمه الذي سال وملأ الساحة.

خلـــــــي الشـــــــهيد بدمـــــــه ألـــــــف تحيـــــــة لأمـــــــه

أما اللون الأحمر في شعارات الانتفاضة فكان يرمز للدم والثـأر والقتـل، فالشـعارات والهتافات مثلها مثل الأغنية الشعبية، برز فيها اللون الأحمر، الذي تمحور حول "الـدم والنـار"

الدم الذي نراه في مفردات، الشهيد، الجريح..." والنار التي نجدها في "الجمر والشرار وحتى البندقية".

وما زال اللون الأحمر يرمز إلى الدم بما فيه من ثورة على الاحتلال والتأكيد على مواصلة القتال، حتى لو امتلأت ساحات فلسطين وبيوتها وأراضيها بالدم واكتست بالثوب الأحمر، حتى إنَّ دم الشهداء تحول إلى إنسان ينادي ويهتف بقوله:

شِدْ إحزامَكْ يا اسْتِشهادِي وعَبي الساحَه دَم
حَتى تِرْجَعْ أَرْظ إبلادِي وخَلي الْفَرْحَهْ تِعِمْ
دَمِ الشَّهدا بِنادي وعَ دْروبِ العِزِّ بيهْدينا

ومن مظاهر توظيف اللون الأحمر أن عبروا عن ثورتهم وغضبهم بالبركان الذي يخرج حمماً نارية شديدة حمراء. فكانت ألفاظ " الجمر والشرار والبركان " في أقوالهم وأشعارهم كلها ترمز إلى الثورة والانتفاضة.فغنى الشعب قائلاً:

إرْمي عَليهم بِالشَّرار آخر خَبَرْ صارت قَنابِلْنا بَشَرْ

وغنى أيضاً:

طَلَتْ إِلْبَارُودِهْ و الْبَطَلْ ما طَل يا بُوز الْبَارودِهْ مِنْ دَمُه مُعتَلْ
طَلَتْ إِلْبَارُودِهْ ودِي[1]ما تْسيل إِتْنادي الْبارودِه على جهاد جبرين

عادت البارودة من ساحة الوغى، مطلية بالدماء تنادي وتزف خبر استشهاد "جهاد جبرين" وتخبرهم بأن الشهيد ضحّى بدمه من أجل فلسطين، وتنوح هي على فقدان هذا البطل ولكنّها تؤكد مواصلة شباب فلسطين القتال والاستمرار في الاستشهاد.

لقد كان استخدام اللون الأحمر في الأدب الشعبي في ظل الانتفاضتين أكثر من غيره من الألوان ولعل السبب في ذلك يعود إلىالوضع السياسي الذي عاشه الشعب الفلسطيني بما فيه من

(1) ودي: بمعنى أريد.

قهر وظلم وجرائم وتدمير، فكيف له أن يسكت عن كل الجرائم التي حدثت وما زالت تحدث لشعبه وأبنائه، فغضب وثار وانتفض فكان نتيجة الثورات كثرة الشهداء وتساقطهم الواحد تلو الآخر.

أمّا اللون الأسود فيأتي في المرتبة الثانية بعد اللون الأحمر في الأدب الشعبي الفلسطيني، رمز الشعب الفلسطيني باللون الأسود إلى الحزن والظلام واليأس ولعل هذه الرموز موجودة عند العرب منذ القدم إلاّ أنها بقيت ماثلة إلى يومنا هذا، فوصفوا اليوم الشديد باليوم الأسود والحظ السيئ بالحظ الأسود وكثرت المسميات بهذا اللون، فيقولون: السوق السوداء، والذهب الأسود والقارة السوداء ومن أعرق وأروع التسميات، الحجر الأسود.

واللون الأسود ضد اللون الأبيض، الذي يرمز إليه بالصفاء والغبطة والنقاء والطهر والعفاف والسلم. وقد احتل اللون الأسود في الأدب الشعبي الفلسطيني الذي نسج في ظل الانتفاضتين مكانة كبيرة، في حين ابتعد اللون الأبيض عن الساحة ولعل السبب واضح فنحن كنا وما زلنا نعاني الظلم وقسوته، والاحتلال وظلمه. فكما تمثل اللون الأحمر في صورة الدم والنار، برز اللون الأسود واضحاً في الليل وظلمته فقالوا:

بِـــــدْهُم يقْتحِمـــــوُا قَرْيتنـــــا إِسْـــــهرنا طُـــــول الليـــــلْ
تَنـــــدافعْ عَـــــنْ كَرامتِنـــــا مَهمـــــا اللّيـــــلْ إِطْويـــــل

وقالوا أيضاً:

فـــــي دَاري بَطَّلـــــتْ أَبـــــات طُـــــولْ اللّيـــــلْ مُـــــدَاهَمات

لقد أضيفت كلمة الليل إلى كلمة الطول، فأكسبتها معنى ممزوجاً بالغضب والشعور بالظلم الطويل واليأس والتشاؤم، فلا يشعر الإنسان بطول الليل وشدة سواده إلاّ إذا كان حزيناً متشائماً. فقالوا:

صُـــورْهِ لْلشَـــعب بْسَـــمَا هَـــالْوَطَنْ تِسْـــهَرْ بْعَـــرين اللّيـــلْ صُـــوتُو هَالأَسَـــدْ يـــزْأَرْ
سْـــلاح الثّـــورة فـــي وجـــه الخَـــوَنْ أَشْـــهَرْ قَتَـــلْ العميـــلُ ومـــا همّـــو وراحْ خبَّـــرْ

لا شاميرولا شارون ولا رابــين ولا شــومرونْ قِـــــــدْرو يُوقِفُـــــــو خَطـــــــوهْ

جاءت لفظة الليل مضاف إلى كلمة العرين، فزادت من جمال التصوير لأبطال الشــعب الفلسطيني هؤلاء الأبطال الذين تحدّوا جميع قادة الجيش الإسرائيلي من شامير وشارون وحتــى رابين وشومرون، فكانوا كالأسود في ساحة المعركة يقاتلون ويقتلون، فبالرغم من الليل وقسوته والظلم وشدته إلاّ أنهم أسود يزأرون فيرعبون أعداءهم بأصواتهم و أعمالهم. فاقترن مصــطلح الليل وبما يحمل من معاني الحزن والفراق، بمفردةٍ من اللغة الفصيحة وهي العرين الذي يــدل على الصمود والتحدي والقوة. فالشعب الفلسطيني رغم الحزن وكذلك الظلم والقهر إلاّ أنه صامد يتحدى عدوه.

وهناك مفردات أخرى غير الليل استعملت للدلالة على اللون الأسود، لما يوحيــه مــن حزن وغضب وثورة ولعل أهمها السجن والزنزانة. فالسجن يحول بين الأسير والدنيا بما فيــه من قضبان حديدية وظلام دامس، فربط الفدائي كلمة السجن والسجين بالسواد والظلمة.

مـــــا أكثَـــــرْ زنـــــازين الـــــوَطَنْ واسْـــــــــــــلاكُه والتّنْكيـــــــــــلْ
مـــــا أكثَـــــرْ مَـــــراجيحِ الشَّـــــنِقْ و زُوّارْهـــــــا فـــــــي الليْـــــــلْ

كذلك ارتبطت الزنزانة في الأدب الشعبي في ظل الانتفاضتين بالسواد الحالك.فقالوا:

دَخّلـــــــــــــونِي بِزنـــــــــــــازِين عَـــــــا إقْنِـــــــاعي نَـــــــاوْيين
بَـــــــسْ عَ بْـــــــلاَّدي الْمُغَفَّلـــــــين لَـــــو شَـــــنَقُوني مـــــا بَحْكِـــــيش
قَـــــالُوا لِـــــي إِنْـــــتَ الْخسْـــــرَان رَاح تْبِقَـــــى جُـــــوّا الْقُضْـــــبَانْ
واتْشَـــــــوف أَلْـــــوان الْحِرْمَـــــان ومـــــا تِعْـــــرِف لَطَعْـــــم الْعِـــــيش

لقد أضيفت كلمة ألوان إلى مفردة الحرمان، فلو بقيت هكذا دون أية إضافة لكانت عامة، تدل على ألوان مختلفة فقد تكون حمراء أو خضراء أو صفراء، ولكن هذه المفردة تــدل علــى الظلم والقسوة، فالألوان المقصود بها هنا هو اللون الوحيد الدال دائماً على القهر والضيق والذل والهوان وكلها يلم شملها وشتاتها اللون الأسود.فقالوا:

وقْفَـــــتْ عَلَـــــى بـــــاب السِّـــــجْن سَـــــرَّتْ لأبـــــواب الْفَـــــرَحْ

نَصْـــــبَتْ لَيـــــالي طْـــــوَالْ سُـــــودا امْتَـــــــدَّتْ لِوَجْـــــــهِ الصُّـــــــبِحْ

فالقارئ للأبيات السابقة يلمح نبرة الحزن والتشاؤم من الوضع المسيطر على فلسطين وشعبها، فالمفردات "السجن، وليالي طوال، وسُودا"، وحتى الفعل سَدَّت كلهَّا تدل على الحزن واليأس النابع من نفس المغني والفنان.إن اليأس والنظرة التشاؤمية امتدت واستمرت مع ظهور النهار، فغطت على اللون الأبيض.

وهذا نجده ماثلاً أيضاً في كثير من ألوان الأدب الشعبي في ظل الانتفاضة الحالية.فغنت الشاعرة "ماريا أبو واصل":

يـــا ميمـــة إِمْحمـــد إِشْـــلَحي الْسَّـــواد عنـــكِ كل إلشَّعبِ الْعربي يـــا خيَّـــه حِمـــل همِـــك
ومحِمد الْدُرهْ إِبْن الْجَميـــع مِـــشْ بَـــسْ إبنِـــك نَشَّـــف إدْمـــوع الْبَشَـــر يـــا فَلَسْـــطينا

يدل اللون الأسود على الحزن والأسى، فالأم تتوشح بالسواد عند فقدانها إبنها، وهذا ما نجده في الأبيات الآتية من الانتفاضة الأولى.

لا تْصُـــــــبُّوا الْقَهْـــــــوه السَّـــــــادَه وْمـــــا بـــــدِّي ألـــــبسْ لِسْـــــمَرْ
يَمَّـــــــا امْسَـــــــحيْ دْمُوعِـــــــكْ يـــــا بُـــــويَ بْسِـــــجْنِكْ أصْـــــبُرْ

لقد دلت الألفاظ السادة والأسمر على الحالة والوضع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني وهو وضع مليء بالهموم والموت لأن القهوة السادة ارتبطت عندنا بالعزاء وكذلك لون السواد هو لون الحداد.

لقد رمزوا لبعض الفصائل بالألوان، وسموا المجموعات المقاتلة بهذا اللون مثل الفهد الأسود وغيرها، فهناك السواعد السمرا وسميت بهذا الاسم لما فيه من دلالة على العزم والإرادة والتضحية.

مـــــا زال فـــــي الأرض حجـــــاره وســـــواعد سَـــــمْرا جّبـــــاره
الانتفاضـــــــــــــــــة دوّارْه بِـــــــــــــــــالْعَزْم والْإِرَادَة

أمّا اللون الأخضر فلقد ارتبط منذ القدم باللون الأسود " فقد سموا الأسود أخضراً والخضرة في ألوان الإبل والخيل غبرة تخالطها دهمة، والخضرة في ألوان الناس السمرة[1]. وجاء اللون الأخضر في الأدب الشعبي في ظل الانتفاضة لبيان التضاد في أحيانٍ كثيرة، فهو قد يعبر في مواقف معينة عن النمو والاخضرار والتفاؤل وفي مواقف أخرى يعبر عن الضمور والحيرة:

رُوْحِ الشَّـــهيد بِحْوصَـــلَهْ الطَّـــائِر الِخْضَـــرْ فيهـــا بِيْـــرُوح وِيْغَـــرِد فـــي رُبـــى الْجَنَّـــة

ها هو اللون الأخضر يذكر مرة صريحاً في الشطر الأول ويذكر خفياً وراء المفردة الربا" التي تعني التلال الخضراء. وهنا رُمِزَ للون الأخضر بالنماء والتفاؤل فروح الشهيد محفوظة في حوصلة الطائر، حي يرزق في الجنة ينتقل بين روابيها وجنانها، يعيش هنيئاً مطمئناً، يعود طفلاً صغيراً ينمو من جديد داخل الجنة وأسوارها.

وهذا ما أكده بعض الشعراء في الانتفاضة الحالية أثناء قولهم.

كَتَائِـــــــب زَرِعْهَـــــــا أَخْضَـــــــر بِرْجَالْهَـــــا كُـــــلْ يَـــــوم تِكْبَـــــر

وقالوا:

عِنّـــا مَـــوال خُطْواتُـــه خَضْـــرَهْ خَضْـــرَهْ جُرْحِك في الْبَال يا بْلاَدِي صُـورَةْ صُـورَةْ

فهنا دل اللون الأخضر في البيتين السابقين على الزرع ولما يحمل من معانٍ كثيرة أهمها التجدد والخصوبة والحيوية، وتعددت صيغته في أشعارنا الوطنية فكانوا يقولون: أخضر – بتشديد الراء– وأخضر، وخضراء وخضر وكلُّها كلمات فصيحة، وجاء اللون الأخضر ماثلاً في شجر الزيتون والسهول والتلال والمزارع فكثر استخدام هذه المفردات في لغتنا وأدبنا الشعبي، فالإنسان الفلسطيني أراد أن يغير من حالته النفسية فلعله يستطيع بتلك الألفاظ أن يتغلب على الاحتلال وقهره، ولأنها تدل على معاني الخصوبة والعطاء، وذلك لأنَّ أشجار الزيتون

(1) نوفل، يوسف حسن، الصورة الشعرية والرمز اللوني. مرجع سابق، ص102.

دائمة الخضرة لذلك رمز بها للسلام والأمل في المستقبل، ولأن السهول والتلال أيضاً دائمة الخضرة بما فيها من مزروعات وأشجار.

أما اللون الأبيض فهو كما مر سابقاً قليل الاستخدام هنا، مع أنَّهم استخدموا اللون الأخضر للتفاؤل بالمستقبل، إلا أنهم لم يذكروا اللون الأبيض لوناً مستقلاً مع أنَّه يرمز للصفاء والنقاء والحرية، ونحن في أوضاع الحرب و القتال فلا داعي لذكر هذا اللون الذي يدل على نفسية مطمئنة متفائلة والذي رمزوا إليه بالهدوء.

علـــى الأَلـــفِ لَـــفْ الْهَـــم عِـــين مُقْلَتِـــي ماعـــاش السَّـــواد علـــى الْبَيْـــاظ يـــذُوبْ

فاللون الأسود باقي ودائم ولا يزول إلا بزوال الهم والحزن واللون الأبيض ليس له وجود بوجود اللون الأسود فهو يذوب وينصهر.

وكذلك اللون الأزرق الذي تمثل بالبحر والنهر والذي رمز إليه بالهدوء، والسكينة والصبر على المآسي، فلا نجده إلا قليلاً في أدبنا الشعبي الذي نسج في ظل الانتفاضتين.فقالوا:

إحْنـــا مِثْـــلِ الْبَحْـــرِ الْهـــادِرْ صـــابِرْ عَالْمآســـي صَـــابِرْ
يْعْلِـــنْ عَـــا كُـــلِّ الْمَنَـــابِرْ حَيَّـــا اللَّـــهْ أَقْـــدَسْ أَوْطـــانَ

فها هو هنا جاء متمثلاً بلفظة البحر.

لقد التقت الألوان السابقة مع بعضها بعضاً في الأدب الشعبي فاجتمع اللون الأسود مع اللون الأحمر في كثير من الحالات وعادة يكون اجتماعها في الحروب أو الموت.

أَقْصَّـــــانا أَقْصَّـــــانا حُبَّـــكْ عَـــايشْ جُوانَـــا
نَفْـــدِيك بِـــالْرُوحْ الْغَالْيَّـــة وابترخصـــلك دِمانـــا
جـــايين لِلظّـــلام إِلِّـــي خَـــانُوا حِمانـــا

لم يذكر الزَّجال اللونيين الأسود والأحمر مباشرة بل لجأ الى ما يدل عليهما، فالدم يرمز للون الأحمر، ومفردة الظّلام وهي صفة تطلق لأصحاب القلوب القاسية المظلمة والتي ترمز

إلىاللون الأسود، لقد اجتمع اللونان معاً، ليخرجا للقارئ صورة متكاملة دالة على الغرض وهو التضحية بالروح والدم من أجل الأقصى، والقضاء على الظالم الذي دنس ثرى فلسطين. وهذا ما نجده أيضاً واضحاً في التقاء اللونين الأسود والأبيض في كثير من الألوان الشعبية وفي ظل الانتفاضتين. فقالوا:

إِنْتِفاضِتْنا بُشَرى النَّصِر نَصْرِ الْإِسْلام علَى الْكُفْر
لا تَطْلَع أَنْوار الْفَجِر إلاّ مِنْ قَلْب الظُلْمَه

التقى اللون الأبيض مع اللون الأسود، وهذا نجده في لفظتي أنوار مضافة اليها كلمة الفجر ولفظة الظلمة، حيث اللون الأسود المتمثل بلفظة الظلمة يدل على القهر والشعور بالظلم وسرعان ما يتبدد ويزول ببزوغ فجر جديد ونهار جديد، بالرغم من طول الظلم المسيطر على فلسطين وشعبها.

ولقد اجتمع اللون الأسود مع اللون الأبيض والأخضر كذلك والتقى الأحمر مع تلك الألوان ومن أمثلة ذلك.

إنتفاضتنا أنهار دماء انتفاضتنا شلال ضياء

فالضياء ترمز للون الأبيض الذي يدل على الصفاء والنقاء. فالتقت مع لون الدماء الأحمر.

والتقى اللون الأخضر مع الأسود.

إِنَّا الْأَرض وإِنّا الدَّار والزَّيتُونِي والْاَزْهَار
ما نْخَاف جْنُود الدَّمار إِحْنا ثُوّار السَّلام

الزيتونة دائمة الخضرة فهي تدل على الخصوبة والنماء وكلمة الدمار ترمز للون الأسود الذي يحل مع حلول جنود الاحتلال، لكن باللون الأخضر الذي برز في مفردات الزيتونة

والأزهار يحول النظرة التشاؤمية إلى نظرة تفاؤلية وأمل. فجاءت الصورة جامعة للونين الأخضر والأسود معاً، صورة حية تبعث الحياة من جديد في النفوس.

ثالثاً: الصوت

أمّا الصوت وهو العنصر الأخير في الصورة الفنية فيبرز واضحاً جلياً في الأدب الشعبي وفنونه. فها هو الشهيد يتكلم ويبعث بوصاياه وسلامه لأهله وأصدقائه وأحبائه.

أنـــا الشَّـــهيد الْحَـــي اسْـــمَعْ كلامـــي يـــاخَيْ
دمـــيْ إليـــك مَرْهُـــون والْـــرُوح فِيْـــك بتْهَـــون
أَنَـــا الشَّـــهيد إلّـــي حَمَـــل رَوحَـــه وقَـــال لا لا تِحْزَنـــي يَمَّـــا

لقد ظهرت في الشطر الثاني حاسة السمع فجاءت حاضرة من خلال صوت الشهيد الذي يدعو أهله وأقاربه لسماع أقواله.

وها نحن ما زلنا نسمع صوت الأذان ينادي على الأبطال ويحثهم على القتال والجهاد.

صُـوت الْأَذانْ ينـادِي مِـنْ عَـالِي الزَّمَـان لَبُـوا النَّـداء الله أَكْبَـر علـى الْجهَـاد
الصَـوت صُـوتِك يـا جِنـين الْمَلْحَمِـة والدمَّ دَمِـك غَضْـبان مـن سِـيل الْفَجِّـر

لقد اجتمع صوتان معاً، صوت الآذان في الجوامع وصوت "جنين" وهي تصرخ وتستنجد بأبطال فلسطين لينقذوا ما تبقى فيها من أناس، فهي صورة حية تحس بها ونحزن لسماعها فامتزاج الأصوات معاً يؤدي إلى اضطراب واهتزاز وينتهي ببركان ينفجر، إضافة إلى تلك الصورة هناك صورة اللون الأحمر لون الدم الذي تحول إلى إنسان ثائر غضبان، "فالصوت واللون" وامتزاجهما معاً جعلا الصورة أوضح وأشدها تأثيراً في النفوس.وذلك في قولهم:

اسْـمَع اسْـمَع بِجوارِحْنـا مـا نِرْكَـع تعاهَدْنا واحْنا سَبَقْنا عَلَى دَرب الشُّهداء ما بترجَعْ
اسْـمع اسْـمع يـا عَـدوي الْقَنابـل وفُـوق الشَّـجَرْ تِطْلَـع تْقاتِـلْ
لاسُـورَك يهْـدِمْ بُركَـاني ولاجْيشَـك لَفِـدَائِي يمْنَـعْ

لقد برز الصوت في الفعل " اسمع" وقد كرره الشاعر تأكيداً على أهمية ما سيقوله، ولقد اجتمعت الحركة مع الصوت، فالركوع يمثل الحركة، فالصورة مركبة من صوت وحركة، وهذا ما أكده في البيت الثاني فكرر لفظة " اسمع" وهي صيغة أمر ففيها طلب وحث وتهديد، فجاءت الصورة في البيت الثاني مفعمة بالصوت واللون فالشجر يدل على اللون الأخضر، وامتزاجه مع اللون الأحمر الذي يدل على أنَّه بالرغم من كثرة الموت إلا أنَّ هناك ولادة جديدة استوحاها الشاعر من اللون الأخضر، فامتزاج الألوان معاً إضافة إلى الصوت المتمثل في الفعل اسمع، والحركة الماثلة في البيت الثالث من هدم وتفجير وثوران كلها معاً تجعل الصورة أجمل وأوضح للسامع فهو يربط بين السمع والبصر والحركة، فتحولت تلك الأبيات إلى مشهد من مسرحية تمثل على خشبة المسرح.

ولقد برز الصوت في المفردات الآتية " البركان"، و"البرق"، و"الرعد"، "وتزلزلي"، والصوت كما ظهر في الانتفاضة الحالية كان ظهوره واضحا أيضاً في انتفاضة 87م وما تلاها من ثورات.فقالوا:

اسمعي يا أمّ الثَّوره يا فلسطين يا حُرّه
إبْنَك بِفْديك بِعُمْرَه تَظَّلِي أعلى مَنارَه

فها هو يحول فلسطين إلى أم الأبطال والثوار ويطلب منها أن تسمع صوته وهو يصرخ و يهتف بأنه سيفديها بعمره حتى تبقى أبية عزيزة.

وها هو الشعب الفلسطيني يخاطب الشهيد ويطلب منه أن يسمع صوت القسام الذي ينادي عليه ليجلس بقربه ويسكن جنات النعيم.

لا تنسى اتودّع أهْلَكْ صُوتِ القسَّامْ بِنْدَهْلَكْ
إِللِّي اسْتَشْهد مَا هَلَكْ عايشْ فِي قْصورِ الْجنَّهْ

وها هي القدس تصرخ وتنادي وتهتف ليسمع العالم صوتها وهي تنعي شهداءها كالمرأة النّواحة التي تنوح وتبكي على ضياع أبنائها.

صُـــوت الْقَـــدس للقُـــدس بيْهتْـــف ومِـــــنْ حَجَـــــري هَالنَّـــــازِي بِيْرجِـــــفْ
يَمَّـــــا الْجَرحـــــــى بالْمِيَّـــــات ودَمِّ الشُـــــهدا عَلَـــــى أَرضِـــــي بِيْنـــــزِفْ

تناجي القدس القدس، فتحولت القدس إلى امرأتين الأولـــى تبـــث شـــكواها للأخـــرى، وسرعان ما التحمتا معاً فكوّنتا قوة كبيرة، فأخذ الجندي الإسرائيلي يرجف خوفاً مـــن حجـــارة الأبطال التي أخذها من حجارة أسوار القدس، فهي حجارة كريمة ومباركة، وبسبب حركة أيدي هؤلاء الأبطال المنتظمة والمليئة بالحجارة زاد عدد القتلى الاسرائيليين. وها هو الصوت المتمثل بالمفردات " يهتف بصوت " والحركة الماثلة في حركة أطفال الحجارة وهم يلقـــون بهـــا علـــى الجيش الاسرائيلي، واللون لون الدماء.

ونلاحظ أن عنصر الصوت لم يأت مفرداً بل جاء مجتمعاً وممتزجاً مع عناصر الصورة الفنية الأخرى مثل اللون والحركة.

ورغم النظرة الحديثة للصورة، إلاّ أن كثيراً من الشعراء الشعبيين مـــا زالـــوا يهتمـــون بالصورة التقليدية القديمة التي تقوم على التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، فهـــاهم يشـــبهون السلام بالوليد الذي لم ير النور، على سبيل الاستعارة المكنية، فذكر المشبه وحذف المشـــبه بـــه وكذلك شبهوا غصن الزيتون بالطائر المذبوح.

يـــــــا مُـــــــؤمِنين السَّـــــــلاَم بِـــــــالْحَق نَـــــــازِف دَمُـــــــهْ
غُصْـــــن الزَيْتـــــون مَـــــذْبَوح جَمبُـــــه الْرَضِـــــيع أمُـــــهْ

وهم شبهوا ضمير البشر بانسان نائم يطلبون منه أن ينهض من سباته العميق قصدوا هنا بضمير البشر الأمة العربية التي نسيت وتناست الشعب الفلسطيني، فتحول الكون إلـــى انســـان أصم وأعمى لا يرى ولا يسمع ما يجري على الساحة الفلسطينية من قتل وتـــدمير واغتصـــاب للمقدسات الاسلامية.

قُـــــمْ يـــــا ضَـــــمير الْبَشَـــــر وأُصْـــــرَخ ثُـــــور عَلَـــــى السِّـــــتَار
عَـــــدْلَك ميـــــزَان انْكَسَـــــر والْكْـــــون كَفِيـــــف وَأَصَـــــم

وشبهوا الأمل بالشموع المضيئة بقولهم:

هَاللّيــل الْأَسْــود بِشْــمُوع الْأَمَــل مُضــيئَة تُصْــبُر عَليــك اللَيــالِي وجُوهــا

وشبهوا العار والذل بثوب يلبسه المرء بقولهم:

لَبِسْــنا مِــن ثِيــاب الْعَــار حِلَّــة وذِكْــر الْمُصْــطَفى بِهَــا الْحفَــل حَــلْ
الَأَقْصَــى علَــى أَعــدانا كيــف حــل والْحَــرَم عَلَــى مُلُــوك العَــرَبْ

وشبهوا في انتفاضتنا الحالية، الأبطال الذين ينزلون إلى ساحات المعركة من غير خوف بالزوابع أو بالنار.

هَبْينــــا كَــــالزَّوابِع لَهْلَبْنــــا كَالنَّــــار
بِالصَّــــدْر نصُــــدّ الرَّصَــــاص صَــــمَّنْا علــــى الإِخْــــلاَصْ

وجعلوا الجماد يتكلم ويبكي وينوح، فشبهوا الصخرة وكنيسة القيامة بامرأة تتوشح بالسواد تبكي وتنوح على ضياع العروبة، والصخرة المشرفة تناجيها وتكفكف دمعها.

إِسْمَعوا صُوتِ القُــدْسْ بِتنــادي عَلَــى الثُّــوَّارْ والْقُــدْسْ نــادَتْ عَ بُــو عَمَّــار يحميهــا

والصَّخْرَهْ تِشْــكي ظُلُــم مِــنْ سَــطْوِة الفُجَّــارْ والْعَــذْرا تِبْكــي الْمَهْــدِ والْمَهــدْ يبْكيهَــا

ويتصل بالصورة شكلاً مهماً هو الرمز "فكل صورة قيمة أيا كانت تسميتها تستند إلى رمز[1]".

فأهم ما يميز الأدب الشعبي في ظل الانتفاضتين وخاصة الأغنية الشعبية احتواؤها على الرمز، فالأدب الشعبي غني بالرمز ولعل السبب في ذلك هو الخوف من المحتل الذي كان يقوم بعمليات اعتقال لهؤلاء الفنانين والمغنين، وعادة الرمز ينشط في ظل القهر والقمع، وقد يستعمل الإنسان الفلسطيني رمزاً واحداً بدلالات مختلفة و ذلك تبعاً لحالته النفسية أو الفكرية.

(1) الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في النقد الشعري، ط1، دار العلوم للطباعة والنشر الرياض 1984 ص 121.

لقد أضاف الرمز للأغنية الشعبية الجمال والرصانة في اللغة فحولها إلى صورة متكاملة تفهم من خلال الرموز.

فهاهم يرمزون للعدو بالخراف وللفدائي بالأسد الشجاع في ساحة المعركة.

أَشْـــــــبال مـــــــا بِهـــــــابهُو إذا رَمُـــــــــوا أَصَـــــــــابُو
أَسَّـــــدْ كَشَّـــــر عَـــــنْ بِـــــابُو شُـــــو بِيعْمَـــــل الْخَـــــرُوف؟

فرمز الشعب بالأسد للمناضل والمقاتل الفلسطيني ورمزوا بالخروف للصهيوني الجبان، الذي غزا البلاد وجال وتجول في أنحائها.وتكررت تلك الصورة في أغاني الانتفاضة الأولى فقال الشاعر[1]:

حَمِّلينـــــــــا كْلاشِـــــــــنْكوف إِبْنِـــــكْ مـــــا بيعْـــــرِفِش الخُـــــوفْ
أَسَـــــد بْـــــيْهجِمْ عَـــــالخَروف شُـــــو بِيعمَـــــل الضّـــــانْ؟

وقال محارب الذيب:-

الشِّـــــــنارَه قالـــــــت لِلـــــــذْيب لِـــــيش جَـــــاي ديرتْنـــــا اطيـــــور
أَنـــــا خَـــــايف ايْطيـــــروا المَعازيـــــب أَيْغـــــزوا عَ الْقَمـــــح المَنْـــــدُور[2]

فالشناره رمز للفلسطيني والذيب رمز للمحتل الذي غزا فلسطين وطرد أهلها وشتتهم في بقاع الدنيا.ورمزوا للمقاتل والمناضل من أجل فلسطين بالنسر، فقالوا

حَيُّـــوا النِّسِـــرْ يَلِّلـــي شَـــنِّ الْغـــارَهْ شَـــايِلِ الْمُـــوتْ عَ رُوسِ الْمِخْـــلابِ
بِالنُّقِّيفِـــــهْ والْمِقْـــــلاعْ القاتِـــــلْ أَرْضِ الإِسْـــرا إِلْمـــوتْ مِـــنْ أَجْلِـــكْ طَـــابِ

ورمز الشعب الفلسطيني لأبناء فتح بالصقور.

صاحِ الصَّـــقِيرْ وبِصـــوتَهْ زَلْـــزَلِ الأَشْـــرارْ بِـــــالرُّوحْ بِالـــــدَّمْ لِفْلِسْـــــطينْ نِفْـــــديها

(1) البرغوثي، عبداللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبية، ص 189.

(2) المندور:القمح المبذور في الأرض.

ورمزوا أيضاً لليهود بالغربان فقالوا:-

يَـــا زَرِيـــفَ الطُّـــولْ لا اتْطَـــوَّلْ لِغِيْـــابْ طالَـــتْ عَـــالْهِجْرانْ ســـاكِنْها لِغْـــرابْ

كان الرمز أكثر وضوحاً في مواويل الأغنية الشعبية التـــي تعـــد أم الأغنيـــة الشـــعبية وأساسها وبرزت أكثر في الانتفاضة الحالية منها في انتفاضة 87 م. فها هـــو الكاتـــب "توفيـــق عمارنه" يكرس نفسه وكتاباته لتتبع الحدث.

فكان أهم ما يميز تلك المواويل اللجوء إلى الرمز. فرمز للقادة الإسرائيلية بالحيتان التي تبلع كل مَنْ يقف أمامها من أبناء الشعب، الذين رمز إليهم بالسمك فقال:

"صار الْغَنى يرى الغني واستنفرت حيتان تبلع جموع السمك ويلاحق الديدان".

وحتى أنه رمز إليهم بالسلاحف التي تزحف في كل لحظة وتحتـــل الأراضـــي وتغلـــق الحواجز وتشدد الحصار على الشعب الفلسطيني ورمـــزوا بالـــدبابات والطـــائرات، بالـــدبابير والغربان.وهذا ما نراه في الموال التالي:

شفت السلاحف في الفجر زحف على الإرسال
رفّ الدبابير والغربان رفرف على الطيرة
يا طير ودي للعرب و الأهل مرسال
قرعت نواقيس الخطر و الموت في ديره
في العلم مو في الحلم
شفت الدم قد سال
يا عرب وين الفزع والغيره

ورمز للجيش الإسرائيلي بالعلوج:

مهما العلوج اتفننوا وتقاسموا الأدوار
مهما تباهوا بالقتل، وتعالت الأسوار
مها استعانوا بالحواجز والموانع والسلاح
لا لن انكِّسْ راية أو نطفئ الأنوار

لقد غلب الحوار على الأغنية الوطنية فكان بين الناس والجماد والحيوانات والطيور، وقد يجري الشاعر حواراً بينه وبين الأرض، أو بينه وبين الأقصى، أوالفدائي، أو بين الشعب بأكمله.

لقد ظهر الحوار واضحاً في الانتفاضة الحالية سواء أكان مع شخوص حية أو شخوص ميته؟ وأكثر ما كان بين الشهيد وأهله.

الابن: **يُمّا بكْتُبلِك هَذي الْوَصية بِحِبر دَمْي ومن دَمْع عينِي**
يما لا تَبْكِي على الْمَنية وبِجَنَاتِ الْخُلد رَبْنا اصْطَفانَا

الأم: **يما بَقْرالك[1] بِدْمُوع عِيني وبِنَبض قَلبِي ورِعْشِت ايدي**
هذه يايما ما هِي مَنية ودْمُوعي فَرحَة وحَنُونِه

الأبن **إنتِ الْخَنْساء يا حَبةْ عِيني وعَلى الشَّهادة إنت إللِّي رَبِيتِيني**
وزَرَعت مَحبه حُور الْعين وحَواصِلِ خُضُر بِجِناني

الأم: **يا ابني عُرْسَكَ عَلِيك مْبَارك ضَحيت بِدَمَك وَأخَذِت تَبَارك**
دَمَّك مِسِك ومِن انْهارَك رَاح تِشْرَب كَافَور ولَبْن وتَسْنيم

لم يخل الأدب الشعبي من المحسنات البديعية التي أضفت جمالاً على الأدب، فجاءت واصفة للحدث وصفاً دقيقاً، وراسمة له.فظهر الجناس بنوعيه وبخاصة في الأغنية الشعبية، وهذا ما نراه واضحاً في بيت العتابا وظريف الطول لأن أبياتهما لا يقومان إلا على الجناس.

عصافير الوطن بلبل ودُورِي يا اخبارِ الْوَطَن لفي ودُورِي
دروبي وعزتي وأهلي ودُورِي حجارة تِغْلِب ارْصاص العدا

[1] بقرالك: أي بقرأ لك.

فنلاحظ الجناس التام واضح في المفردات دوري الأولي والتي تعني نوع مــن الطيــور ودوري الثانية والتي يقصد بها الدوران. ودوري الثالثة والتي يقصد بها الديار.

وقول أكرم البوريني

اياك تِتْحــدى الجُيوش الْقَاهِرة وتُنْصُب خِيام النُوم وَسْط الْقاهِرة
واياك تستجدي الجموع الناصرة وتنصب علم نازي عتل الناصرة

ففي كلمتي القاهرة جناس تام، فالأولى تعني الجيوش القوية التي تقهر جميــع الجيــوش وتتغلب عليهم والآخر تعني مدينة القاهرة عاصمة مصر، وكذلك في كلمتي الناصــرة فــالأولى تعني المناصرين والمؤيدين والثانية جاءت لتدل على مدينة الناصرة.

وظهر أيضاً الجناس غير تام أو الناقص في الأغاني الشعبية.

يــا زريــف الطــول ويــن رايــح تِــرُوح فــي الضَّــفِة وغَــزِّة مــا تْهِمــه الجــروح
يهْجِــم علــى الْمُــوت ويْضَّــحِي بــالرُوح وبديتــــه القويـــة يحصِّـــل تارنـــاً

ففي كلمتي روح وجروح جناس ناقص باختلاف الأحرف.

وقولهم:

يـــا معلمنـــا الـــرقم الصـــعب يـــا شـــمس التـــاريخ
انـــت الاب بعـــين الشـــعب تكبـــر مـــا بتشـــيخ

ففي كلمتي الصعب والشعب جناس ناقص باختلاف الأحرف وكذلك في كلمتي "تــاريخ وتشيخ".

وأكثر ما يلفت الانتباه في الشعارات استخدامها المحسنات البديعية بأشــكالها فالشــعب الفلسطيني استخدم الجناس بنوعية في شعاراته.

"اعتقالاتكم لن تنفعكم والانتفاضة مستمرة والعار كل العار للأنظمة العربية"

فجاء الجناس التام في كلمتي " العار والعار "، والتي تعني الذل والهوان. وقولهم:

"لن نركع ما دام فينا طفل يرضع"

جاء في كلمتي نركع ويرضع جناس ناقص.

وسواء أكانت لغة الهتافات شعرية أم نثرية فهي تزحز وتفيص أيضاً بالمحسنات البديعية والمزينات اللفظية فقط ظهر الجناس بنوعية في لغة الهتافات.

يـــــا شـــــهيد ارتـــــارح ارتـــــاح واحنـــــــا نواصـــــــل الكفـــــــاح

فقد تكررت لفظة ارتاح مرتين وجاءت بالمعنى نفسه،فهنا جناس تام فقالوا:

دم الشـــــــــــــهيد حِنـــــــــــا يـــــــــــــوم الأرض وطنـــــــــــــا
فـــــي عرابـــــي وديـــــر حَنـــــا وفـــــــــي ســـــــــخنين الـــــــــولا

ففي كلمتي حِنا الأولى تعني الحناء الذي يوضع على اليدين لاكسابها جمالاً وبهاء وأمـــا "دير حَنا " فهي قرية داخل الخط الأخطر.

ولقد غابت تلك المحسنات البديعية عن الحكاية الشعبية والمثل، والســبب فـــي ذلـــك أن الحكاية الشعبية تخلت عن شكلها المألوف، وجاءت بشكل جديد يتلاءم مع الحدث والزمن، وأمـــا المثل فلم يكن له الوجود الواضح على الساحة الفلسطينية، فالشعب الفلسطيني استعان بالأمثـــال التي قيلت قبل الانتفاضة ووظفها لتلاءم المناسبات المشابهة، فـــإن ورد المثـــل جـــاء بشـــكله ومضمونه السابق.

المبحث الثالث: الموسيقى:

تعد الموسيقى لسان جميع أهل الأرض.... فلا يمكن أن نقسم الموسيقى إلى موسيقى شرقية وموسيقى غربية، وإنما يمكن أن نبين الأساليب الشرقية والأساليب الغربية في التعبير عن المعاني النفسية المقصودة من الموسيقى.

وقد قيل" إذا أردت أن تعرف رقي الشعب فاستمع إلى موسيقاه، فبالموسيقى يعبر الشعب عن أحواله النفسية، وعن سعادته وكآبته ونشاطه وأمله وألمه وهي كما قال بتهوفن " لغة القلب والروح وهي المركز الذي تولد فيه عواطفنا" [1].

والأدب الشعبي بفنونه بعامة والأغنية الشعبية بخاصة أكثر الآداب تعبيراً عن حالات الفرد والجماعة، فالأم تلجأ إلى الغناء لتناجي وليدها، والناس يلجأون للغناء ليحتفلوا بوداع الحجيج مثلاً أو استقبالهم، وقد تلجأ المرأة المظلومة للغناء نادبة حظها، ولجأ الشعب الفلسطيني إلى الغناء ليعبر عن الحزن والفرقة والتشرد الذي يعاني منه، وقد تركت تلك الآلام من فرقة وتشرد واضطهاد آثاراً مؤلمة عبّر عنها الشعب الفلسطيني في أدبه الشعبي.

لقد صاغ الغناء عواطف الناس وأفكارهم وعدَّ أداة من أدوات نقل خبرة المجتمع الثقافية إلى الأفراد، فكان الغناء أكثر الأشكال الموسيقية أهمية عند الناس. ويعد أيضاً من أكثر الأشكال الفنية التي أثرت فيهم.

سمات الأغنية الشعبية في ظل الانتفاضتين:

أول ما يميز الموسيقى الشعبية الفلسطينية في ظل الانتفاضة عدم معرفة مصدرها ومؤلفها " فالموسيقى الشعبية الوطنية تعتبر تأليفاً جماعياً تشارك فيه جميع فئات الشعب، وأهم ما فيها ارتباطها الوثيق بتقاليد الشعب وعاداته، فهي "شعبية بنشأتها وشكلها ومضمونها وفي فكرتها

[1] موسى، أحمد، الفلكلور الموسيقى الفلسطيني، د.ط، نابلس 1997،ص10.

وموضوعاتها"[1] لأنها ظهرت من أعماق الشعب معبرة عن حياته وتقاليده وعن اهتماماته وتطلعاته بحيث تعطينا صوراً واضحة عن الوضع السياسي في فلسطين.

وثاني تلك السمات الموسيقية التي تميزت بها الأغنية الشعبية في ظل الانتفاضة وخاصة الانتفاضة الحالية قصر الجمل فالجملة الموسيقية قصيرة جداً ومثال ذلك:

صَـــــــاحَتْ بِنَـــــــا الضَّـــــــفِة غَـــــــــــــــــزْة تْنادِينـــــــــــــــــا
الْمُـــــــوت مَـــــــا يكْفِـــــــي لَلِـــــــــــــــــي يْعَادِينـــــــــــــــــا

ومن هذه السمات الأبعاد اللحنية: " فالمسافات اللحنية في الأغنية الشعبية في ظل الانتفاضة هي مسافات بسيطة، حيث تنحصر في مرتبة الديوان الواحد، والمسافات اللحنية في الأغنية العادية غالباً ما تكون من نوع مسافة ثانية أو ثالثة أو الرابعة[2].

وأخيراً من السمات الموسيقية للأغنية الشعبية الإيقاع، حيث يعد الإيقاع واحداً من أبرز عناصر اللغة الموسيقية فهو الذي يضبط حركة الألحان ويسكب فيها الحياة وهو الذي يجسدها ويمنحها هيكلاً معيناً، ويلعب الإيقاع دوراً أساسياً في تحديد البنية الشكلية للحن الموسيقى.

وقد لعب الإيقاع في الانتفاضتين دوراً فعالاً، حيث قام بخلق أجواء نفسية معينة فهو سرعان ما يستحوذ على المستمع فيخلق من حوله عالماً مميزاً.

وكل تلك السمات يتصدرها ميزة العفوية في اللحن والتي كانت ولا تزال السمة المميزة للأغنية الشعبية.

القوالب اللحنية والانتفاضة:

" تعتمد القوالب اللحنية الغنائية في فلسطين على المقام الموسيقي المبني عليه هذا اللحن، وعلى الميزان العام للأغنية، والمساحات الصوتية التي ينحصر فيها اللحن، وتحديد عدد الجمل الموسيقية التي يتكون منها اللحن، ومن ثم الدرجة الصوتية التي يبدأ بها اللحن وتحديد نوع

(1) موسى، أحمد، الفلكلور والموسيقى الفلسطينية، ص13.

(2) موسى، أحمد، الفلكلور والموسيقى الفلسطينية،ص89.

القالب الغنائي هل هو مقيد بميزان أم أنه أداء حر غير مقيد بميزان. ويعتمد أيضاً القالب اللحني الغنائي الفلسطيني على تحديد النغمات المسيطرة في هذا اللحن"[1].

" فالقوالب اللحنية الفلسطينية نشأتها كلها من العامية الفلسطينية، ولذلك فإن الناس غير معنيين بالتفريق بين ما هو منها على وزن بحر من بحور الشعر العربي الفصيح وبين ما هو على وزن مغاير، لأنَّ الذي يعنيهم هو استقامة لحنها وموسيقاها، ولأنّ اللحن هو الأساس الذي تبنى عليه تلك القوالب، وهو في الأغلب الأعم من الألحان الموروثه، فإن القاعدة في الكشف عن أوزانها يجب أنْ تعتمد على لفظها كما تغنى وليس كما تقرأ قراءة، مع ملاحظة أنَّ المغني الشعبي كثيراً ما يمد صوته بالغناء فيحيل المقاطع الصوتية القصيرة إلى طويلة كما أنَّه في بعض الأحيان وحسب الحاجة، يخطف صوته خطفاً، فيختزل بعض المقاطع أو يحيل الطويل منها إلى قصير، معتمداً في ذلك على أذنه الموسيقية"[2].

وعلينا أن نتذكر دائماً أننا نميز بين القوالب الغنائية عن طريقة غنائها وليس عن طريق كتابتها، وذلك لأنَّ المغني الشعبي لا يعرف البحور، ولا يفكر فيها، وإنَّما يعرف لحن الأغنية وهذا ما ظهر في الانتفاضتين الأولى والأخيرة.

لقد قفزت الطلعات إلى المكانة الأولى في ظل الانتفاضة، ولكونها أنسب للغناء الجماعي الجماهيري، وتنوعت الطلعات المستخدمة في الانتفاضتين فمنها المربع ويا حلالي يا مالي، وأكثرهما شيوعاً في الانتفاضة الأولى، وهي تقوم على وزن بحر الرمل ومن أمثلة الطلعات في الانتفاضة 87م.

رَابين هَات جْنُودَك هات إِحنَّا بِنْجبلَكْ مُقْلِيعاتْ
ما بْتِتْهرَّب لِلْمَمَات بِنْدافِع عِنْ الْقَضِيَّهْ

كما اشتهرت العتابا في ظل الانتفاضة وخاصة إذا بدأت بصوت "أوف" ولعل المغني يريد أن يبدأ قصيدته بتلك الكلمة، ليعبر بها عن الألم والملل ويعاتب بعد ذلك، وتختلف قوة

(1) مقابلة شخصية مع الأستاذ أحمد موسى المدرس في كلية الفنون، جامعة النجاح الوطنية، 2005/5/12.
(2) المقابلة السابقة نفسها.

الأوف ومداه من مكان إلى آخر في فلسطين وقد استبدلت في بعض الأماكن بكلمة " ياياباوآآخ.....

ومن أمثلتها في الانتفاضة السابقة.

إسْمعتِ الْجَار عالثَّورة بِلحْجَارْ وخلُّو الْحَجَرْ أزكى مِنْ بَلَح جار
زهراتْنا أَشْبَالْنا تْقاتِلْ بِلحْجَارْ وجْيُوشِ الْعَرَبْ ما تْحَرّك اطواب
هِمِّي يا شَباب الْوَطَن هِمّي عَنْ هذا الشعْب تَنْانْزيلْ هَمِي
أعْدَاءِ الشَعِب إللّي الْيُوم هُمّي حَطْوَنا بِسِجْن وسَدو بوابِ

والدلعونا، تعتبر من القوالب اللحنية الواسعة الانتشار في فلسطين، فالشاعر يؤلف أبياتاً مطوّلة ذات قالب واحد، ولعل السبب في ذلك يعود لبساطة تركيبه وبنائه، فأصبح مسيطراً على لون العتابا والميجنا بعدما كان ينافسهما من حيث الشعبية والشيوع على ألسنة الناس.

" وبنية الدلعونا بقيت كما هي في الانتفاضة إلاّ أنَّ جملها قصرت، فهو يتكَّون من بيتين من الشعر يتكون كل منها من شطرين، صدر وعجز وبتحليل بعض نصوصها الشعرية، نجد أن الدلعونا كلها من البحر البسيط لكن تفاعيله أخضعت لأحكام النطق الشعبي الغنائي الذي تميز بظاهرتين هما: الميل للمد والميل للتسكين وفي كلتا الحالتين تكون المقاطع الصوتية القصيرة، لأن المد يحول المقطع القصير إلى طويل وكذلك التسكين للمتحرك الثاني يحيله مع التحريك الأول إلى مقطع طويل" [1].

" ومن أمثلة الدلعونا في الانتفاضة الأولى:

علـى دلعُونا، وعلـى دلعُونا تحرير بلادي أَحْسَنْ ما يَكُونا
ملعون أبُوكُم يللِّي تخونونا **** ويللِّي تامَرتو تاتعدمونا**

دلعن دلعونا الأَوّل والرّابِعْ ويا حيرةْ قلبي خربان الجامع
صهيوني بأرظي بَنَا مصِانع وملوك العَرَبْ يتفخفخونا

(1) البرغوثي، عبداللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبي، ص 71.

وإذا أردنا تقطيع البيت الأول نجده على بحر البسيط ولكن تفاعليه أخضعت لأحكام النطق الشعبي الغنائي.

علـــى دلعُونـــا، وعلـــى دلعُونـــا تحريـــر بـــلادي أَحْسَـــنْ مـــا يَكُونـــا [1]"

ونجد الأبيات السابقة تلتزم الشطرات الثلاث الأولى رويا واحداً بينما تنتهي الشطرة الرابعة بألف مد– وتسمح بإشباع الصوت، ولا يشذ عن هذه القاعدة إلا النادر الذي لا يعتد به.

"وإذا تأملنا وزن أغنية " يا ظريف الطول" وقطعنا بعضاً من أبياتها فسوف نجد أنها مبنية أيضاً على بحر الرمل مع دخول بعض التغيرات على هذه التفعيلة أو تلك وهي ما زالت ماثلة ليومنا هذا في ظل الانتفاضتين" [2].

يا زَرِيـف الطُّـول ضَـرْب الْحَجَـر شِـدّ فـــي المظـــاهراتْ ظَلَّـــكْ مُسْـــتَعِدّ
في وَسَط الشَّـارِعْ جيـب حْجَـارُ وسِـدّ وَلِّـــع لِلعْجَـــال وصُـــدّ أعْـــدائيا

فعندما نقطع الشطر الأول نجده فعلاً على بحر الرمل.

يا زريف الطُّول ضرب الحَجر شِدّ
– ب --- ب --- ب – ب
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتُ

والأغاني " الروزنا والسحجة واغزيل" شأنهم شأن القوالب الغنائية الأخرى المذكورة، فهي ما زالت ماثلة إلى يومنا هذا ولم يحدث أي تغيير على قالبها اللحني. ولكنها وجدت بنسبة أقل من الفنون الأخرى.

---

(1) موسى أحمد، الفلكلور والموسيقى الشعبية، ص 30.

(2) البرغوثي، عبداللطيف، ديوان الانتفاضة الشعبي، ص77.

الخاتمة:

درست الباحثة الأدب الشعبي في ظل الإنتفاضتين، وهو أدب لم ينل نصيبه الذي يستحقه من العناية والاهتمام من الكتاب والباحثين في مجال الأدب الشعبي في ظل هذه الحقبة المهمة من حياة الشعب الفلسطيني.

قد اتضح من خلال الدراسة أن الأدب الشعبي له طبيعته ومفهومه وخصائصه ومضامينه التي تلتقي مع الأدب الفصيح في بعضها و تختلف في بعضها الآخر، والأدب الشعبي واحد من فروع تراث الأمة يتميز عنها استخدامه اللغة للتعبير عن نفسه وهو يشمل مجموع الرموز الناتجة عن الجزء الشعبي من الأمة.

والأدب الشعبي مرآة عكست تصورات الشعب الفلسطيني وآمالهم في الحرية، فهو يتفاعل مع الحدث بصورة عفوية فكان وما زال يمثل هموم الشعب بأكمله أكثر من تمثيله لهموم الفرد.

لقد تبين من دراسة الفصل الأول أن الأدب الشعبي واكب الأحداث الجسام التي مر بها الشعب الفلسطيني، ورافق مراحل نضاله، وكان الأديب الشعبي يتأثر بهذه الأحداث فيعبر عنها بخلجات قلبه، على امتداد العشرينيات والثلاثينيات والنكبة والنكسة وأحداث الانتفاضتين.

تبين من دراسة الفصل الثاني أثر الانتفاضتين على ألوان الأدب الشعبي، فلقد أثرت الانتفاضة الأولى والثانية في ألوان الأدب.

لقد أدت الانتفاضة إلى تغيير مضمون الحكاية الشعبية، فبدلاً من الحديث عن الحبيب والغربة أخذت تصف عمليات الاغتيال والقصف والاستشهاد، فتخلت الحكاية الوطنية عن مضامينها ومواضيعها المعروفة واتجهت نحو التعبير عن واقع الشعب الفلسطيني اليومي.

وهذا ما نجده ماثلاً أيضاً في الأغنية الشعبية، حيث أثرت الانتفاضة في مواضيعها، فكان الاهتمام منصبا حول الوطن وكيفية الدفاع عنه، ممجدة أبطاله، وأخذت الانتفاضة بتحوير قوالب الأغنية الشعبية بما يتلائم مع الأحداث الفلسطينية الدائرة.

وبينت الدراسة ألواناً جديدة استحدثتها الانتفاضة وأصبح لها دور واضح مثل الشعارات والهتافات، حيث كان ظهورهما على الساحة الفلسطينية بارزاً.

أما المثل الشعبي فظهوره كان خافتاً غير واضح.

لقد أثرت الانتفاضة في شكل الأدب الشعبي عامة والاغنية الشعبية خاصة، وعالج الفصل الثالث أهم الخصائص الفنية كاللغة والصورة والموسيقى، فكانت اللغة عامية صرفة في الأغنية الشعبية والحكاية ونداءات الباعة لأنها تمثل وجدان الشعب وتجربته، أما لغة الهتافات والشعارات فمالت إلى اللغة الفصيحة.

وبينت الدراسة أن اللغة بشكل عام كانت ذات جرس قوي فهي تتحدث عن الوطن وتمجيد المقاومة والافتخار بشهدائها والتغني بالوطن وترابه.

وكان للصورة حضور في هذا الأدب لا يقل عن حضورها في الأدب الرسمي، حيث وظف الشعراء الشعبيون صوراً عديدة عبرت عن انفعالاتهم وأحاسيسهم واشتملت هذه الصور على الحركة واللون والصوت، وجاء بعضها على غرار الصور التقليدية.

وقد تبين أن موسيقانا الفلسطينية في ظل الانتفاضتين تميل الى النوع السجي العاطفي، ولكنها في الوقت ذاته تمتاز بحيوية ورجولة، فالموسيقى الشعبية الأصلية بقيت محافظة على نفسها في ظل الانتفاضتين.

ونظراً لأهمية الأدب الشعبي في حياة الأمة، وقدرته على التعبير عن همومها وتطلعاتها فلا بد من وقفة جادة مع هذا الأدب بألوانة المتنوعة، والعمل على جمعه من أفواه العامة وتدوينه بعد تنقيحه، ولا بد من وضع أرشيف خاص بالانتفاضة ليبقى هذا الفن محفوظاً على مدى الأيام.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

ابراهيم، نبيلة: **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، ط3، دار المعارف، القاهرة 1981م.

أبو حلتم، نبيل: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري**، (د. ط)، دار الثقافة، قطر، 1985م.

أبو عليوي، حسن: **الشعر الشعبي الفلسطيني، الموسوعة الفلسطينية**، ط1 القسم الثاني، المجلد الرابع، بيروت، 1990م.

أبو هدبة، عبد العزيز: **ثلاثون ليلة وليلة في المضافة الفلسطينية**، د. ط، مركز التراث الشعبي، جمعية انعاش الأسرة، البيرة، 1995م.

أبوعمشة، عادل: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الضفة الغربية قبل وأثناء الانتفاضة**، 1989م.

أنيس، إبراهيم: **موسيقى الشعر**، ط5، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، 1978م.

البرغوثي، عبد اللطيف: **الأغاني العربية الشعبية في فلسطين والأردن**، ط1، مطبعة الشرق العربية، القدس 1979م.

: **ديوان الانتفاضة الشعبية**، ط1، رام الله، فلسطين، 1997م.

: **ديوان العتابا الفلسطيني**، مركز الوثائق والأبحاث، جامعة بيرزيت آذار، 1986م.

: **راجح غنيم السلفيني، ديوان شيخ الشعراء الشعبيين**، المطبعة الوطنية للكمبيوتر، رام الله، فلسطين، 1994م.

البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري**، ط3، دار الأندلس، بيروت، لبنان 1983م.

جبارة، تيسير: **تاريخ فلسطين**، ط1، دار الشروق للنشر رام الله، 1998م.

: **دراسات في تاريخ فلسطين الحديث**، ط2 القدس 1986م.

حبيب الله، غانم والمدني، رشاد: **فلسطين والانتفاضة**، ط1، الناصرة، شباط،1990م.

حداد، منعم: **التراث الفلسطيني بين الطمس والإحياء** (د.ط)، مجموعة دراسات وأبحاث، مركز إحياء التراث العربي، الطيبة، فلسطين المحتلة، 1986م.

حداد، يوسف: **المجتمع والتراث في فلسطين قرية البصة**، ط1، دار الأسوار، عكا، مؤسسة الثقافة الفلسطينية، 1985م.

الحمد، خميس: **وطنيات الحادي راجح السلفيتي**، ط1، رام الله، 2003م.

د. م، **مؤسسة الدراسات الفلسطينية، تاريخها وقضيتها**، د. ط، د. ت.

ذهني، محمود: **الأدب الشعبي العربي، مفهومه ومضمونه**، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، 1972م.

الرباعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النقد والتطبيق**، ط1، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1984م.

زعتير، أكرم: **القضية الفلسطينية**، ط2، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية عمان، 1986م.

زيّاد، توفيق: **صور من الأدب الشعبي**، ط2، الطبعة الكاملة، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية عمان 1989 م.

سرحان، نمر: **الحكاية الشعبية الفلسطيني**، د.ط، بيروت، 1974م.

: **موسوعة الفلكلور الفلسطيني**، ط2، الطبعة الكاملة من الألف إلى الياء، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، عمان، 1989م.

سلام، رفعت: **التراث الشعبي، نظرة نقدية منهجية**، ط1، دار الفارابي، بيروت 1989م.

صالح، أحمد شريدي: **الأدب الشعبي**، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1971م.

صالح، بشرى موسى: **الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث**، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت 1984م.

عبد الهادي، لينا: **الصحوة**، د. ط، 1994م.

عبود، زهير كاظم: **قراءة في كتاب مدخل إلى الشعر الشعبي العراقي**، ط1، السويد، 2003م.

عتيق، عبد العزيز: **علم العروض والقافية** د. ط، دار النهضة العربية بيروت، د. ت.

عرنيطة، يسرى جوهري: **الفنون الشعبية في فلسطين**، ط3، مطابع الرأي، عمان 1998م.

علوش، موسى: **الاغاني الشعبية الفلسطينية في بلدة بيرزيت**، د. ط،1986م.

العمد، هاني: **المراثي الشعبية الأردنية، البكائيات**، ط1، دائرة الثقافة والفنون، عمان، 1984م.

عوض، خالد: نوح ابراهيم، **الشاعر الشعبي لثورة 1936م-1939م**، منشورات وزارةالثقافة الفلسطينية، ط1، الناصرة،نيسان 1995م.

القاسم، أحمد محمود: **انتفاضة الأقصى واحتماليات المستقبل**، ط2، كانون الأول، 2001 م.

كناعنة، شريف: **من نسي قديمه تاه، دراسات في التراث الشعبي والهوية الفلسطينية**، ط1، مؤسسة الأسوار، عكا، 2000م.

مرسي، أحمد علي: **مقدمة في الفلكلور**، د. ط، عين للدراسات والأبحاث الإسلامية، مصر، 1995م.

موسى، أحمد: **الفلكلور و الموسيقى الفلسطينية**، د. ط، نابلس، 1997م.

نمر، عمر: **الملحمة الشعبية الفلسطينية**، منشورات الجمعية العلمية الفلسطينية،د.ط الدار الوطنية، نابلس، 2000م.

نوفل، يوسف حسن: **الصورة الشعرية والرمز اللوني**، د. ط، دار المعارف، القاهرة.

الدوريات:

أبو هدبة، عبد العزيز: الأغنية الشعبية الفلسطينية، بيان وطني صادق، مجلة التراث والمجتمع العدد 36، 2001م.

البرغوثي، عبد اللطيف: الأدب الشعبي الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع، جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، العدد8، المجلد2، تشرين الثاني، 1977م.

بزراوي، باسل: الشعر الشعبي والواقع الموضوعي، مجلة التراث والمجتمع، العدد 21، نيسان،1992م.

تيمور، محمود: فن القصص،مجلة الشرق الجديد، الجزء السابع، أكتوبر، 1945م.

سرحان، نمر: الفلوكلور الفلسطيني تعبير عن الهوية الوطنية، مجلة آفاق، أديمية المستقبل للتفكير الإبداعي، العدد الأول السنة الأولى، رام الله، خريف 1998م، مجلة شؤون الدولة، منذ 1987-1990م.

عبد المجيد، سيد: الانتفاضة، شؤون فلسطينية العدد2000، تشرين الثاني.

الصحف:

مجلة التراث والمجتمع، جمعية انعاش الاسرة، البيرة- العدد (36 – 39).

جريدة القدس، مظاهرات ومصادمات وشهداء بالضفة والقطاع (1987- 1990م).

مجلة البيادر السياسي، عدد 332-(1990/10/30م).

المقابلات:

أبو هدبة،عبد العزيز، **جمعية إنعاش الأسرة** في: تشرين الأول، 2003، شباط، 2004، تموز، 2004، آب، 2004، أيار، 2005.

البوريني،أكرم، **قرية بورين**: آب، 2004، أيلول، 2004.

الجلماوي، نعمان، هشام، **دير الحطب**: تموز، 2005.

عارف، إياد، **كفر ثلث:** آب، 2005.

مبارك، سمير، **قرية عزموط:** نيسان، 2003، حزيران، 2003.

موسى، أحمد، **جامعة النجاح الوطنية:** أيار، 2005.

المقابلات مع العامة:

شقيقة الشهيد عاهد فارس، نابلس، 2003.

والدة الشهيد هاشم أبوحمدان، مخيم بلاطة، شباط، 2005.

وقد استقيت بعض الأغاني والأهازيج والأمثال والقصص من أفواه كبار السن الذين عاصـــروا الأحداث مثل:

- الحاجة عزيزة شحادة.
- الحاجة مريم جبر.

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Intifada on Folk Literature in the North of Palestine

Prepared by
Sireen Sadi Mostafa Jabr

Supervised by
Dr. Ehsan Al-Deek

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language, Faculty of Graduate Studies at An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2005

Intifada on Folk Literature
in the North of Palestine
Prepared by
Sireen Sadi Mostafa Jabr
Supervised by
Dr. Ehsan Al-Deek

Abstract

Folklore is considered the honest and innate way of expressing the unconscious of the whole nation, in its spiritual and psychological concerns.

The Palestinian nation was one of the most aware countries in the Arab world, about the important role that folklore plays, and their use of it in their struggle against their enemy.

Those people went on acquiring their ideas from the hero stories, tales, and the enthusiastic proverbs which created strong urges to resist the occupation. They realized that they should get attached to that folklore to protect the national identity, and the Palestinian persona in facing the enemies who are stealing this precious thing which is their folklore.

The Palestinian Intifada came up to present the needed hope, and to fulfill the needs of the people to express their purposes and hopes. Here remains the importance of this research, to know the extent of the service that the national folklore gives to the Intifada, beside the use of its types, and the importance in the influence of this Intifada on that folklore.

The main question of this research is about the relationship between the Intifada and the Palestinian folklore. Many questions come up from this big question; I will try to answer them in my research:

-What is the extent of the existence of the Intifdada in the Palestinian folklore negatively and positively?

-What is the Intifada effect on the types and topics of the Palestinian folklore?

-What is the effect of the folklore on the Intifada?

-How did the Intifada seem in the national poet's eyes?

-Did the existence of the Intifada in the folklore vary to be a song, a story, or a proverb?

-Could this folklore express, and go side by side with the Intifada aims, and slogans?

Many difficulties were faced, such as: collecting data or texts which are relate to the situation, especially in these difficult circumstances in Palestine.

The nature of this research needed me to divide it to, an introduction, three chapters, and an ending or a conclusion.

I included in the introduction the blows before the two Intifadas, and the resistance of the occupation in Palestine. So I divided them into four stages or periods which are:

-First stage: from 1900-1916, embrace the Turkish rule and the punishments on the Palestinian from the Ottoman sovereign.

-Second stage: from 1917-1947, an important stage in the life of the Palestinian nation, where there were revolutions and blows made against the British colonization like; 1936 revolution, and Al-Burak revolution.

-Third stage: from 1948-1967, the most significant in this, is the calamity (Nakba) in 1948, and the migration of the Palestinian from their home land to other Arab countries.

-Fourth stage: it is the period of depression, and losing hope in coming back to their home land after being scattered out side and inside. The occupation country included what remained of Palestine and having other Palestinian lands since the beginning of 1967 war till 1987, which means before the first Intifida with few months.

Folklore came up to reflect the impression of its nation and their hope of freedom, after they interacted with the previous stages events, and pictured it with clear spontaneous flow. So it was and still represents the whole Palestinian's sorrows, and the individual sorrows.

In the first chapter I included the main stages in the Palestinian life which are the two Intifada and what comes along with it of events, blows, and revolutions from 1987 till our days. I divided this chapter to two themes:

-First theme: the first Intifada from 1987-1994 including events, blows, and revolutions.

-Second theme: the second Intifada from 2000 to our days. It was found after the study of this chapter that folklore come along with the most significant events happened for the Palestinian, and accompanied the stages of resistance, so the folkloric artist got influenced with the events then tended to express what he feels.

-Third theme: I mentioned in this theme of study the influence of the two Intifadas in the artistic image, and I divided this one to four parts where I studied in it the moves, the colors, the sounds, and the types of the image. Where I found for the image a place in this art which was not less than it in the formal art, where the Palestinian poets used many images which expressed their feelings. I included the move, the color, and the sound, some of these images were some how similar to the traditional image.

-Third theme: I studied music where I showed the influence of the Intifada on the music of the folkioric song, and I thought that the Palestinian music in the Intifada is more to the emotional kind, although at the same time it is known about its vitality. Since the original Palestinian music remained the same, and was protected during the two Intifadas. and because of the importance of the folklore in the life of the nation and its capacity in expressing their sorrows, and hopes we need to work on protecting this art and persevering it, so this will be by collecting, and editing it, then putting it in special archives for the Intifada, to keep them forever.

Finally I would thank Dr. Ihsan Al-Deck who was my supervisor on the message I wanted to acknowledge people about, where he was to me a great helper, As well as Dr.Yahia Jaber, and Dr.Nader Qasem for their patience, help, and directions in my study.